

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بمختصر

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار الحديث الكويت  
بيبي الباني الجبلي وشركاه

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع عشر

مؤسسة اسماعيليان  
للطباعة والنشر والتوزيع  
قم إيران - تلفون ٢٥٢١٢





مرکز تحقیقات کتاب و مکتب اسلامی

باب  
الكتب والرسائل



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتاب و مکتب اسلامی



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

الأصل :

باب المختار من كتب موروثنا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأوليائه<sup>(١)</sup>  
بإزده، ويدخل في ذلك ما انفجر من عهدته إلى عماله ووصاياه لأهل وأصحابه

الشروح :

لما قرع من إيراد المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه الجارى تجزى  
الخطب من المواعظ والزواجر ، شرع في إيراد باب من مختار كلامه عليه السلام ، وهو  
ما كان جارياً تجزى الرسائل والكتب ، ويدخل في ذلك العهد والوصايا . وقد أورد  
في هذا الباب ما هو بالباب الأول أشبه ، نحو كلامه عليه السلام لشریح القاضي لما اشترى  
داراً ، وكلامه لشریح بن هاني لما جعله على مقدمته إلى الشام .  
وسمى ما يكتب للولاية عهداً اشتقاقاً من قولهم : عهدت إلى فلان ، أى أوصيته .

الأصل :

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، جَبْهَةَ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ .  
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعْيَانِهِ .  
إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرُ اسْتِعْتَابِهِ . وَأَقِلُّ<sup>(١)</sup> عِتَابَهُ ، وَكَانَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سِيرَهَا فِيهِ الْوَجِيفُ ، وَأَرْفَقُ حَدَائِهُمَا الْعَنِيفُ . وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فِلْتَةٌ غَضَبٍ ، فَأَتَيْحَ لَهُمْ قَوْمٌ قَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ ، وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ .  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْجَلِ ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ ، فَأَمَرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ .  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

\*\*\*

الشرح :

قوله : « جبهة الأنصار » ؛ يمكن أن يريد جماعة الأنصار ، فإن الجبهة في اللغة الجماعة ، ويمكن أن يريد به سادة الأنصار وأشرافهم ، لأن جبهة الإنسان أعلى أعضائه ، وليس يريد بالأنصار هاهنا بنى قبيلة<sup>(٢)</sup> ، بل الأنصار هاهنا الأعوان .

(١) مخطوطة النهج : « فأقل » . (٢) هي قبيلة أم الأوس والخزرج .

قوله عليه السلام : « وسنام العرب » ؛ أى أهل الرفعة والعلو منهم ، لأن السنام أعلى أعضاء البعير .

قوله عليه السلام : « أكثر استعابته وأقل عتابه » ، الاستعاب: طلب العُتْبَى، وهى الرضا ، قال : كنت أكثر طلبَ رضاه ، وأقل عتابه وتعنيفه على الأمور ، وأما طلحة والزبير فكانا شديدين عليه .

والوجيف : سير سريع ، وهذا مَثَلٌ للمُشَمِّرِينَ<sup>(١)</sup> فى الطعن عليه ، حتى إن السير السريع أبطأ ما يسيران فى أمره ، والحِذاء العنيف أرفق ما يحرّضان به عليه .  
ودار الهجرة : المدينة .

وقوله : « قد قلمت بأهلها وقلعوا بها » ، الباء هاهنا زائدة فى أحد الموضعين ، وهو الأول ، وبمعنى « من » فى الثانى ، يقول : فارت أهلها وفارقوها ، ومنه قولهم : « هذا منزل قلعة » أى ليس بمستوطن .

مركز تحقيق تكملة تفسير طبرستان

وجاشت : اضطربت . والمرجل : القدر .

ومن لطيف الكلام قوله عليه السلام : « فكنت رجلاً من المهاجرين » ، فإن فى ذلك من التخلص والتبرئ مالا يخفى على المتأمل ، ألا ترى أنه لم يبق عليه فى ذلك حجة لطاعن ، حيث كان قد جعل نفسه كواحدٍ من عرّض المهاجرين ، الذين بنفوسهم يسير منهم انعقدت خلافة أبى بكر ، وهم أهل الحل والعقد ، وإنما كان الإجماع حجة لدخولهم فيه .  
ومن لطيف الكلام أيضاً قوله : « فأتيج له قوم قتلوه » ، ولم يقل : « أتاج الله له قوما » ، ولا قال : « أتاج له الشيطان قوماً » ، وجعل الأمر مبهماً .

وقد ذكر أن خط الرضى رحمه الله « مستكرهين » بكسر الراء ، والفتح أحسن وأصوب ، وإن كان قد جاء : استكرهتُ الشيء بمعنى كرهته .

(١) ١ : « وهذا مثل فى العرب للمُشَمِّرِينَ فى الطعن عليه » .



وقال الراوندي : المراد بدار الهجرة هاهنا الكوفة التي هاجر أمير المؤمنين عليه السلام إليها ، وليس بصحيح ، بل المراد المدينة ، وسياق الكلام يقتضي ذلك ، ولأنه كان حين كتب هذا الكتاب إلى أهل الكوفة بعيداً عنهم ، فكيف يكتب إليهم يخبرهم عن أنفسهم .

\*\*\*

### [ أخبار عليّ عند مسيره إلى البصرة ، ورسله إلى أهل الكوفة ]

وروى محمد بن إسحاق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار القرشي ، قال : لما نزل عليّ عليه السلام الرّبذة متوجّهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر الصديق ، وكتب إليهم هذا الكتاب ، وزاد في آخره :

فحسبي بكم إخواناً ، وللدّين أنصاراً ، ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وروى أبو مخنف ، قال : حدّثني الصّّقعب ، قال : سمعتُ عبد الله بن جُنادة يحدث أن علياً عليه السلام لما نزل الرّبذة بعث هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري ، وهو الأمير يومئذ على الكوفة ، لينفِر إليه الناس ، وكتب إليه معه :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس . أما بعد ، فإنّي قد بعثت إليك هاشم بن عُتبة لتُشخّص إلى مَنْ قَبْلَكَ من المسلمين ليتوجّهوا إلى قوم نكثوا بيعتي ، وقتلوا شيعتي ، وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم ، فاشخّص بالناس إلىّ معه حين يقدم عليك ، فإنّي لم أولئك المضر الذي أنت فيه ، ولم أقرك عليه إلا لتكون من أعوانى على الحقّ ، وأنصاري على هذا الأمر ، والسلام .

فأما رواية محمد بن إسحاق فإنه قال : لما قدم محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة ، استنفرا<sup>(١)</sup> الناس ، فدخل قومٌ منهم على أبي موسى ليلاً ، فقالوا له : أشير علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى عليّ عليه السلام ، فقال : أما سبيلُ الآخرة فالزموا بيوتكم ، وأما سبيلُ الدنيا فاشخصوا معهما . فنعى بذلك أهل الكوفة من الخروج . وبلغ ذلك الحمد بن ، فأغلظا لأبي موسى ، فقال أبو موسى : والله إن بيعة عثمان لفي عنق عليّ وعنقي وأعناقكم ، ولو أردنا قتالاً ما كنّا لنبدأ بأحدٍ قبل قتالة عثمان . فخرجا من عنده ، فلحقا بعليّ عليه السلام ، فأخبراه الخبر .

وأما رواية أبي مخنف ؛ فإنه قال : إن هاشم بن عتبة لما قدم الكوفة ، دعا أبا موسى السائب بن مالك الأشعري ، فاستشاره ، فقال : اتبع ما كتب به إليك . فأبى ذلك ، وحبس الكتاب ، وبعث إلى هاشم يتوعدّه ويخوفه . قال السائب : فأتيتُ هاشمًا فأخبرته برأى أبي موسى ، فكتب إلى عليّ عليه السلام :

لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة . أما بعدُ يا أمير المؤمنين ؛ فإني قدمت بكتابك على أمرئ مشاق بعيد الودّ ، ظاهر الغلّ والشنآن ، فتهدّني بالسجن ، وخوفني بالقتل ، وقد كتبتُ إليك هذا الكتاب مع الحلّ بن خليفة ، أخى طيّ ، وهو من شيعةك وأنصارك ، وعنده علم ما قبلنا ، فاسأله عما بدا لك ، واكتب إلى رأيك والسلام . قال : فلما قدم الحلّ بكتاب هاشم على عليّ عليه السلام سلّم عليه ، ثم قال : الحمد لله الذي أدّى الحقّ إلى أهله ، ووضعه موضعه ؛ فكرد ذلك قوم قد والله كرهوا نبوة محمد صلى الله عليه وآله ، ثم بارزوه وجاهدوه ، فردّ الله عليهم كيدهم في نحورهم ، وجعل دائرة السوء عليهم . والله يا أمير المؤمنين لنجاهدّهم معك في كلّ موطن ؛ حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، إذ صاروا أعداء لهم بعده .

(١) : « واستنفرا » ، وما أثبتته من ب .



فرحّب به عليّ عليه السلام ، وقال له خيرا ، ثم أجلسه إلى جانبه ، وقرأ كتابهاشم ، وسأله عن الناس وعن أبي موسى ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أثقُ به ولا آمنه على خلافك ، إن وجد مَنْ يساعده على ذلك . فقال عليّ عليه السلام : والله ما كان عندي بمؤمن ولا ناصح ، ولقد أردت عزّله فأتاني الأشر ، فسألتني أن أقرّه ، وذكر أن أهل الكوفة به راضون فأقرّرتّه .

\*\*\*

وروى أبو مخنف ، قال : وبعث عليّ عليه السلام من الرّبيعة بعد وصول الحِلّ بن خزيمة ، (أخي طيّ<sup>(١)</sup>) ، عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر إلى أبي موسى ؛ وكتب معهما : من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، أما بعد يا ابن الحائك ، يا عاضّ أثر أبيه ، فوالله إني كنت لأرى أن بُعِدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلا ، ولا جعل لك فيه نصيبا ، سيمنعك من ردّ أمرى والانتزاع<sup>(٢)</sup> عليّ ، وقد بعثت إليك ابن عباس وابن أبي بكر فخالهما والمصر وأهله ، واعتزل علفا مذهباً مدحورا . فإن فعلت وإلا فإنّي قد أمرتهما أن يهابذاك على سواء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين . فإذا ظهرا عليك قطعاك إرْباً إرْباً ، والسلام ، على مَنْ شُكِر النعمة ، ووفّي بالبيعة ، وعمل برجاء العاقبة .

قال أبو مخنف : فلما أبطأ ابن عباس وابن أبي بكر عن عليّ عليه السلام ، ولم يدرِ ما صنعوا ، رحل عن الرّبيعة إلى ذي قارٍ فنزلها ، فلما نزل ذا قارٍ ، بعث إلى الكوفة الحسن ابنه عليه السلام ، وعمار بن ياسر وزيد بن صوحان ، وقيس بن سعد بن عبادة ، ومعهم كتاب إلى أهل الكوفة . فأقبلوا حتى كانوا بالقادسية ، فتلقاهم الناس ، فلما دخلوا الكوفة قرءوا كتاب عليّ ، وهو :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين .



أما بعد ؛ فإني خرجت مخرجي هذا ؛ إما ظالماً ، وإما مظلوماً ، وإما باغياً ، وإما مبغياً  
على ، فأنشد الله رجلاً بلغه كتابي هذا إلا نفر إلى ، فإن كنت مظلوماً أعانني ، وإن كنت  
ظالماً استعيني . والسلام .

قال : أبو مخنف : فحدثني موسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال : أقبلنا  
مع الحسن وعمر بن ياسر من ذي قار ، حتى نزلنا القادسية ، فنزل الحسن وعمر ، ونزلنا  
معهما ، فاحتبى عمر بحمائل سيفه ، ثم جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم ،  
ثم سمعته يقول : ما تركت في نفسي حزة أهم إلى من ألا نكون نبشنا عثمان من قبره ،  
ثم أحرقناه بالنار .

قال : فلما دخل الحسن وعمر الكوفة ، اجتمع إليهما الناس ، فقام الحسن ، فاستنفر  
الناس ، فحمد الله وصلى على رسوله ، ثم قال : أيها الناس ، إنا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى  
كتابه وسنة رسوله ، وإلى أفقه من نفقه من المسلمين ، وأعدل من تعدلون ، وأفضل من  
تفضلون ، وأوفى من تبايعون ، من لم يعبه القرآن ، ولم يُجهله السنة ، ولم تقعد به السابقة ،  
إلى من قر به الله تعالى إلى <sup>(١)</sup> رسوله قرابتين : قرابة الدين وقرابة الرحم ، إلى من سبق الناس إلى  
كل ماثرة ، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون ؛ فقرب منه وهم متباعدون ، وصلى  
معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدقته وهم  
يكذبون . إلى من لم ترد له رواية ولا تكافأ له سابقة ، وهو يسألكم النصر ، ويدعوكم إلى  
الحق ، ويأمركم بالمسير إليه ، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته ، وقتلوا أهل  
الصلاح من أصحابه ، ومثلوا بعماله ، واستهبوا بيت ماله . فاشخصوا إليه رحمكم الله ، فمروا  
بالمعروف وانتهوا عن المنكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون <sup>(٢)</sup> .

قال أبو مخنف : حدثني جابر بن يزيد ، قال حدثني تميم بن حذيم الناجي ، قال : قدم علينا

الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر ، يستنفران الناس إلى علي عليه السلام ، ومعهما كتابه ، فلما فرغ من قراءة كتابه ، قام الحسن - وهو فتى حدث ، والله إني لأرثي له من حداثة سنه وصعوبة مقامه - فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون : اللهم سدد منطلق ابن بنت نبينا ! فوضع يده على عمود يتساند إليه ، وكان عاليا من شكوى به ، فقال : الحمد لله العزيز الجبار ، الواحد القهار ، الكبير المتعال ، **إسواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** . أخذته على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، امتن علينا بنبوته ، واختصه برسالته ، وأنزل عليه وحيه ، واصطفاه على جميع خلقه ، وأرسله إلى الإنس والجن ، حين عُدت الأوثان وأطيع الشيطان ، وجُحد الرحمن ، فصلى الله عليه وعلى آله وجزاه أفضل ما جزى المسلمين . أما بعد فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون ، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرشد الله أمره ، وأعز نصره - بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، وإلى العمل بالكتاب ، والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله . ولقد علمتم أن علياً صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده ، وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه ، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته . وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه ، حتى غمضه بيده وغسله وحده ، والملائكة أعوانه ، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ، ثم أدخله حفرته ، وأوصاه بقضاء دينه وعيادته ، وغير ذلك من أموره ، كل ذلك من من الله عليه . ثم والله مادعا إلى نفسه ، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند وزودها ، فباعوه طائعين ، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ، ولا خلاف أتاه ، حسداً له وبغياً عليه . فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته ، والجد والصبر والاستعانة بالله ،



والخفوف إلى مادعاكم إليه أمير المؤمنين . عَصَمْنَا اللَّهَ وَإِنَّا كَمْ بِمَا عَصَمَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ، وَالْهَمْنَاوْإِنَّا كَمْ تَقَوَاهُ ، وَأَعَانْنَاوْإِنَّا كَمْ عَلَى جِهَادِ أَعْدَائِهِ . وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ . ثُمَّ مَضَى إِلَى الرَّحْبَةِ فَهَيَّأَ مَنْزِلًا لِأَيِّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

قال جابر : فقلت لتييم : كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه ؟ فقال : ولما سقط عني من قوله أكثر ، ولقد حفظت بعض ما سمعت .

\*\*\*

قال : ولما نزل علي عليه السلام ذا قار ، كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر : أما بعد ، فإني أخبرك أن علياً قد نزل ذا قار ، وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا ، فهو بمنزلة الأشقر ؛ إن تقدم عُقْر ، وإن تأخر نُحْر ، فدعت حفصة جوارى لها يتفننين ويضربن بالدفوف ، فأمرتهن أن يقنن في غنائهن : ما الخبر ما الخبر ، علي في السفر ، كالفرس الأشقر ، إن تقدم عُقْر ، وإن تأخر نُحْر . وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ، ويحتمن لسماع ذلك الغناء .

فبلغ أم كلثوم بنت علي عليه السلام ، فلبست جلابيبها ، ودخلت عليهن في أسوة متكررات ، ثم أسفرت عن وجهها ، فلما عرفت حفصة خجلت ، واسترجعت ، فقالت أم كلثوم : لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم ، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل ، فأنزل الله فيكما ما أنزل !

فقالت حفصة : كفى رحمتك الله ، وأمرت بالكتاب فمزق ، واستغفرت الله .

قال أبو مخنف : روى هذا جرير بن يزيد ، عن الحكم ، ورواه الحسن بن دينار ،

عن الحسن البصري .

وذكر الواقدي مثل ذلك ، وذكر المدائني أيضاً مثله ، قال : فقال سهل بن حنيف

في ذلك هذه الأسماء :



عَذَرْنَا الرُّجَالَ بِحَرْبِ الرِّجَالِ      فَمَا لِلنِّسَاءِ وَمَا لِلسَّبَابِ !  
أَمَّا حُسْبُنَا مَا أَتَيْنَا بِهِ ؟      لَكَ الْخَيْرُ مِنْ هَتَّكَ ذَاكَ الْحِجَابِ  
وَمَخْرَجُهَا الْيَوْمَ مِنْ بَيْنِهِمَا      يَعْرِفُهَا الذَّنْبُ نَبِيْحُ الْكِلاَبِ  
إِلَى أَنْ أَتَانَا كِتَابٌ هَـا      مَشُومٌ ، فَيَاقُبِحَ ذَاكَ الْكِتَابِ !

قال : فحدثنا الكلبي ، عن أبي صالح أن عليا عليه السلام ؛ لما نزل ذا قارٍ في قلته من  
عسكره ، صعد الزبير منبر البصرة ، فقال : ألا ألف فارس أسير بهم إلى علي ، فأينته  
بياتنا ، وأصبحه صباحا ، قبل أن يأتيه المدد ! فلم يجبه أحدٌ ، فنزل واجهاً ، وقال : هذه والله  
الفتنة التي كنّا نحدث بها ! فقال له بعض مواليه : رحمتك الله يا أبا عبد الله ! تسميها فتنة  
ثم تقاتل فيها ! فقال : ويحك ! والله إنا لنُبَصِّرَ ثم لا نصبر . فاسترجع المولى ثم خرج في  
الليل فاراً إلى علي عليه السلام ، فأخبره فقال : اللهم عليك به !

\*\*\*

قال أبو مخنف : ولما فرغ الحسن بن علي عليه السلام من خطبته ، قام بعده عمار ،  
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، ثم قال : أيها الناس ، أخو نبيكم وابن عمه  
يستنفركم لنصر دين الله ، وقد بلاكم الله بحق دينكم ، وحرمة أمتكم ، فحق دينكم أوجب ،  
وحرمة أعظم . أيها الناس ، عليكم بإمام لا يؤدّب ، وفقه لا يعلم ، وصاحب بأس لا ينكل ،  
وذى سابقة في الإسلام ليست لأحد ، وإنا لكم لو قد حضرتموه بين لكم أمركم  
إن شاء الله .

قال : فلما سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمار ، قام فصعد المنبر ، وقال : الحمد لله  
الذي أكرمنا بمحمد ، فجمعنا بعد الفرقة ، وجعلنا إخواناً متحابين بعد العداوة ، وحرّم  
علينا دماءنا وأموالنا ، قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ <sup>(١)</sup>.

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ <sup>(١)</sup> . فاتقوا الله عباد الله ، وضعوا أسلحتكم ، وكفوا عن قتال إخوانكم .

أما بعد يا أهل الكوفة ، إن تطيعوا الله باديًا ، وتطيعوني ثانيا ، تكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، ياوئى إليكم المضطر ، ويأمن فيكم الخائف . إن علينا إنما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حواري رسول الله ومن معهم من المسلمين ، وأنا أعلم بهذه الفتن أنها إذا أقبلت شبت ، وإذا أدبرت أسفرت ، إني أخاف عليكم أن يلتقي غار أن منكم فيقتتل ثم يترك كالأحلاس الملقاة بنجوة من الأرض ، ثم يبقى رجرجة <sup>(٢)</sup> من الناس ، لا يأمرؤن بالمعروف ، ولا ينهؤن عن منكر . إنها قد جاءتكم فتنة كافرة لا يدري من أين تؤتى ! تترك الحليم حيران ! كأنى أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن ، فيقول : « أنت فيها قائمًا خير منك قاعدا ، وأنت فيها جالسًا خير منك قائمًا ، وأنت فيها قائمًا خير منك ساعيًا » . فتلوا سبوفكم وانصلوا <sup>(٣)</sup> وقصفوا رماحكم ، سهامكم ، وقطعوا أوتاركم ، وخلوا قريشا ترتق فتقها ، وترأب صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها ما فعلت ، وإن أبت فعلى أنفسها ما جنت ، سمنها في أديمها . استنصحنوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني ولا تعصوني ، يذببن لكم رشدكم ، ويصلى هذه الفتنة من جناها .

فقام إليه عمار بن ياسر ، فقال : أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك ! قال : نعم هذه يدي بما قلت ، فقال : إن كنت صادقًا فإتبعنا عناك بذلك وحدك ، واتخذ عليك الحجّة ، فالزم بيتك ولا تدخلن في الفتنة ، أما إني أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر عليًا بقتال الناكثين ، وسمى له فيهم من سمي ، وأمره بقتال القاسطين ، وإن شئت لأخيمنك شك شهودا يشهدون أن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة النساء ٩٣ (٢) الرجرجة : البقية ، وأصله في الماء .

(٣) أنصل السهم : أزال عنه النصل .



إِنَّمَا نَهَاكَ وَحَدَّكَ ، وَحَذَّرَكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْفِتْنَةِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَعْطَنِي يَدَكَ عَلَى مَا سَمِعْتَ ، فَحَدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَارُ : غَلَبَ اللَّهُ مَنْ غَالِبَهُ وَجَاهَدَهُ ! ثُمَّ جَذَبَهُ فَزَلَ عَنْ الْمَنَبَرِ .

\*\*\*

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي " التَّارِيخِ " قَالَ : لَمَّا أَتَى عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخَبْرُ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ بِأَمْرِ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْعِرَاقِ ، خَرَجَ يُبَادِرُ<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ يَرْجُو أَنِ يَدْرِكَهُمْ وَيُرَدِّهِمْ ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ إِلَى الرَّبَذَةِ أَتَاهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَمَعَنُوا ، فَأَقَامَ بِالرَّبَذَةِ أَيَّامًا ، وَأَتَاهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْبَصْرَةَ ، فَسَرَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَشَدُّ لِي حُبًّا ، وَفِيهِمْ رُؤَسَاءُ الْعَرَبِ وَأَعْلَامُهُمْ . فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ : إِنِّي قَدْ اخْتَرْتُكُمْ عَلَى الْأُمُصَارِ ، وَإِنِّي بِالْأَثَرِ<sup>(٢)</sup> .



مركز تحقيقات كنج پور علوم اسلامی

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : كَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرَّبَذَةِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ اخْتَرْتُكُمْ ، وَآثَرْتُ النُّزُولَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ، لَمَّا أَعْرَفَ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَحُبِّكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَمَنْ جَاءَنِي وَنَصَرَنِي فَقَدْ أَجَابَ الْحَقَّ ، وَوَقَفَى الَّذِي عَلَيْهِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَأَوَّلُ مَنْ بَعَثَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرَّبَذَةِ إِلَى الْكُوفَةِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، فَجَاءَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى أَبِي مُوسَى ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَيْهِمْ لِيَسْتَشِيرُوهُ<sup>(٣)</sup> فِي الْخُرُوجِ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا سَبِيلُ الْآخِرَةِ فَإِنْ تَقَعَدُوا وَأَمَّا سَبِيلُ الدُّنْيَا فَإِنْ تَخْرُجُوا .

وَبَلَغَ الْحَمِيدَيْنِ قَوْلُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَأَتِيَاهُ وَأَغْلَظَالَهُ ، فَأَغْلَظَ لَهَا ، وَقَالَ :

(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ١ : ٣١٠٦

(١) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ يُبَادِرُهُم

(٣) ب : « يَسْتَشِيرُونَهُ » .



لا يحل لك القتال مع علي حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قتل حيث كان .  
وقالت أخت علي بن عدي ، من بني عبد العزى بن عبد شمس ، وكان أخوها علي  
ابن عدي من شيعة علي عليه السلام ، وفي جملة عسكره :

لاهم فاعقر بعلي جملة ولا تبارك في بعير حمله

\* ألا علي بن عدي ليس له <sup>(١)</sup> \*

قال أبو جعفر : ثم أجمع علي عليه السلام على السير من الربذة إلى البصرة ، فقام إليه  
رفاعة بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أي شيء تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ قال :  
أما الذي نريد وننوي فإصلاح ؛ إن قبلوا منا وأجابوا إليه ، قال : فإن لم يقبلوا ، قال :  
ندعوهم ونعطهم من الحق ما نرجو أن يرضوا به <sup>(٢)</sup> ، قال فإن لم يرضوا ، قال : ندعهم  
ما تركونا : قال : فإن لم يتركونا ، قال : نمتنع منهم ، قال : فنعم إذا .  
وقام الحجاج بن غزيرة الأنصاري ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لأرضينك بالفصل ،  
كما أرضيتني منذ اليوم بالقول . ثم قال :

دراكها دراكها قبل الفوت وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت

\* لا وألت نفسي إن خفت الموت \*

والله لنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصارا .

قال أبو جعفر رحمه الله : وسار علي عليه السلام نحو البصرة ، ورايته مع ابنه محمد  
ابن الحنفية ، وعلى ميمنته عبد الله بن عباس ، وعلى ميسرته عمر بن أبي سلمة ، وعلي  
عليه السلام في القلب على ناقة حمراء ، يقود فرساً كميثاً <sup>(٣)</sup> . فتلقاء بفيد غلام من

(١) تاريخ الطبري ١ : ٣١٣٩ ، مع تصرف واختصار .

(٢) الطبري : « وندعوهم الحق ونصبر » .

(٣) الكميث من الخيل : الذي خالط حرته قنوء ؛ أي سواد غير خالص .



بنى سعد بن ثعلبة ، يدعى مُرّة ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قيل : هذا أمير المؤمنين ، فقال :  
 سفرة قانية ، فيها دماء من نفوس قانية . فسمعها على عليه السلام فدعاه ، فقال : ما اسمك ؟  
 قال : مُرّة ، قال : أمر الله عيشك ! أكاهن سائر اليوم ؟ قال : بل عائف ، فخلّ سبيله . ونزل بفئيد  
 فأتته أسد وطي ، فمرضوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، ففى المهاجرين كفاية .  
 وقدم رجل من الكوفة فئداً ، فأتى عليا عليه السلام ، فقال له : من الرجل ؟  
 قال : عامر بن مطرف ، قال : الليثي ؟ قال : الشيباني ، قال : أخبرني عما وراءك ؟ قال :  
 إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبك ، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس لك بصاحب .  
 فقال عليه السلام : ما أريد إلا الصلح إلا أن يُردّ علينا<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : وقدم عليه عثمان بن حنيف ، وقد نتف طلحة والزبير شعر رأسه  
 ولحيته وحاجبيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بعثني ذالحية ، وجئتك أمرد ، فقال : أصبت  
 خيرا وأجرا . ثم قال : أيها الناس ، إن طلحة والزبير بايعاني ، ثم نكثاني بيعتي ، وألبا  
 على الناس ، ومن العجب انقيادها لأبي بكر وعمر وخلافهما علي ، والله إنهما ليعلمان  
 أني لست بدونهما<sup>(٢)</sup> . اللهم فاحلّ ماعقدا ، ولا تبرم ما أحكما في أنفسها ، وأرهما المساءة  
 فيما قد عملا<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : وعاد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر إلى علي عليه السلام ، فلقياه  
 وقد انتهى إلى ذي قار ، فأخبراه الخبر ، فقال علي عليه السلام لعبد الله بن العباس :  
 اذهب أنت إلى الكوفة ، فادع أبا موسى إلى الطاعة ، وحذّره من العصيان والخلاف ،  
 واستنفر الناس . فذهب عبد الله بن عباس حتى قدم الكوفة ، فلقى أبا موسى ، واجتمع  
 الرؤساء من أهل الكوفة . فقام أبو موسى فخطبهم ، وقال : إن أصحاب رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم محبوبوه في مواطن كثيرة ، فهم أعلم بالله ممن لم يصحبوه ، وإن لكم علي حقا ،

(١) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤١ - ٣١٤٣ (٢) الطبري : « بدون رجل » .

(٣) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤٣ ، ٣١٤٤ .



وأنا مؤذيه إليكم ، أمر ألا تستخفوا بسلطان الله ، وألا تجترثوا [ على الله ] وأن تأخذوا كل من قدم عليكم من أهل المدينة في هذا الأمر ، فتردوه إلى المدينة ، حتى تجتمع الأمة على إمام ترتضى به ؛ إنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، أغمدوا سيوفكم ، وأنصلوا أسننتكم ، واقطعوا أوتار قسيكم ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة .

قال أبو جعفر رحمه الله : فرجع ابن عباس إلى علي عليه السلام ، فأخبره ، فدعا الحسن ابنه عليه السلام وعمار بن ياسر ، وأرسلهما إلى الكوفة ، فلما قدماها كان أول من أتاها مسروق بن الأجدع ، فسلم عليهما ، وأقبل على عمار ، فقال : يا أبا اليقظان ، علام قتلتم أمير المؤمنين ؟ قال : على شتم أعراضنا ، وضرب أبقارنا قال : فوالله ما عاقبتكم بمثل ما عاقبتكم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين . ثم خرج أبو موسى فلقى الحسن عليه السلام فضمه إليه ، وقال لعمار : يا أبا اليقظان ، أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين <sup>(١)</sup> ، وأحلت نفسك مع القبحار ؟ قال : لم أفعل ، ولم تسوءني ؟ فقطع عليهما الحسن ، وقال لأبي موسى : يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ، فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، قال أبو موسى : صدقت بأبي وأمي ! ولكن المستشار مؤتمن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ستكون فتنة » <sup>(٢)</sup> .. وذكر تمام الحديث . فغضب عمار وساء ذلك ، وقال : أيها الناس ، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك له خاصة ، وقام رجل من بني تميم فقال لعمار : اسكت أيها العبد ! أنت أمس مع الغوغاء ، وتسافه أميرنا اليوم ! وثار زيد بن صوحان وطبقتة ، فانتصروا لعمار ، وجعل أبو موسى يكف الناس ويردعهم عن الفتنة . ثم انطلق حتى صعد المنبر ، وأقبل زيد بن صوحان ومعه كتاب من عائشة إليه خاصة ، وكتاب منها إلى أهل الكوفة عامة ، تثبطهم عن نصرته

(١) الطبري : « أعدوت فيمن عدا » (٢) بقية الحديث : « القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب » .



عليّ ، وتأمرهم بلزوم الأرض ، وقال : أيّها الناس ، انظروا إلى هذه ، أمرت أن تقرّ في بيتها ، وأمرنا نحن أن نقاتل ، حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به ، فقام إليه شبّث بن ربعيّ . فقال له : وما أنت وذاك أيّها العُمانيّ الأحمق ! سرقتَ أمس بَحْلُولاً ، فقطعتك الله ، ونسبَ أم المؤمنين ! فقام زيد ، وشال يده المقطوعة وأوماً بيده إلى أبي موسى وهو على المنبر ، وقال له : يا عبدَ الله بن قيس ، أتردّ الفرات عن أمواجه ! دَعُ عَنْكَ مَالِيَتَ تَدْرِكُهُ ، ثم قرأ : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ... ﴾ <sup>(١)</sup> الآيتين ، ثم نادى : سيروا إلى أمير المؤمنين وصراط سيّد المرسلين ، وانفروا إليه أجمعين . وقام الحسن بن عليّ عليه السلام ، فقال : أيّها الناس ، أجيئوا دعوة إمامكم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر مَنْ ينفِرُ إليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثلُ في العاجلة ، وخيرُ في العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعينونا على أمرنا ؛ أصلحكم الله !

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

وقام عبد خير فقال : يا أبا موسى ، أخبرني عن هذين الرجلين ، ألم يبايعا عليا ! قال : بلى ، قال : أفأحدث عليّ حدثاً يحلّ به نقض بيعته . قال : لا أدري ، قال : لا دريت ولا أتيت ! إذا كنت لا تدري فنحن تاركوك حتى تدري . أخبرني : هل تعلم أحداً خارجاً عن هذه الفرق الأربع : عليّ بظهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة رابعة بالحجاز قعود لا يحجي بهم فناء ، ولا يقاتل بهم عدو ! فقال أبو موسى : أولئك خيرُ الناس ، قال عبد خير : اسكت يا أبا موسى ، فقد غلب عليك غشّك <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

قال أبو جعفر : وأنت الأخبار عليّاً عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة ، فقال للأشتر : أنت شفعت في أبي موسى أن أقرّه على الكوفة ، فاذهب فأصلح ما أفسدت ،

(١) سورة العنكبوت ١ - ٣ (٢) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤٦ - ٣١٤٢ مع تصرف واختصار .



فقام الأشتر ، فشخص نحو الكوفة ، فأقبل حتى دخلها والناس في المسجد الأعظم ، فجعل لا يمر بقبيلة إلا دعاهم ، وقال : اتبعوني إلى القصر ، حتى وصل القصر ، فافتحه وأبوموسى يومئذ يخطب الناس على المنبر ، ويتبسطهم ، وعمار يخاطبه ، والحسن عليه السلام يقول : اعتزل عملنا وتنفح عن منبرنا ، لا أم لك !

قال أبو جعفر : فروى أبو مريم الثقفى ، قال : والله إني لفي المسجد يومئذ إذ دخل علينا غلمان أبي موسى يشتدون ويبادرون<sup>(١)</sup> أبا موسى : أيها الأمير ، هذا الأشتر قد جاء ، فدخل القصر ، فضر بنا وأخرجنا . فنزل أبو موسى من المنبر ، وجاء حتى دخل القصر ، فصاح به الأشتر : اخرج من قصرنا لا أم لك ، أخرج الله نفسك ! فوالله إنك لمن المنافقين قديماً . قال : أجلني هذه العشيّة ، قال : قد أجلتك ، ولا تبين في القصر [ الليلة ]<sup>(٢)</sup> . ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى ، فمنهم الأشتر ، وقال : إني قد أخرجته وعزلته عنكم ، فكف الناس حينئذ عنه<sup>(٣)</sup> .

مركز تحقيق تكملة تاريخ الطبري

\*\*\*

قال أبو جعفر : فروى الشعبي ، عن أبي الطفيل ، قال : قال علي عليه السلام : يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل واحد ، فوالله لقدت على نجفة<sup>(٤)</sup> ذي قار ، فأحصيتهم واحدا واحدا ، فما زادوا رجلاً ، ولا نقصوا رجلاً<sup>(٥)</sup> .

\*\*\*

### [ فصل في نسب عائشة وأخبارها ]

وينبغي أن نذكر في هذا الموضع طرفاً من نسب عائشة وأخبارها ، وما يقوله أصحابنا المتكلمون فيها ، جرياً على عادتنا في ذكر مثل ذلك كلما مررنا بذكر أحد من الصحابة .

(١) الطبري : « ينادون » . (٢) من الطبري (٣) تاريخ الطبري ١ : ٣١٥٣ ، ٣١٥٤

(٤) في الأصول : « لجة » ، والصواب ما أثبتته من الطبري . والنجفة : المكان المشرف على ماحولة

(٥) تاريخ الطبري ١ : ٣١٧٣ ، ٣١٧٤ . من الأرض .



أما نسبها ، فإنها ابنة أبي بكر ، وقد ذكرنا نسبه فيما تقدم ، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دُهان بن الحارث بن تميم بن مالك بن كنانة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة بسنتين - وقيل بثلاث - وهي بنت ست سنين - وقيل بنت سبع سنين - وبني عليها بالمدينة وهي بنت تسع ، لم يختلفوا في ذلك .

وكانت تذكر لجبير بن مطعم ، وتسمى له ، وورد في الأخبار الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أرى عائشة في المنام في سرقة حرير ، متوفى خديجة رضى الله عنها ، فقال : إن يكن هذا من عند الله يُمضِه ؛ فتزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين ، وتزوجها في شوال ، وأعرس بها بالمدينة في شوال ، على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجرة إلى المدينة<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " ، : كانت عائشة تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحببتها في شوال على أزواجهن ، وتقول : هل كان في نساءه أحظى عنده مني وقد نكحني وبني علي في شوال<sup>(١)</sup> !

قلت : قرئ هذا الكلام على بعض الناس ، فقال : كيف رأت الحال بينها وبين أحمائها وأهل بيت زوجها !

وروى أبو عمر بن عبد البر ، في الكتاب المذكور : أن رسول الله صلى الله عليه وآله توفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة ، فكان سنّها معه تسع سنين ، ولم ينكح بكراً غيرها ، واستأذنت رسول الله صلى الله عليه وآله في الكنية ، فقال لها : اكتني بابنك عبدالله بن الزبير - يعني ابن أختها - فكانت كنيته أم عبدالله ، وكانت فقيهة عالمة بالفرائض والشعر والطب<sup>(١)</sup> .



وروى أن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام » ، وأصحابنا يحملون لفظة النساء في هذا الخبر على زوجاته ، لأن فاطمة عليها السلام عندهم أفضل منها ، لقوله صلى الله عليه وآله : « إنها سيّدة نساء العالمين » .

وقد رُفِت بصفوان بن المعطل السلمي في سنة ست ، منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من غزاة بني المصطلق - وكانت معه - فقال فيها أهل الإفك ما قالوا ، ونزل القرآن ببراءتها .

وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها ، وإنما أنزلت في حارية القبطية ، وما قد رُفِت به مع الأسود القبطي . وحجدهم لإنزال ذلك في عائشة حجة لما يعلم ضرورة من الإخبار المتواترة ، ثم كان من أمرها وأمر حفصة وما جرى لهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الأمر الذي أسره على إحداها ما قد نطق الكتاب العزيز به . واعتزل رسول الله صلى الله عليه وآله نساء كلهن ، واعتزلها معهن ثم صالحهن ، وطلق حفصة ثم راجعها ؛ وجرت بين عائشة وفاطمة إبلغات ، وحديث يوغر الصدور ، فتوالد بين عائشة وبين علي عليه السلام نوع ضعيفة ، وانضم إلى ذلك إشارته على رسول الله صلى الله عليه وآله في قصة الإفك بضرب الحارية وتقريرها ، وقوله : « إني النساء كثير » .

ثم جرى حديث صلاة أبي بكر بالناس ، فزعم الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأمر بذلك ، وأنه إنما صلى بالناس عن أمر عائشة ابنته ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج متحاملاً وهو مثقل ، فنحاه عن الحراب . وزعم معظم المحدثين أن ذلك كان عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله . وقوله ثم اختلفوا ، فمنهم من قال : نحاه وصلى هو بالناس ، ومنهم من قال : بل ائتم بأبي بكر كسائر الناس ، ومنهم



من قال : كان الناس يصلّون بصلاة أبي بكر ، وأبو بكر يصلّي بصلاة رسول الله صلى عليه وآله .

ثم كان منها في أمر عثمان ، وتضريب الناس عليه ، ما قد ذكرناه في مواضعه ، ثم تلا ذلك يوم الجمل .

\*\*\*

واختلف المتكلمون في حالها وحال من حضر واقعة الجمل ، فقالت الإمامية : كفر أصحاب الجمل كلهم ؛ الرؤساء والأتباع . وقال قوم من الحشوية والعمامة : اجتهدوا فلا إثم عليهم ، ولا نحكم بخطئهم ولا خطأ علي عليه السلام وأصحابه .

وقال قوم من هؤلاء : بل نقول : أصحاب الجمل أخطئوا ، ولكنه خطأ مغفور ، وكخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع عند من قال بالأشبه ؛ وإلى هذا القول يذهب أكثر الأشعرية .

مركز تحقيقات كميته بيروت

وقال أصحابنا المعتزلة : كل أهل الجمل هالكون إلا من ثبتت توبته منهم ، قالوا : وعائشة ممن ثبتت توبتها ، وكذلك طلحة والزبير ، أما عائشة فإنها اعترفت لعلي عليه السلام يوم الجمل بالخطأ ، وسأله العفو ، وقد تواترت الرواية عنها بإظهار الندم ، وأنها كانت تقول : ليتني كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله بنون عشرة ، كلهم مثل عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام - وشككتهم - ولم يكن يوم الجمل ! وأنها كانت تقول : ليتني ميت قبل يوم الجمل ، وأنها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكي حتى تبل خمارها . وأما الزبير فرجع عن الحرب معترفاً بالخطأ لما أذكروه على عليه السلام ما أذكروه . وأما طلحة فإنه مر به - وهو صريع - فارس ، فقال له : قف ، فوقف ، قال : من أي الفريقين أنت ؟ قال : من أصحاب أمير المؤمنين ، قال : أقعدني ، فأقعده ، فقال : امدد يدك أبايعك لأمر المؤمنين ، فبايعه .



وقال شيوخنا : ليس لقائل أن يقول : ما يروى من أخبار الآحاد بتوبتهم لا يعارض ما علم قطعاً من معصيتهم . قالوا : لأنّ التوبة إنما يحكم بها للمكلف على غالب الظنّ في جميع المواضع ، لا على القطع ، ألا ترى أنا نجتز أن يكون من أظهر التوبة منافقاً وكاذباً ، فبان أن المرجع في قبولها في كلّ موضع إنما هو إلى الظنّ ، فجاز أن يعارض ما علم من معصيتهم بما يظنّ من توبتهم .



مرکز تحقیق متون کلاسیک اسلامی

(٢)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة :

وَجَزَاكُمْ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ، فَقَدْ تِمَّعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

\*\*\*

الشرح :

موضع قوله : « من أهل مصر » نصب على التمييز ، ويجوز أن يكون حالا .  
فإن قلت : كيف يكون تمييزا وتقديره : وجزاكم الله متمدين أحسن ما يجزي المطيع ؛  
والتمييز لا يكون إلا جامداً ، وهذا مشتق !  
قلت : إنهم أجازوا كون التمييز مشتقاً في نحو قولهم : « ما أنت جارة » ، وقولهم :  
« يا سيِّداً ما أنت من سيِّد » .

وما ، يجوز أن تكون مصدرية ، أي أحسن جزاء العاملين ، ويجوز أن تكون بمعنى  
الذي ، ويكون قد حذف العائد إلى الموصول ، وتقديره أحسن الذي يجزي به العاملين .



الأصل :

ومنه كتاب له عليه السلام لشرح به الحارث قاضيه :

وروي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده داراً بشمانين ديناراً ؛ فبلغه ذلك ، فاستدعى شريحاً ، وقال له : بلغني أنك ابتعت داراً بشمانين ديناراً ، وكتبت لها كتاباً ، وأشهدت فيه شهوداً . فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فتظر إليه نظراً المغضب ، ثم قال له :

يا شريح ، أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ، ولا يسألك عن بيعتك ، حتى يخرجك منها شاخصاً ، ويسلمك إلى قبرك خالصاً . فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك ، أو نقدت الثمن من غير حلالك ؛ فإذا أنت قد خيرت دار الدنيا ودار الآخرة .

أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت ، لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة ، فلم ترغب في شراء هذه الدار بالدرهم<sup>(١)</sup> فما فوق ، والنسخة هذه : « هذا ما اشترى عبد ذليل ، من ميت قد أزعج للرحيل . اشترى منه داراً من دار العرور ، من جانب الفانين ، وخطة الهالكين . وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات ، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات ؛ والحد الثالث ينتهي إلى الهوى الردي ، والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي . وفيه يشرع باب هذه الدار . اشترى هذا المغتر بالأمل ، من هذا



الْمُزْعَجِرِ بِالْأَجَلِ هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ ، وَالذُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ  
وَالضَّرَاعَةِ ؛ فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرَى فِيهَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ . فَعَلَى مُبْدِلِ أَجْسَامِ  
الْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نَفُوسِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِشْرَى وَقَيْصَرَ ، وَتَبَعٍ  
وَحَمِيرٍ ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَكَثُرَ ، وَمَنْ بَنَى وَشَيْدَ ، وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ ،  
وَأَذْخَرَ وَاعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ - إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَضِ وَالْحِسَابِ ،  
الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَمَوْضِعِ إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، ﴿ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .  
شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مَنْ أَسْرَ الْهَوَى ، وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا .

\*\*\*

## الشَّرْحُ :

[ نسب شريح وذكر بعض أخباره ]

هو شَرِيحُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُتَجَمِّعِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ جَهْمٍ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ عُفَيْرٍ <sup>(١)</sup> بْنِ عَدِيٍّ  
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدِ الْكَنْدِيِّ ؛ وَقِيلَ إِنَّهُ حَلِيفٌ لَكِنْدَةَ مِنْ بَنِي الرَّائِثِ .  
وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : لَيْسَ اسْمُ أَبِيهِ الْحَارِثُ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَرِيحُ بْنُ مَعَاوِيَةَ  
ابْنِ ثَوْرٍ .

وَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ شَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ .

وَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ شَرِيحُ بْنُ شَرَّاحِيلَ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ شَرِيحُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَيَكْنَى  
أَبَا أُمَيَّةَ . اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ قَاضِيًا سِتِينَ سَنَةً ، لَمْ يَتَعَطَّلْ  
فِيهَا إِلَّا ثَلَاثَ سَنِينَ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزَّيَّيرِ ؛ امْتَنَعَ فِيهَا مِنَ الْقَضَاءِ ، ثُمَّ اسْتَعْفَى الْحُجَّاجَ مِنْ

(١) ب : « عقر » ، والصواب ما أثبتته من الاستيعاب .

العمل فأعفاه ، فلزم منزله إلى أن مات ، وعمره طويلاً ، قيل : إنه عاش مائة سنة وثمانيا وستين ، وقيل مائة سنة ، وتوفي سنة سبع وثمانين .

وكان خفيف الروح ، مزاحاً ، فقدم إليه رجلان فأقرء أحدهما بما ادّعى به خصمه ، وهو لا يعلم فقضى عليه ، فقال لشریح : مَنْ شهد عندك بهذا ؟ قال : ابن أخت خالك . وقيل : إنه جاءت امرأته تبكي وتتظلم على خصمها ، فافترقا لها حتى قال له إنسان كانت بحضرته : ألا تنظر أيها القاضي إلى بكائها ! فقال : إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون .

وأقرء على عليه السلام شريحاً على القضاء ، مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه مذكورة في كتب الفقهاء .

واستأذنه شريح وغيره من قضاة عثمان في القضاء أول ما وقعت الفرقة ، فقال : افضوا كما كنتم تقضون حتى تكون للناس جماعة ، أو أموت كما مات أصحابي .

وسخط على عليه السلام مرة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء ، وأمره بالمقام ببائيا - وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنها اليهود - فأقام بها مدة ، حتى رضى عنه وأعادته إلى الكوفة .

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " : أدرك شريح الجاهلية ، ولا يعد من الصحابة ، بل من التابعين ، وكان شاعراً محدثاً ، وكان سناً لاشعر في وجهه (١) .

\*\*\*

قوله عليه السلام : « وَخِطَّةُ أَهْلِ الْكِبَرِ » بكسر الخاء ، وهي الأرض التي يختطها الإنسان ،

(١) الاستيعاب ٥٩٠ ، وذكر أنه توفي سنة سبع وثمانين وهو ابن مائة سنة ، وولي القضاء ستين سنة من زمن عمر إلى زمن عبد الملك بن مروان .



أى يُعلم عليها علامة بالخط ليصمها ؛ ومنه خطط الكوفة والبصرة .

وزخرف البناء ، أى ذهب جدرانها بالزخرف ، وهو الذهب .

ونجد : فرش المنزل بالوسائد ، والتجّاد: الذى يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما ، والتنجيد :

التزيين بذلك ، ويجوز أن يريد بقوله : « نجد » رفع وعلا ، من النجد ، وهو المرتفع من الأرض .

واعتقد : جعل لنفسه عقدة كالضيعة أو الذخيرة من المال الصامت .

« وإشخاصهم » مرفوع بالابتداء وخبره الجار المجرور المقدم ، وهو قوله : « فعلى

مبيل أجسام الملوك » ، وموضع الاستحسان من هذا الفصل - وإن كان كله حسناً - أمران :

أحدهما : أنه عليه السلام نظر إليه نظر مغضب ؛ إنكارا لابتياعه داراً بثمانين ديناراً ،

وهذا يدل على زهد شديد في الدنيا واستكثار للقليل منها ، ونسبه هذا المشتري إلى الأسراف ،

وخوف من أن يكون ابتاعها بمال حرام .

الثانى : أنه أملى عليه كتاباً زهدياً وعظيماً ، مماثلاً لكتب الشروط التى تكتب فى

ابتياع الأملاك ، فإنهم يكتبون : « هذا ما اشترى فلان من فلان ، اشترى منه داراً من

شارع كذا وخطه كذا ، ويجمع هذه الدار حدود أربعة ، فخدمتها ينتهى إلى دار فلان ، وحدث آخر

ينتهى إلى ملك فلان ، وحدث آخر ينتهى إلى ما كان يعرف بفلان ، وهو الآن معروف

بفلان ، وحدث آخر ينتهى إلى كذا . ومنه شروع باب هذه الدار ، وطريقها : « اشترى هذا

المشتري المذكور من البائع المذكور جميع الدار المذكورة بثمان مبلغة كذا وكذا ديناراً ،

أودرها ؛ فإدراك المشتري المذكور من درك فرجوع به على من يوجب الشرع

الرجوع به عليه » . ثم تكتب الشهود فى آخر الكتاب . شهد فلان ابن فلان بذلك ،

وشهد فلان ابن فلان به أيضاً ؛ وهذا يدل على أن الشروط المكتوبة الآن قد كانت

في زمن الصحابة تكتب مثلها أو نحوها ؛ إلا أنا ما سمعنا عن أحد منهم أنه نقل صيغة الشرط  
الفقهي، إلى معنى آخر كما قد نظم هو عليه السلام ، ولا غرو فما زال سباقاً إلى  
العجائب والغرائب !

فإن قلت : لم جعل الشيطان المغوى في الحدّ الرابع ؟  
قلت : ليقول : وفيه يشرع باب هذه الدار ، لأنه إذا كان الحدّ إليه ينتهي كان  
أسهل لدخوله إليها ودخول أتباعه وأوليائه من أهل الشيطنة والضلال .





الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه :

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ ، فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ  
إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَاسْتَفِنْ بِمَنْ أَنْقَادَ مَعَكَ ،  
عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارَةَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مُشْهَدِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى  
مِنْ نُهُوضِهِ .



مرکز تحقیقات کتب و تراث اسلامی

المشرح :

انهد : أى انهض . وتقاعس ، أى أبطأ وتأخر .

والمتكاره : الذى يخرج إلى الجهاد من غير تيقن وبصيرة ، وإنما يخرج كارها مرتابا ،

ومثل قوله عليه السلام : « فَإِنَّ الْمُتَكَارَةَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مُشْهَدِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ

نُهُوضِهِ » قوله تعالى : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾<sup>(١)</sup> .

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأُسَعة بن قيس ، وهو عامل أذربيجان :  
وَإِنْ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعَى لِمَنْ  
فَوْقَكَ ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ  
مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ مِنْ خَزَائِنِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَى ، وَلَعَلِّي أَلَا أَكُونُ شَرًّا  
وَلَا تَكَّ لَكَ . وَالسَّلَامُ .



الشُّرْحُ :

قد ذكرنا نسب أشعث بن قيس فيما تقدم : *بدر صوري*  
وأذربيجان : اسم أعجمي غير مصروف ، الألف مقصورة ، والذال ساكنة . قال  
حبيب :

وأذربيجان احتيال ، بعد ما كانت معرَّس عِبرة ونكال<sup>(١)</sup>

وقال الشماخ :

تَذَكَّرْتُهَا وَهَنًا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا قُرَى أَذَرَبَيْجَانَ الْمَسَاحُ وَالْجَالُ  
وَالنَّسَبُ إِلَيْهِ أَذَرِيَّ بِسُكُونِ الذَّالِ ، هَكَذَا الْقِيَاسُ ، وَلَكِنْ الْمُرُوءُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ  
فِي الْكَلَامِ الَّذِي قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : « وَلَتَأْمَنَ النَّوْمُ عَلَى الصُّوفِ الْأَذَرِيَّ » بَفَتْحِ الذَّالِ .  
وَالطُّعْمَةُ بِضَمِّ الطَّاءِ الْمِهْمَلَةِ : الْمَأْكَلَةُ ، وَيُقَالُ : فَلَانُ خَبِيثِ الطُّعْمَةِ ، أَيْ رَدَى الْكَسْبِ .  
وَالطُّعْمَةُ بِالْكَسْرِ لَهِيئَةُ التَّطَعُّمِ ، يَقُولُ : إِنْ عَمَلَكَ لَمْ يَسُوِّغْهُ الشَّرْعُ ، وَالْوَالِي مِنْ قَبْلِي إِيَّاهُ ؛



ولا جعله لك أكلاً؛ ولكنه أمانة في يدك وعنقك للمسلمين ، وفوقك سلطان أنت له رعية  
فليس لك أن تفتات في الرعية الذين تحت يدك ، يقال : افتات فلان على فلان ، إذا فعل  
بغير إذنه ماسبيله أن يستأذنه فيه ، وأصله من القوت وهو السبق ، كأنه سبقه إلى ذلك الأمر .  
وقوله : « ولا تخاطر إلا بوثيقة » ، أى لا تقدم على أمر مخوف فيما يتعلق بالمال  
الذى تقولاه إلا بعد أن تتوثق لنفسك ، يقال : أخذ فلان بالوثيقة في أمره ، أى احتاط .  
ثم قال له : « ولعل لا أكون شرّاً ولاتك » ، وهو كلام يطيب به نفسه ويسكن به  
جأشه ، لأن في أول الكلام إحاشا له ، إذ كانت ألفاظه تدلّ على أنه لم يره أميناً على المال ،  
فاستدرك ذلك بالكلمة الأخيرة ، أى ربما تحمد خلافتي وولايتي عليك ، وتصادف مني  
إحساناً إليك ، أى عسى ألا يكون شكرك لعمان ومن قبله أكثر من شكرك لي ،  
وهذا من باب وعدك الخفي ، وتسميه العرب الملك .

وأول هذا الكتاب : نز تحت كعبير علوم رسي

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس . أمّا بعد ، فلولا هئات  
وهئات كانت منك ، كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلّ أمرا كان يحمل بعضه  
بعضاً إن اتقيت الله عزّ وجلّ ، وقد كان من بيعة الناس إيتاي ما قد علمت ، وكان من أمر  
طلحة والزبير ما قد بلغك ، فخرجت إليهما ، فأبلغت في الدعاء ، وأحسنيت في البقية ،  
وإن عملك ليس لك بطعمة ... » ، إلى آخر الكلام ، وهذا الكتاب كتبه إلى الأشعث  
ابن قيس ، بعد انقضاء الجمل .

## الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ،  
فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ ، فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا ، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ  
أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْعَنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدَّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَتَى قَاتِلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ  
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا نَوَلَّى .  
وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ ، لَئِنْ نَظَرْتُ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ ، لَتَجِدَنِي أَيْبَرَأَ النَّاسِ  
مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى ، فَتَجَنَّ  
مَا بَدَأَ لَكَ ! وَالسَّلَامُ .

\*\*\*

## الْبَيْع :

قد تقدّم ذكرُ هذا الكلام في أثناء اقتصاص رسالة أمير المؤمنين عليه السلام  
معاويةَ بجزير بن عبد الله البجليّ ، وقد ذكره أرباب السيرة كلّهم ، وأورده شيوخنا  
المتكلمون في كتبهم احتجاجاً على صحة الاختيار ، وكونه طريقاً إلى الإمامة ،  
وأول الكتاب :

« أما بعد ، فإن بيعتي بالمدينة لزمّتك وأنت بالشام ، لأنه بايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا . . » ،

إلى آخر الفصل .



والمشهور المروى : « فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطلن أو رغبة » ، أى رغبة عن ذلك الإمام الذى وقع الاختيار له .

والروى بعد قوله : « ولأه الله بعدما تولى » : « وأصلاه جهنم وساءت مصيرا . وإن طلحة والزبير بايعانى ثم نقضاً بئعتى ، فكان نقضهما كرتنهما ، فجاهدتها على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلىّ فيك العافية ، إلا أن تعترض للبلاء ، فإن تعرضت له قاتلتك ، واستعنت بالله عليك ، وقد أكرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل الناس فيه ، ثم حاكم القوم إلىّ أحلك وإياهم على كتاب الله ، فأما تلك التي تريد فخذعة الصبي عن اللبن ، ولعمري يامعاوية إن نظرت بعقلك . . . » إلى آخر الكلام .

وبعده : « واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ، ولا تعترض بهم الشورى ، وقد أرسلت إليك جرير بن عبد الله البجليّ ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايع ولا قوة إلا بالله » .

واعلم أن هذا الفصل دالّ بصريحه على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة كما يذكره أصحابنا المتكلمون ، لأنه احتجّ على معاوية ببيعة أهل الحلّ والعقد له ، ولم يراع في ذلك إجماع المسلمين كلّهم ، وقياسه على بيعة أهل الحلّ والعقد لأبي بكر ، فإنه مارّعى فيها إجماع المسلمين ، لأنّ سعد بن عبادة لم يبايع ، ولا أحد من أهل بيته وولده ، ولأنّ عليّاً وبني هاشم ومن انضوى إليهم لم يبايعوا في مبدأ الأمر ، وامتنعوا ؛ ولم يتوقف المسلمون في تصحيح إمامة أبي بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم ، وهذا دليل على صحة الاختيار وكونه طريقا إلى الإمامة ، وأنه لا يقدح في إمامته عليه السلام امتناع معاوية من البيعة وأهل الشام ؛ فأما الإمامية فتحمل هذا الكتاب منه عليه السلام على التقيّة ، وتقول : إنه ما كان يمكنه

أن يصرّح معاوية في مكتوبه بباطن الحال ، ويقول له : أنا منصوب على من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعهود إلى المسلمين أن أكون خليفةً فيهم بلا فصل ، فيكون في ذلك طعن على الأئمة المتقدمين ، وتفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة ؛ وهذا القول من الإمامية دعوى لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها ، ويُصار إليها ؛ ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى تحل هذا الكلام على التقية .

فأما قوله عليه السلام : « وقد أكرّث في قتل عثمان ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلى أحلك وإيأهم على كتاب الله » ، فيجب أن يذكر في شرحه ما يقول المتكلمون في هذه الواقعة .

قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله : هذا الكلام حقّ وصواب ، لأن أولياء الدّم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته ، ثم يرفعوا خصومهم إليه ، فإن حكم بالحقّ استديمت إمامته ، وإن حادّ عن الحقّ انقضت خلافته ، وأولياء عثمان الذين هم بنوه لم يبايعوا عليّاً عليه السلام ، ولا دخلوا تحت طاعته ثمّ ، وكذلك معاوية ابن عمّ عثمان لم يبايع ولا أطاع ؛ فطالبتهم له بأن يقتصّ لهم من قاتلي عثمان قبل بيعتهم إياه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان .

فإن قلت : هب أن القصاص من قتل عثمان موقوف على ما ذكره عليه السلام ؛ أما كان يجب عليه لامن طريق القصاص أن ينهى عن المنكر ! وأنتم تذهبون إلى أن النهي عن المنكر واجب على من هو سوّقة ، فكيف على الإمام الأعظم !

قلت : هذا غير وارد ها هنا ، لأن النهي عن المنكر إنّما يجب قبل وقوع المنكر ، لكيلا يقع ؛ فإذا وقع المنكر ، فأى نهى يكون عنه ! وقد نهى على عليه السلام أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله سراراً ، ونايذهم بيده ولسانه وبأولاده فلم يغنر



شيئاً ، وتفاقم الأمر حتى قُتل ؛ ولا يجب بعد القتل إلا القصاص ، فإذا امتنع أولياءه  
الدم من طاعة الإمام لم يجب عليه أن يقتص من القاتلين ، لأن القصاص حقهم ، وقد  
سقط ببيعهم على الإمام وخروجهم عن طاعته . وقد قلنا نحن فيما تقدم : إن القصاص  
إنما يجب على مَنْ باشر القتل ؛ والذين باشروا قتل عثمان قُتلوا يوم قتل عثمان في دار عثمان ،  
والذين كان معاوية يطالبهم بدم عثمان لم يباشروا القتل ، وإنما كثروا السواد وحاصروا  
عثمان في الدار ، وأجابوا عليه وشتموه وتوعدوه ، ومنهم مَنْ تسوّر عليه داره ولم ينزل  
إليه ، ومنهم مَنْ نزل فحضر محضر قتله ولم يشرك فيه ، وكل هؤلاء لا يجب عليهم  
القصاص في الشرع .



### [ جرير بن عبد الله البجلي عند معاوية ]

وقد ذكرنا فيما تقدم شرح حال جرير بن عبد الله البجلي في إرسال علي عليه السلام  
إياه إلى معاوية مستقصي . وذكر الزبير بن بكار في "الموفقيات" ، أن عليا عليه السلام  
لما بعث جريرا إلى معاوية ، خرج وهو لا يرى أحداً قد سبقه إليه ، قال : فقدمت على  
معاوية فوجدته يخطب الناس وهم حوله يبكون حول قيص عثمان وهو معلق على رُمح  
مخضوب بالدم ؛ وعليه أصابع زوجته نائلة بنت الفرافصة مقطوعة ، فدفعت إليه كتاب  
علي عليه السلام ، وكان معي في الطريق رجلٌ يسير بسيري ، ويقيم بمقامي ، فمَثُلَ بين  
يديه في تلك الحال وأنشده :

إن بني عمك عبد المطلب هم قتلوا شيخكم غير كذب

\* وأنت أولى الناس بالوثب فيثب \*

وقد ذكرنا تمام هذه الأبيات فيما تقدم .

قال ثم دفع إليه كتابا من الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط ؛ وهو أخو عثمان لأنه ،  
كتبه مع هذا الرجل من الكوفة سرا أولا :

\* مُعَاوِيَ بْنَ الْمَلِكِ قَدْ جُبَّ غَارِبُهُ \*<sup>(١)</sup>

الآيات التي ذكرنا فيما تقدم .

قال : فقال لي معاوية : أقم فإن الناس قد نفروا عند قتل عثمان حتى يكتنوا .  
فأقمت أربعة أشهر ، ثم جاءه كتاب آخر من الوليد بن عُقبة ، أولا :

أَلَا أَبْلِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَإِنَّكَ مِنْ أَخِي ثَقَرٍ مُلِيمٍ<sup>(٢)</sup>  
قَطَعْتَ الدَّهْرَ كَالسَّدِيمِ الْمَعْنَى تَهْدِرُ فِي دَمَشَقٍ وَلَا تَرِيمُ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَذَابُفَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ<sup>(٤)</sup>  
فَلَوْ كُنْتَ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لَشَرَّ لَا أَلْفٌ وَلَا سَعْدٌ<sup>(٥)</sup>

قال : فلما جاءه هذا الكتاب وصل بين طومارين<sup>(٥)</sup> أبيضين ، ثم طواها

وكتب عنوانها .

(١) الملهم : من وقع منه ما يلام عليه .

(٢) السديم في الأصل : الذي يرغب عن خلقه ، فيجال بينه وبين الآفة ؛ والبيت في اللسان ١٥ : ١٧٦

(٣) يقول : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فسادك كالمرأة التي تدبغ الأديم الخلم الذي وقعت فيه الخلة  
( وهي دودة ) فنقبت وأفسدته فلا ينتفع به . وقد وردت الأربعة في اللسان ( حلم ) ، وذكر بعدها :

لَكَ الْوَيْلَاتُ أَقْجَمًا عَلَيْهِمْ فَخَيْرُ الطَّالِبِ الثَّرَةُ الْغَشُومُ  
فَقَوْمُكَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ تَرَدُّوا فَهُمْ صَرَعَى كَأَنَّهُمُ الْهَشِيمُ

(٤) رواية هذا البيت في اللسان :

فَلَوْ كُنْتَ الْمُصَابَ وَكَانَ حَيًّا تَجَرَّدَ ، لَا أَلْفٌ وَلَا سَعْدٌ

(٥) الطومار : الصحيفة .



« من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب » .

ودفعهما إلى ، لا أعلم ما فيهما ، ولا أظنهما إلا جواباً ، وبعث معي رجلاً من بني عتبس لا أدري مامعه ، فخرجنا حتى قدمنا إلى الكوفة ، واجتمع الناس في المسجد ، لا يشكُّون أنها بيعة أهل الشام ؛ فلما فتح علي عليه السلام الكتاب لم يجد شيئاً ، وقام العباسي ، فقال : مَنْ هاهنا من أحياء قيس ، وأخص من قيس غطفان ، وأخص من غطفان عَيسَا ؟ إني أحلف بالله لقد تركت تحت قيص عثمان أكثر من خمسين ألف شيخ خاضعي لحاهم بدموع أعينهم ، متعاقدين متحالفين ، ليقتُلان قَتَلَتَهُ في البر والبحر ، وإني أحلف بالله ليقتحمنا عليكم ابنُ أبي سفيان بأكثر من أربعين ألفاً من خِصيان الخيل ، فما ظنكم بعد بما فيها من القُحول . ثم دفع إلى علي عليه السلام كتاباً من معاوية ففتحه فوجد فيه :

أتاني أمرٌ فيه للنفس عُقَّةٌ وفيه اجتداعٌ للأُتُوف أُصِيلُ  
مصائبُ أمير المؤمنين وهَدَّةٌ تكادُ لها صُمُّ الجبالِ تَزُولُ  
وقد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدّم .

الأصل :

ومن كتاب منه عليه السلام إليه أيضا :

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَنَّبَنِي مَوْعِظَةُ مَوْصَلَةٍ ، وَرِسَالَةُ مُحَبَّرَةٍ ، تَنْقُتُهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضِيَتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ . وَكِتَابُ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَاَجَابَهُ ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ لَا غِطَاءَ ، وَضَلَّ خَابِطًا .



الشرح :

موعظة موصلة ، أى مجموعة الألفاظ من هاهنا وهاهنا ، وذلك عيب فى الكتابة والخطابة ، وإنما الكاتب من يرتجل فيقول قولاً فصلاً ، أو يروى فيأتى بالبديع المستحسن وهو فى الحالين كلاهما يُنفق من كيسه ، ولا يستعير كلام غيره .

والرسالة المحبرة : المزيّنة الألفاظ ؛ كأنه عليه السلام يشير إلى أنه قد كان يظهر عليها أثر التكلف والتصنع .

والتنسيق : التزيين أيضاً .

وهَجَرَ الرَّجُلَ ، أى هَذَى ، ومنه قوله تعالى فى أحد التفسيرين : ﴿ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (١) .

واللأغط : ذو اللفظ ، وهو الصوت والجلبة .



وخبِط البعير فهو خابط ، إذا مشى ضالًّا فخبِط بيديه كلَّ ما يُلْقاه ،  
لا يتوقَّ شيئًا .

\*\*\*

وهذا الكتاب كتبه عليٌّ عليه السلام جواباً عن كتاب كتبه معاويةٌ إليه في أثناء  
حرب صفِّينَ بل في أواخرها ، وكان كتاب معاوية :

« من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد ، فإنَّ  
الله تعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ  
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وإني أحذرك الله أن  
تخبِط عملك وسابقتك بشقِّ عصا هذه الأمة وتفرِّق جماعتها ، فاتق الله واذكر موقف  
القيامة ، وأقلع عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين ، وإني سمعتُ رسول الله  
صلى الله عليه وآله يقول : « لو تمالأ أهلُ صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين  
لأَكَبَهُمُ اللهُ على مناخرهم في النار » ، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات  
المهاجرين ، بله ما طعنتُ رَحاً حربيه من أهل القرآن ، وذى العبادة والإيمان ، من شيخ  
كبير ، وشابٍّ غَرِيرٍ ، كلَّهم بالله تعالى مؤمن ، وله مخلص ، وبرسوله مقرِّ عارف ! فإن كنتَ  
أبا حسن إنما تحارب على الإمرة والخلافة ، فلعمري لو صحَّت خلافتك لسكنتَ قريباً  
من أن تعذر في حرب المسلمين ، ولكنتها ماصحت لك ؛ أني بصحتها وأهل الشام لم  
يدخلوا فيها ، ولم يرتضوا بها ! وخف الله وسَطَواته ، واتق بأسه ، ونكاله ، وأخذ سيفك  
عن الناس ، فقد والله أَكَلْتَهُمُ الحرب ، فلم يبقَ منهم إلا كالثمد في قرارة الفسدير  
والله المستعان . »

فكتب عليٌّ عليه السلام إليه جواباً عن كتابه :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان : « أما بعد فقد أتتني منك موعظةٌ موصلةٌ ، ورسالةٌ محبرةٌ ، نمتها بضالك ، وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتاب امرئٍ ليس له بصَرٌّ يهديه ، ولا قائد يُرشده ، دعاه الهوى فأجابهُ ، وقاده الضلال فاتبعهُ ، فمَجَرَ لا غِطاً ، وضلَّ خابطاً ، فأما أمرُك لي بالتقوى فأرجو أن أكونَ من أهلها ، وأستعِذ بالله من أن أكونَ من الذين إذا أمرُوا بها أخذتهم العزة بالإثم . وأما تحذيرُك إياي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام ، فلعمري لو كنتُ الباغى عليك ، لكان لك أن تحذرنِي ذلك ، ولكنني وجدت الله تعالى يقول : ﴿ فَقَاتِلُوا آلَ بَغِيٍّ حَتَّى تَبْغِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فنظرنا إلى الفتنة ، أما الفتنة الباغية فوجدناها الفتنة التي أنت فيها ، لأن بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام ، كما لزمك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام ، وكما لزمك يزيد أخاك بيعة عمر وهو أمير لأبي بكر على الشام . وأما شق عصا هذه الأمة ، فأنا أحق أن أنهار عنه . فأما تخويفُك لي من قتل أهل البغي ، فإن رسول الله صلى عليه وآله أمرني بقتلهم وقتلهم ، وقال لأصحابه : « إِنْ فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَتْ عَلَى تَزْيِيلِهِ » ، وأشار إلي وأنا أولى من اتبع أمره .

وأما قولك : إن بيعتي لم تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها ! كيف وإنما هي بيعة واحدة ، تلزم الحاضر والغائب ، لا يُثنى فيها النظر ، ولا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعنٌ ، والمروءى فيها مُداهن . فاربّع على ظلمك ، وانزع سربال غيِّك ، واترك مالا جدوى له عليك ، فليس لك عندي إلا السيف ، حتى تنفيء إلى أمر الله صاغراً ، وتدخل في البيعة راغماً . والسلام .



## الأصل :

ومن هذا الكتاب :

لِأُمَّهَا بَيْمَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثْنَى فِيهَا النَّظَرُ ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ .

\*\*\*

## الشرح :

لا يثنى فيها النظر ، أى لا يعاود ولا يراجع ثانية . ولا يستأنف فيها الخيار : ليس بعد عقدها خيار لمن عقدها ولا لغيرهم ، لأنها تلزم غير العاقدين كما تلزم العاقدين ، فيسقط الخيار فيها ، الخارج منها طاعن على الأمة ، لأنهم أجمعوا على أن الاختيار طريق الإمامة . والمروى فيها مداهن ، أى الذى يرتضى ويبطىء عن الطاعة ويفكر ، وأصله : من الروية ، والمداهن : المنافق .

## الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أُرسل إلى معاوية :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاتَّحِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ،  
ثُمَّ خِيَرَهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِّيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِ ،  
وَإِنْ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ . وَالسَّلَامُ .



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

## الشرح :

قد تقدم ذكر نسب جرير بن عبد الله البجلي .

وقوله عليه السلام : « فاحل معاوية على الفصل » ، أى لا تتركه متركاً متردداً ،  
يُطْعِمُكَ تَارَةً وَيُؤْيِسُكَ أُخْرَى ، بل احمله على أمر فيُصَلِّ ، إما البيعة ، أو أن  
يأذن بالحرب .

وكذلك قوله : « وخذه بالأمر الجزم » ، أى الأمر المقطوع به ، لا تكن ممن يُقدِّم  
رجالاً ويؤخر أخرى ، وأصل الجزم القطع .

وحرب مُجَلِّيَّة : تُجَلِّي المَقهورين فيها عن ديارهم ، أى تُخْرِجهم .  
وسِلْمٌ مُخْزِيَّة ، أى فاضحة ؛ وإنما جعلها مخزية لأن معاوية امتنع أولاً من البيعة ؛  
فإذا دخل في السِّلْمِ فإنما يدخل فيها بالبيعة ، وإذا بايع بعد الامتناع ؛ فقد دخل تحت  
الهضم ورَضِيَ بالضم ؛ وذلك هو الخزي .



قوله « فَاَنْبِذْ اِلَيْهِ » من قوله تعالى: ﴿ فَانْزِلْهُمْ اِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ <sup>(١)</sup> وأصله العهد والهدنة وعقد الحلف يكون بين الرجلين أو بين القبيلتين ، ثم يبدولها في ذلك فينتقلان إلى الحرب فينبذ أحدهما إلى الآخر عهده ، كأنه كتاب مكتوب بينهما قد نبذه أحدهما يوم الحرب وأبطله ، فاستعير ذلك للمجاهرة بالعداوة والمكاشفة ، ونسخ شريعة السلام السابقة بالحرب المعاقبة لها .



الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا ، وَاجْتِيَا حَاصِلِنَا ، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ ،  
وَمَنَعُونَا الْمَذَبَ ، وَأَحْلَسُونَا الْخُوفَ ، وَأَضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَغَرٍّ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا  
نَارَ الْحَرْبِ .

فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حَوْمَتِهِ ، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي  
بِذَلِكَ الْأَجَرَ ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خُلُوًّا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ  
يَحْلِفُ بِمَنَعِهِ ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَاسُ ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ  
أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَ بِهِمِ أَصْحَابَهُ حَرَ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ  
بَدْرٍ ، وَقُتِلَ خَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوتَةِ ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ  
أَسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ، وَلَكِنْ آجَالُهُمْ عَجَلَتْ ، وَمَنْيَتُهُ أَخَّرَتْ .

فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ ! إِذَا صِرْتَ يُقَرَّنُ بِمَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَأَبِي  
الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا ، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَالًا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ .  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ  
أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيْكَ وَشِقَاقِكَ ،  
لَتَعْرِقَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا جَبَلٍ



وَلَا سَهْلٌ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبَ بِسُوءِكَ وَجَدَانَهُ ، وَزَوَّرَ لَا بِسُرُّكَ لُقْيَانَهُ .  
وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

\*\*\*

### الشَّنْخُ :

قوله عليه السلام : « فَأَرَادَ قَوْمُنَا » ، يعني قريشا .  
والاجتياح : الاستئصال ، ومنه الجائحة وهي السَّنة ، أو الفتنة التي تجتاح المال  
أو الأنفس .

قوله : « ومنعونا العذب » ، أى العيش العذب . لا أنهم منعهم الماء العذب ، على  
أنه قد نقل أنهم منعوا أيام الحصار في شِغْبِ بنى هاشم من الماء العذب .  
وسنذكر ذلك .

قوله : « وأحلسونا الخوف » ، أى ألزموناه . والحلس : كساء رقيق يكون تحت  
برذعة البعير .

وأحلاس البيوت : ما يبسط تحت حُرِّ الثياب ، وفي الحديث : « كن حِلْسَ بيتك » ،  
أى لا تخالط الناس واعتزل عنهم ، فلما كان الحلس ملازماً ظهر البعير ، وأحلاس البيوت  
ملازمة لها ، قال : « وأحلسونا الخوف » ؛ أى جعلوه لنا كالْحِلْسِ الملائم .

قوله : « واضطرونا إلى جبل وعر » ، مثل ضَرْبَةٍ عليه السلام لخشونة مقامهم  
وشظف منزلهم ، أى كانت حالنا فيه كحال من اضطر إلى ركوب جبل وعر ، ويجوز  
أن يكون حقيقة لا مثلاً ، لأن الشعب الذى حصروهم فيه مضيق بين جبلين .

قوله : « فعزم الله لنا » ، أى قضى الله لنا ، ووقفنا لذلك ، وجعلنا عازمين عليه .  
والحوزة : الناحية ، وحوزة الملك : بيئته .

وحومة الماء والرمل : معظمه .

والرمي عنها : المناضلة والمحاماة ، ويروى : « والرمي من وراء حرمة » ، والضمير في « حوزته » و « حومته » راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وقد سبق ذكره ، وهو قوله : « نبينا » ، ويروى « والرّميا » .

وقال الراوندى : « وهما بنا الهموم » ، أى هموا نزول الهم بنا ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وليس ما قاله بجيد بل « الهموم » منصوب هاهنا على المصدر ، أى هموا بنا هموماً كثيرة ، وهما بنا أى أرادوا نهبنا ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾<sup>(١)</sup> ، على تفسير أصحابنا ، وإنما أدخل لام التعريف فى الهموم ، أى هموا بنا تلك الهموم التى تعرفونها ، فأتى باللام ليكون أعظم وأكبر فى الصدور من تنكيرها ، أى تلك الهموم معروفة مشهورة بين الناس لتكرّر عزم المشركين فى أوقات كثيرة مختلفة على الإيقاع .

وقوله : « وفعلوا بنا الأفاعيل » ، يقال لمن أثروا آثاراً منكراً : فعلوا بنا الأفاعيل ، وقل أن يقال ذلك فى غير الضرر والأذى ، ومنه قول أُمّية بن خلف لعبد الرحمن بن عوف وهو يذكر حمزة بن عبد المطلب يوم بدر : « ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل » . قوله : « يحامى عن الأصل » ، أى يدافع عن محمد ويذب عنه حياءً ومحافضة على النسب .

قوله : « خَلَوْما نحن فيه » ، أى خال . والخلف : العهد .

واحمرّ البأس ، كلمة مستعارة ، أى اشتدّت الحرب حتى احمرت الأرض من الدم ، فجعل البأس هو الأحمر مجازاً ، كقولهم : الموت الأحمر .

(١) سورة يوسف ٢٤ .



قوله : « وأحجم الناس » ، أى كَفُّوا عن الحرب وجَبُّنُوا عن الإقدام ، يقال : حَجَمْتُ فلانا عن كذا أَحَجَمْتُهُ بِالضَّمِّ ، فَأَحْجَمَ هُوَ ، وهذه اللفظة من النوادر ، كقولهم : « كَيْبَتُهُ فَأَكْبَ » .

ويوم مؤتة بالهمز ، ومؤتة : أرض معروفة .

وقوله : « وأرادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ لَذَكَرْتُ اسْمَهُ » ، يعنى به نفسه .

قوله : « إِذْ صَرْتُ يَقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي » إشارة إلى معاوية في الظاهر ، وإلى مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ فِي الْبَاطِنِ ، والدليل عليه قوله : « الَّتِي لَا يَدُلِّي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا » ، فأطلق القول إطلاقاً عاماً مستغرقاً لكل الناس أجمعين .

ثم قال : « إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مَذْبَعٌ مَالاً أَعْرَفَهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ » ، أى كل من ادعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب ، لأنه لو كان صادقا لكان على عليه السلام يعرفه لا محالة ، فإذا قال عن نفسه : إِنَّ كُلَّ دَعْوَى تَخَالِفُ مَا ذَكَرْتُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ صَحَّتْهَا ، فمعناه أنها باطلة .

وقوله : « وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ » ، فالظن هاهنا بمعنى العلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ <sup>(١)</sup> ، وأخرج هذه الكلمة مخرج قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَدْبِثُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وليس المراد سلب العلم بل العلم بالسلب ، كذلك ليس مراده عليه السلام سلب الظن الذى هو بمعنى العلم ، بل ظن السلب ، أى علم السلب ، أى واعلم أن الله سبحانه يعرف انتفاءه ، وكل ما يعلم الله انتفاءه فليس بثابت .

وقال الراوندى : قوله عليه السلام : « وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ » ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .



والله يعلم كل شيء قبل وجوده ، وإنما معناه : حتى نعلم جهادهم موجودا ، وليست هذه الكلمة من الآية بسبيل لتجعل مثالا لها ، ولكن الراوندي يتكلم بكل ما يخطر له من غير أن يميز ما يقول .

وتقول : أدلى فلان بحجته ، أى احتج بها ، وفلان مُدلى برحمة ، أى مَتَّ بها . وأدلى بماله إلى الحاكم : دفعه إليه ليضعه وسيلة إلى قضاء حاجته منه ، فأما الشفاعة فلا يقال فيها : « أدليت » ، ولكن « دلوت بفلان » أى استشفعت به ، وقال عمر لما استسقى بالعباس رحمه الله : الليم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وفتية آبائه ، وكبر رجاله ، دلونا به إليك مستشفعين <sup>(١)</sup> .

قوله عليه السلام : « فلم أره يسعنى » ، أى لم أر أنه يحل لى دفعهم إليك . والضمير فى « أره » ضمير الشأن . والقصة ، و « أره » من رأى لا من الرؤية ، كقولك : لم أرَ الرأى القلانى .

وزرع فلان عن كذا ، أى فارقه وتركه ، ينزع بالكسر ، والفتح : الجهل والضلال . والشقاق : الخلاف .

والوجدان : مصدر وجدت كذا ، أى أصبته . والزور : الزائر .

واللقيان : مصدر لقيت ، تقول : لقيتك لقاء ولقيانا .

ثم قال : « والسلام لأهله » لم يستجز فى الدين أن يقول له : « والسلام عليك » لأنه عنده فاسق لا يجوز إكرامه ، فقال : « والسلام لأهله » ، أى على أهله .

ويجب أن تتكلم فى هذا الفصل فى مواضع :

منها ذكر ما جاء فى السيرة من إجلاب قرش على رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم وحصرهم فى الشعب .

(١) الفائق ٢ : ٣٦٦ . فتية آبائه : تلوم . وكبر قومه أقدمهم فى النسب .



ومنها : الكلام في المؤمنين والكافرين من بني هاشم الذين كانوا في الشعب محصورين معه صلى الله عليه وآله من هم .

ومنها : شرح قصة بدر .

ومنها : شرح غزاة أحد .

ومنها : شرح غزاة مؤتة .

\*\*\*

### [ إجلاب قریش علی بنی ہاشم وحصہم فی الشعب ]

فأما الكلام في الفصل الأول فنذكر منه ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب " السيرة " ، والمغازي ، فإنه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرخين ، ومصنفه شيخ الناس كلهم .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : لم يسبق عليا عليه السلام إلى الإيمان بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وآله أحد من الناس ، اللهم إلا أن تكون خديجة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله . قال : وقد كان صلى الله عليه وآله يخرج ومعه عليّ مستخفين من الناس ، فيصليان الصلوات في بعض شعاب مكة ، فإذا أمسيا رجعا فكثا بذلك ما شاء الله أن يمكنا ، لا ثالث لهما . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لحمد صلى الله عليه وآله : يا بن أخي ، ما هذا الذي تفعله ! فقال : « أي عمّ هذا دين الله ودين ملائكته ورسوله ، ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال عليه السلام - بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أي عمّ أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجاوبني إليه ، وأعاني عليه » . أو كما قال . فقال أبو طالب : إني لا أستطيع يا بن أخي أن أفارق

مديني ودين آباي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص<sup>(١)</sup> إليك شيء تكرر ما بقيت .  
 فزعموا<sup>(٢)</sup> أنه قال لعلي : أي بني ، ما هذا الذي تصنع ؟ قال : يا ابتاه ، آمنت بالله ورسوله  
 وصدقته فيما جاء به ، وصليت إليه ، واتبعت قول نبيه . فزعموا أنه قال له : أما إنه لا  
 يدعوك - أولن يدعوك - إلا إلى خير ، فالزمه .

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان  
 أول من أسلم ، وصلى معه بعد علي بن أبي طالب عليه السلام .

ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ، فكان ثالثا لهما ، ثم أسلم عثمان بن عفان ، وطلحة ،  
 والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد بن أبي وقاص ، فصاروا ثمانية ؛ فهم الثمانية الذين سبقوا الناس  
 إلى الإسلام بمكة ، ثم أسلم بعد هؤلاء الثمانية أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة بن عبد الأسد  
 وأرقم بن أبي أرقم ، ثم انتشر الإسلام بمكة ، وفشا ذكره ، وتحدث الناس به ، وأمر الله  
 رسوله أن يصدع بما أمر به ، فكانت مدة إخفاء رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه  
 وشأنه إلى أن أمر بإظهار الدين ثلاث سنين فيما بلغني<sup>(٣)</sup> .

قال محمد بن إسحاق : ولم تكن قريش تفكر أمره حينئذ كل الإنكار ، حتى  
 ذكر آلهتهم وعابها ، فأعظموا ذلك وأنكروه ، وأجمعوا على عداوته وخلافه ، وحذب عليه  
 عمه أبو طالب فمنعه ، وقام دونه حتى مضى مظهراً لأمر الله لا يردّه عنه شيء . قال : فلما  
 رأت قريش محاماة أبي طالب عنه وقيامه دونه ، وامتناعه من أن يسلمه ، مشى إليه رجال  
 من أشرف قريش ؛ منهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، وأبوسفيان بن حرب ،  
 وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل عمرو بن هشام ،

(١) لا يخلص إليك شيء ، أي لا يوصل إليك ؛ يقال : خلصت إليه ، أي وصلت إليه .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٥

(٣) ابن هشام : « وذكروا »



والعاص بن وائل ، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج ، وأمثالهم من رؤساء قريش . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آراءنا ؛ فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله على ما هو عليه ، يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم شرّق<sup>(١)</sup> الأمر بينه وبينهم ، تباعداً وتضاغناً<sup>(٢)</sup> ، حتى أكرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله بينها ، وتذامرُوا فيه ، وحضَّ بعضهم بعضاً عليه ، فمشوا إلى أبي طالب مرة ثانية ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهييناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، فإما أن تكفه عنا أو تنازله وإياك<sup>(٣)</sup> حتى يهلك أحد الفريقين . ثم انصرفوا ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم تطب نفسه بإلام ابن أخيه لهم وخذلانه ، فبعث إليه فقال : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا - للذي قالوا - فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيقه . قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، وأنه خاذله ومساومه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه ، فقال : يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك . ثم استعبر باكياً وقام ، فلما ولي ناداه أبو طالب : أقبل يا ابن أخي ، فأقبل راجعاً ، فقال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن هشام : « ثم شرى الأمر بينه وبينهم » ، قال أبو ذر : معناه « كثر وتزايد » ، وأصله في البرق ، يقال : شرى البرق : إذا كثر لمعانه .

(٢) التضاغن : العداوة . (٣) تنازله وإياك : أي تحاربكما .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٦ - ٢٧٨

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب يذكر ما أجمعت عليه قریش من حرب به لما قام بنصر محمد صلى الله عليه وآله :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم<sup>(١)</sup> حتى أوسد في التراب دفينا<sup>(٢)</sup>  
فانفذ لأمرك ما عليك مخافةً وابشر وقر بذاك منه عيونا  
ودعوتني وزعمت أنك ناصي ولقد صدقت وكنت قبل أمينا  
وعرضت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية ديناً  
لولا الملامة أو حذارى سبةً لو جدتني سمحاً بذاك مبيناً

قال محمد بن إسحاق: ثم إن قریش حين عرفت أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وآله وإسلامه إليهم ورأوا إجماعه على مفارقتهم وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان أجمل فتى في قریش - فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أبهى<sup>(٣)</sup> فتى في قریش وأجمل، فخذ به إليك<sup>(٤)</sup>، فأتخذه ولداً فهو لك، وأسلم لنا هذا ابن أخيك الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك لنتقله، فإتاه هو رجلٌ برجل. فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني<sup>(٥)</sup>! تعطوني ابنكم أغدوه لكم، وأعطيتكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً. فقال له المطعم بن عدي بن نوفل - وكان له صديقاً مصافياً - والله يا أبا طالب ما أراك تريد أن تقبل من قومك شيئاً! لعمري قد جهدوا في التخلص مما تكره وأراك لا تنصفهم! فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولا أنصفتني؛ ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة<sup>(٦)</sup> انقوم علي! فاصنع ما بدا لك<sup>(٧)</sup>!

(٢) ابن هشام: « أنهد فتى » أي أشده وأقواه .

(١) ديوانه ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) ابن هشام: « فخذ فلاك عقله ونصره » .

(٤) ابن هشام: « والله لبئس ما تسوموني » .

(٥) مظاهرة القوم ، يريد إعانتهم . (٦) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥ .



قال : فعند ذلك تناوبت القوم وصارت الأحقاد ، ونادى بعضهم بعضاً ، وتذامرُوا بينهم على مَنْ في القبائل من المسلمين الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وآله . فوثبت كلُّ قبيلة على مَنْ فيها منهم ، يعذبُونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب ، وقام في بني هاشم وبني عبد المطلب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وآله ، والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى مادعاهم إليه من الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ما كان من أبي لهب ، فإنه لم يجتمع معهم على ذلك ، فكان أبو طالب يرسل إليه الأشعار ، ويناشده النصر ، منها القطعة التي أولها :

حديثٌ عن أبي لهبٍ أنا : وكانفه على ذاكُم رجالُ

ومنها القطعة التي أولها :

أظننت عني قد خذلت وغالني منك الفوائلُ بعد شيب المكبرِ

ومنها القطعة التي أولها :

تستعرض الأقوام توسعهم عذراً وما إن قلت من عذرِ

قال محمد بن إسحاق : فلم يؤثر عن أبي لهب خير قط إلا ما يروى أن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ؛ لما وثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن الإسلام هرب منهم ؛ فاستجار بأبي طالب ، وأمّ أبي طالب مخزومية ، وهي أمّ عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله فأجاره ، فمضى إليه رجال من بني مخزوم ، وقالوا له : يا أبا طالب ، هَبْكَ منعت منا ابن أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ! قال : إنه استجار بي وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أختي ؛ فارتفعت أصواتهم وأصواته ، فقام أبو لهب ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها ، فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكرهتم على هذا







وزاحمٌ جميع الناس عنه وكن له      وزيراً على الأعداء غير مجافٍ  
وإن غضبت منه قريشٌ قتل لها      بنى عمنا ما قومكم بضعافٍ  
وما بالكم تَفشون منه ظلامَةً      وما بال أحقادٍ هناك خوافي  
فما قومنا بالقوم يخشون ظلمنا      وما نحن فيما ساءهم بخفافٍ  
ولكننا أهل الحفاظ والنهي      وعزٍ يبطح الساء المشاعر وافٍ

قال محمد بن إسحاق : فلما طال البلاء على المسلمين والفتنة والعذاب ، وارتد كثير عن الدين باللسان لا بالقلب ، كانوا إذا عذبوهم يقولون : نشهد أن هذا الله ، وأن الآلات والعزى هي الآلهة ، فإذا خلوا عنهم عادوا إلى الإسلام ، فبسوهم وأوثقوهم بالقيد ، وجعلوهم في حرّ الشمس على الصخر والصفاء ، وامتدت أيام الشقاء عليهم ولم يصلوا إلى محمد صلى الله عليه وآله لقيام أبي طالب دونه ، فأجعت قريش على أن يكتبوا بينهم وبين بنى هاشم صحيفةً يتماقدون فيها ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، ولا يجالسوهم ؛ فكتبوها وعلقوها في جوف الكعبة تأكيذاً على أنفسهم ؛ وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . فلما فعلوا ذلك انحازت هاشم والمطلب ، فدخلوا كلهم مع أبي طالب في الشعب ، فاجتمعوا إليه ، وخرج منهم أبو لهب إلى قريش فظاهرها على قومه .

قال محمد بن إسحاق : فضاق الأمر بيني هاشم وعموا القوت ، إلا ما كان يحمل إليهم سرّاً وخفية ؛ وهو شيء قليل لا يُنسك أرماقهم ، وأخافتهم قريش ؛ فلم يكن يظهر منهم أحدٌ ، ولا يدخل إليهم أحد ، وذلك أشدّ مالتني رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته بمكة .

قال محمد بن إسحاق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ألا يصل إليهم



شيء إلا القليل سرّاً ممن يريد صلّتهم من قريش ؛ وقد كان أبو جهل بن هشام لقي حكيم ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عنته خديجة بنت خويلد - وهى عند رسول الله محاصرة فى الشعب - فتعلق به ، وقال : أتحمل الطّعام إلى بنى هاشم ! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ! فجاءه أبو البختريّ العاص ابن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى ، فقال : مالك وله ! قال : إنه يحمل الطّعام إلى بنى هاشم ، فقال أبو البختريّ : يا هذا ، إن طعاما كان لعمته عنده بعثت إليه فيه ؛ أفتمنعه أن يأتىها بطعامها ! خلّ سبيل الرّجل ، فأبى أبو جهل حتى نال كلّ منهما من صاحبه ، فأخذ له أبو البختريّ نخلين بغير فصر به به فشجّه ووطئه وطأ شديداً . فانصرف وهو يكره أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم بذلك ، فيشتتوا ، فلما أراد الله تعالى من إبطال الصّحيفة ، والفرّج عن بنى هاشم من الضيق والأزل الذى كانوا فيه ، قام هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى فى ذلك أحسن قيام ، وذلك أن أباه عمرو بن الحارث كان أخاً لنضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي من أمه ، فكان هشام بن عمرو يحسب لذلك واصلاً ببني هاشم ؛ وكان ذا شرف فى قومه بنى عامر بن لؤى ، فكان يأتى بالبعير ليلاً وقد أوقره طعاماً ، وبني هاشم وبني المطلب فى الشعب ، حتى إذا أقبل به فم الشعب فنع بخطامه من رأسه ، ثم يضرب به على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ثم يأتى به مرة أخرى ، وقد أوقره تمرّاً ، فيصنع به مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة الحزوميّ ، فقال : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطّعام وتشرب الشراب وتلبس الثياب ، وتكح النساء ؛ وأخوالك حيث قد علمت لا يتساعون ولا يتقاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، ولا يواصلون ولا يزارون ! أما إنى أحلف لو كان أخواك أبو الحكم بن هشام ودعوتّه إلى مثل ما دعاك



إليه منهم ما أجابك أبداً . قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ! إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقيت في نقض هذه الصحيفة القاطعة . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال زهير : ابغنا ثالثاً ، فذهب إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم ، أرضيت أن يهلك بطنان من عبد مناف جوعاً وجهداً وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ! أما والله لنن أمكنتموه من هذا لتجدن قريشاً إلى مساء تكلم في غيره سريرة . قال : ويحك ! ماذا أصنع ! إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال : أنا قال : ابغني ثالثاً ، قال : قد وجدت ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أمية ، قال أنا ، قال : ابغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له : نحو ما قال للمطعم ، قال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم وذكركم ، قال : فابغنا خامساً ، فمضى إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى فكلّمه ، فقال : وهل يعين على ذلك من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم ، فاتمّدوا خطم الحجّون ليلاً بأعلى مكة ، فأجمعوا أمرهم ، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير : أنا أبدوكم وأكون أولكم يتكلم ، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهيراً بن أبي أمية عليه حلة له . فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أهل مكة ، أنا أكل الطعام ، وشرب الشراب ، ولبس الثياب وبنو هاشم هلكي ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ! وكان أبو جهل في ناحية المسجد ، فقال : كذبت والله لا تشقّ ! فقال زمعة بن الأسود لأبي جهل : والله أنت أكذب ، ما رضينا والله بها حين كتبت . فقال أبو البختري معه : صدق والله زمعة ، لا نرضى بها ولا نفر بها كتب فيها ! فقال المطعم بن عدي : صدقاً والله ، وكذب من قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . وقال هشام بن عمرو مثل قولهم ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل ، وقام مطعم بن عدي إلى الصحيفة فخطها وشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها ، إلا

ما كان من «باسمك اللهم» ، قالوا: وأما كاتبها منصور بن عكرمة فشدت يده . فيما يذكرون .  
فلما مرقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشعب .

قال محمد بن إسحاق : فلم يزل أبو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وحايته والقيام دونه ، حتى مات في أول السنة الحادية العشرة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله فطمعت فيه قريش حينئذ ، ونالت منه ، فخرج عن مكة خائفاً بطلب أحياء العرب ، يعرض عليهم نفسه ، فلم يزل كذلك حتى دخل مكة في جوار المطعم بن عدي ؛ ثم كان من أمره مع الخزرج ما كان لآية العقبه .

قال : ومن شعر أبي طالب الذي يذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وقيامه دونه :

أرقت وقد تصوبت النجومُ      وبنت ولا تسألك المومُ (١)  
لظلم عشيرة ظلموا وعفوا      وغبت عقوقهم لهم وخيمُ  
هم اتتهكوا المحارم من أخيمهم      وكل فعالم دنس ذميمُ  
وراموا خطية جوراً وظلماً      وبعض القول ذو جنف ملیمُ  
لمخرج هاشماً فتكون منها      بلاقع بطن مكة فالخطيمُ  
فهملاً قومنا لا تركبونا      بمظلمة لها خطب جسيمُ  
فيندم بعضكم ويدل بعضُ      وليس بمفلح أبداً ظلومُ  
أرادوا قتل أحمد زاعميه      وليس بقتله منهم زعيمُ  
ودون محمداً متاعاً ندى      هم العرينين والمعضو الصميمُ

ومن ذلك قوله :

وقالوا لأحمد أنت امرؤ      خائف الحديث ، ضعيف السبب



وإن كان أحمدٌ قد جاءهمُ  
فإننا ومن حَجَجٍ مِنْ رَاكِبٍ  
تناولن أحمدًا أو تصطلوا  
وتغـترفوا بين آياتِكُمُ  
تراهن من بين ضاقي السَّيِّبِ  
عليها صناديدُ مِنْ هَاشِمٍ  
بصدقٍ ولم يأتهمُ بالكذبِ  
وكعبة مكة ذات الحُجُبِ  
ظُبَاةَ الرِّمَاحِ وَحَدَّ الْقُضْبِ  
صُدُورَ الْعَوَالِي وَخَيْلًا شُرْبِ  
قصير الحزام طويل اللَّبِّ  
همُ الْأَنْجُبُونَ مَعَ الْمُتَجَبِّ

\*\*\*

وروى عبد الله بن مسعود ، قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من قَتْلِ  
بدر ، وأمر بطرحهم في القليب ، جعل يندكر من شعر أبي طالب يتأفلا يحضره ،  
فقال له أبو بكر : لعن الله قوله يا رسول الله :

وإننا لعمرُ الله إن جَدَّ جَدَّنا  
لثلاثين أسيافنا بالأماثل (١)  
فُسِّرَ بظفره بالبَيْت ، وقال : إِي لعمر الله ، لقد التبت .  
ومن شعر أبي طالب قوله :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي لُؤْيَا رِسَالَةً  
بني عَمَّنَا الْأَذْنَيْنِ فِيمَا يَخْصُمُ  
أَظَاهَرْتُمُ قَوْمًا عَلَيْنَا سَفَاهَةً  
يقولون لو أَنَا قَتَلْنَا مُحَمَّدًا  
كذبتُم وربُّ الْهَدْيِ تَدْمِي نَحْوَهُ  
تناولنهُ ، أو تصطلوا دونَ نَيْلِهِ  
فَهَلَّا وَلَمَّا تَنْجِ الْحَرْبُ بَكَرَهَا  
بحقٍّ وما نغني رسالةُ مرسلٍ (٢)  
وَإِخْوَانَنَا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَنُفْلٍ  
وَأَمْرًا غَوِيًّا مِنْ غَوَاةٍ وَجْهَلٍ  
أَقْرَتِ نَوَاصِي هَاشِمٍ بِالتَّذَلِّ  
بِمَكَّةَ ، وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُقْبَلِ  
صَوَارِمَ تَفْرِي كُلَّ عُضْوٍ وَمَفْصِلِ  
بِخِيلٍ تَمَامٍ ، أَوْ بَاخِرٍ مُعْجِلِ



وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً      على ربوة في رأس عنقاء عيطل  
وتأوى إليه هاشم ، إن هاشما      عرانيين كعب آخر بعد أول  
فإن كنتم ترجون قتل محمد      فرؤموا بما جعتم نفل يذبل  
فإننا سنحييه بكل طيرة      وذى مئعة نهدي المراكل هيكل  
وكل رديني ظمأ كموبه      وعضب كإمناض الغمامة مفصل

\*\*\*

قلت : كان صديقنا علي بن يحيى البطريق رحمه الله ، يقول : لولا خاصة النبوة  
وسرها لما كان مثل أبي طالب - وهو شيخ قریش ورئيسها وذو شرفها - يمدح ابن أخيه  
محمداً ، وهو شاب قد ربي في حجره وهو يتيمه ومكفوله ، وجار مجرى أولاده بمثل قوله :  
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً      على ربوة في رأس عنقاء عيطل  
وتأوى إليه هاشم ، إن هاشما      عرانيين كعب آخر بعد أول  
ومثل قوله :

وأبيض يستقي الغمام بوجهه      ثمال اليتامى عصمة الأراميل  
يطيف به الهلاك من آل هاشم      فهم عنده في نعمة وفواضل

فإن هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والدناي من الناس ، وإنما هو من  
مدح الملوك والعظماء ، فإذا تصوّرت أنه شعر أبي طالب ، ذاك الشيخ المبجل العظيم في محمد  
صلى الله عليه وآله ، وهو شاب مستجير به ، معتمهم بظله من قریش ، قد رباه في حجره  
غلاماً ، وعلى عاتقه طفلاً ، وبين يديه شاباً ، يأكل من زاده ، ويأوى إلى داره ، علمت  
موضع خاصية النبوة وسرها ، وأن أمره كان عظيماً ، وأن الله تعالى أوقع في القلوب  
والأنفس له منزلة رفيعة ومكاناً جليلاً .

\*\*\*



وقرأت في " أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب " رحمه الله ، قال : كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي ، وكان عبد الله أخاه لأبويه ، وكان شديد الحب والحنو عليه ، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له ، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله البيات إذا عرف مضجعه ، فكان يقيمه ليلاً من منامه ، ويضع ابنه علياً مكانه ، فقال له على ليلة : يا أبت ، إني مقتول ، فقال له :

اصبرن يا بني فالصبر أحجى كل حي مصيره إشعوب<sup>(١)</sup>  
 قدر الله والبلاء شديد لفداء الحبيب وابن الحبيب  
 لفداء الأغر ذي الحسب الثا قب والباع والكريم النجيب  
 إن تصببك المنون فالنبيل تبرى فصب منها ، وغير مصيب  
 كل حي وإن تمكلى بعمره آخذ من مذاقها بنصيب  
 فأجاب على عليه السلام ، فقال له :

أأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً<sup>(٢)</sup>  
 ولكنني أحبيت أن ترى نصرتي وتعلم أنني لم أزل لك طائعاً  
 سألني لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً

\*\*\*

### [ القول في المؤمنين والكافرين من بني هاشم ]

الفصل الثاني : في تفسير قوله عليه السلام « مؤمننا يعني بذلك الأجر ، وكافرنا يحامي عن الأصل ، ومن أسلم من قريش خلواً مما نحن فيه لحلف يمينه ، أو عشيرة تقوم دونه ،

(١) ديوانه ٤١ ، وشعوب : النبوة .

(٢) ديوان أبي طالب ٤١



فهم من القتل بمكان أمن » ، فنقول : إن بني هاشم لما حُصروا في الشَّعب بعد أن منَّموا رسول الله صلى الله عليه وآله من قُرَيْش ، كانوا صِنْفَيْن : مسلمين وكفاراً ، فكان على عليه السلام وحمة بن عبد المطلب مسلمين .

واختلف في جعفر بن أبي طالب : هل حُصر في الشَّعب معهم أم لا ؟ فقيل : حُصر في الشَّعب معهم ، وقيل : بل كان قد هاجر إلى الحبشة ، ولم يشهد حصار الشَّعب ، وهذا هو القول الأصح . وكان من المسلمين المحصورين في الشَّعب مع بني هاشم عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ؛ وهو وإن لم يكن من بني هاشم إلا أنه يجري مجراه ، لأن بني المطلب وبني هاشم كانوا يداً واحدة ، لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام .

وكان العباس رحمه الله في حصار الشَّعب معهم إلا أنه كان على دين قومه ، وكذلك عقيل بن أبي طالب ، وطالب بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأبوسفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وكان شديداً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، يُبغضه ويهجوهُ بالأشعار ، إلا أنه كان لا يرضى بقتله ، ولا يقارَ قريشاً في دمه ؛ محافظة على النسب - وكان سيِّد المحصورين في الشَّعب ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبد المطلب ، وهو الكافل والحامي .

\*\*\*

### [ اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب ]

واختلف الناس في إيمان أبي طالب <sup>(١)</sup> ، فقالت الإمامية وأكثر الزيدية : ماتت  
إلا مسلماً .

(١) ب : « فيه » ، وما أثبتته من أ .



وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك ، منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرها .

وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعمامة من شيوخنا البصريين وغيرهم : مات على دين قومه ، ويروون في ذلك حديثا مشهورا ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له عند موته : قل يا عم كلمة أشهد لك بها غداً عند الله تعالى ، فقال : لولا أن تقول العرب : إن أبا طالب جزع عند الموت لأقررت بها عينك . وروى أنه قال : أنا على دين الأشياخ .

وقيل إنه قال : أنا على دين عبد المطلب . وقيل غير ذلك .

وروى كثير من المحدثين أن قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ... <sup>(١)</sup> الآية ، أنزلت في أبي طالب ، لأن رسول الله استغفر له بعد موته . ورووا أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ <sup>(٢)</sup> نزلت في أبي طالب .

وروا أن عليا عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت أبي طالب ، فقال له : إن عمك الضال قد قضى ، فما الذي تأمرني فيه ؟

واحتجوا بأنه لم ينقل أحد عنه أنه رآه يصلي ، والصلاة هي الفرقة بين المسلم والكافر ، وأن عليا وجعفر لم يأخذا من تركته شيئا ، ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إِنْ اللَّهُ قَدْ وَعَدَنِي بِتَخْفِيفِ عَذَابِهِ لِمَا صَنَعَ فِي حَقِّي ، وَإِنِّي فِي ضَحَضَانٍ مِنْ نَارٍ » .

وروا عنه أيضاً أنه قيل له : لو استغفرت لأبيك وأمك ! فقال : « لو استغفرت لهما لا استغفرت لأبي طالب ؛ فإنه صنع إلي ما لم يصنعا ، وإن عبد الله وآمنة وأبا طالب جهرات من جهرات جهنم » .



فأما الذين زعموا أنه كان مسلماً، فقد رَوَوْا خلاف ذلك، وأسندوا خبراً إلى أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال لي جبرائيل : إن الله مشفعك في ستة : بطن حملتك ؛ آمنة بنت وهب ، وصُلب أنزلك ؛ عبد الله بن عبد المطلب ، وحجر كفلك ؛ أبي طالب ، وبيت آواك ؛ عبد المطلب ، وأخ كان لك في الجاهلية - قيل : يا رسول الله ، وما كان فعله ؟ قال : كان سخيّاً يطعم الطعام ، ويجود بالأنوال - وثدي أرضعتك ؛ حليلة بنت أبي ذؤيب .

قلت : سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد عن هذا الخبر ، وقد قرأته عليه : هل كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أخ من أبيه أو من أمه أو منهما في الجاهلية ؟ فقال : لا ، إنما يعني أخاً له في المودة والصحبة ، قلت له : فمن هو ؟ قال : لا أدري .

قالوا : وقد نقل الناس كافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : نقلنا من الأصحاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية . فوجب بهذا أن يكون آباؤه كلهم منزّهين عن الشرك ، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين .

قالوا : وأما ما ذكر في القرآن من إبراهيم وأبيه آزر ، وكونه كان ضالاً مشركاً ، فلا يقدح في مذهبنا ، لأن آزر كان عم إبراهيم ؛ فأما أبوه فتارخ بن ناحور ، وسمي العم أبا ، كما قال : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثم عدّ فيهم إسماعيل وليس من آبائه ، ولكنه عمه .

قلت : وهذا الاحتجاج عندي ضعيف ، لأن المراد من قوله : « نقلنا من الأصحاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية » تنزيه آبائه وأجداده وأمهاته عن السفاح لا غير ؛ هذا مقتضى



سياقة الكلام ، لأنّ العرب كان يعيبُ بعضها بعضا باختلاط المياه واشتباها الأنساب ونكاح الشبهة .

وقولهم : لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين ؛ يقال لهم : لم قائم : إنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهري الأصلاب ! فإنه لا منافاة بين طهارة الأصلاب وعبادة الصنم ، ألا ترى أنه لو أراد ما زعموه لمّا ذكر الأصلاب والأرحام ، بل جعل عوضها العقائد . واعتذارهم عن إبراهيم وأبيه يقدح في قولهم في أبي طالب ، لأنه لم يكن أبا محمد صلى الله عليه وآله ، بل كان عمّه ، فإذا جاز عندكم أن يكون العمّ - وهو آزر - مشركا كما قد اقترحوه في تأويلهم ، لم يكن لهم حجة من هذا الوجه على إسلام أبي طالب .

واحتجوا في إسلام الآباء بما روى عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : يبعث الله عبداً المطلب يوم القيامة وعليه سبعا الأنبياء وجهاء الملوك .  
وروى أن العباس بن عبد المطلب قال لرسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة : يا رسول الله ، ما ترجو لأبي طالب ؟ فقال : أرجو له كل خير من الله عز وجل .

وروى أن رجلاً من رجال الشيعة ، وهو أبان بن محمود كتب إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام : جعلتُ فداك ! إني قد شككتُ في إسلام أبي طالب ! فكتب إليه : *وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ* <sup>(١)</sup> ... الآية ، وبعدها إنك إن لم تقرر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار .

وقد روى عن علي بن محمد الباقر عليه السلام أنه سئل عما يقوله الناس : إن أبا طالب في ضحضاح من نار ؛ فقال : لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه . ثم قال : ألم تعلموا أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وأبيه <sup>(٢)</sup> وأبي طالب في حياته ، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم !  
وروى أن أبا بكر جاء بأبي قحافة إلى النبي صلى الله عليه وآله عام الفتح يقوده ،

(١) سورة النساء :

(٢) في الأصول : « وابنه » .

وهو شيخ كبير أعمى ، فقال رسول الله : ألا تركت الشيخ حتى تأتيه ! فقال : أردتُ  
يا رسول الله أن يأجره الله ! أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمك أبي طالب  
منى بإسلام أبي ، ألتبس بذلك قرّة عينك ، فقال : صدقت .

وروى أن عليّ بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا ، فقال : وأعجباً ! إن الله تعالى  
نهي رسوله أن يقرّ مملعة على نكاح كافر ، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى  
الإسلام ، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات .

ويروى قوم من الزيدية أن أبا طالب أسند الحديثون عنه حديثاً ينهى إلى أبي  
رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : سمعتُ أبا طالب يقول بمكة : حدثني  
محمد بن أخي أن ربه بعثه بصلّة الرّحم ، وأن يعبدّه وحده لا يعبد معه غيره ، ومحمد عندي  
الصادق الأمين .

وقال قوم : إن قول النبي صلى الله عليه وآله : « أنا وكافلُ اليتيم كهاتين في الجنة »  
إنما عني به أبا طالب .

وقالت الإمامية : إن ما يرويه العامة من أن علياً عليه السلام وجعفر لم يأخذا من  
تركة أبي طالب شيئاً حديث موضوع ، ومذهب أهل البيت بخلاف ذلك ، فإن المسلم  
عندهم يرث الكافر ، ولا يرث الكافر المسلم ، ولو كان أعلى درجة منه  
في النسب .

قالوا : وقوله صلى الله عليه وآله : « لا توارث بين أهل ملتين » ، نقول بموجبه ، لأنّ  
التوارث تفاعل ، ولا تفاعل عندنا في ميراثهما ، واللفظ يستدعي الطرفين ، كالتضارب لا يكون  
إلا من اثنين ، قالوا : وحُبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي طالب معلوم مشهور ، ولو



كان كافرا ما جاز له حبه لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ (١) الآية .

قالوا : وقد اشتهر واستفاض الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله لعقيل : « أنا أحبُّك حُبِّين : حبًّا لك ، وحبًّا لحبِّ أبي طالب فإنه كان يحبُّك » .

قالوا : وخطبة النكاح مشهورة ، خطبها أبو طالب عند نكاح محمد صلى الله عليه وآله خديجة ، وهى قوله : « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكماء على الناس . ثم إنَّ محمد بن عبد الله أخى من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برًّا وفضلا ، وحرما وعقلا ، ورأيا ونبلا ، وإن كان فى المال قلٌّ فإنما المال ظلٌّ زائل ، وعاريةٌ مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصَّدَاق فعلى ، وله والله بعدُ نبأ شائع وخطب جليل » .

قالوا : أفترأى يعلم نبأه الشائع وخطبه الجليل ، ثم يمانده ويكذِّبه ، وهو من أولى الألباب ، هذا غير سائغ فى العقول !

قالوا : وقد روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنَّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان ، وأظهروا الكفر فأتاهم الله أجْرهم مرتين ، وإنَّ أبا طالب أسرَّ الإيمان ، وأظهر الشرك ، فأتاه الله أجْرهُ مرتين .

وفى الحديث المشهور : إنَّ جبرائيل عليه السلام قال له ليلة مات أبو طالب : اخرج منها فقد مات ناصرك .

قالوا : وأما حديث الضحاح من النار ، فإنما يرويه الناس كلُّهم عن رجل واحد ، وهو المغيرة بن شعبة ، وبغضه لبنى هاشم وعلى الخصوص لعلى عليه السلام مشهور معلوم ، وقصته وفسقه غير خافٍ .

وقالوا: وقد رُويَ بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب ، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة، أن أبا طالب مامات حتى قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله . والخبر مشهور أن أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً ، فأصغى إليه أخوه العباس ، ثم رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا ابن أخي ، والله لقد قالها عمك ، ولكنه ضعف عن أن يبلغك صوته .

وروي عن علي عليه السلام أنه قال : مامات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا .

\*\*\*

قالوا : وأشعار أبي طالب تدلّ على أنه كان مسلماً ، ولا فرق بين الكلام المنظوم والمثنور إذا تضمننا إقراراً بالإسلام ، ألا ترى أن يهودياً لو توسّط جماعة من المسلمين ، وأنشد شعراً قد ارتجله ونظمه يتضمن الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ، لكننا نحكم بإسلامه كما لو قال : أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ! فمن تلك الأشعار قوله <sup>(١)</sup> :

يُرْجُونَ منا خطبة دون نيلها	ضرابٌ وطعنٌ بالوشيجِ المقومِ
يرجّون أن نسخى بقتلِ محمد	ولم تختضب سمرُ الموالى من الدّمِ
كذبتم وبيت الله حتى تفلّقوا <sup>(٢)</sup>	جأجأ تُلقي بالخطيمِ وزمزمِ
وتقطع أرحامٌ وتنسى حليّة	حليلاً ، ويُفشي محرّمٌ بعد محرّمِ
على ماضى من مفتكم وعقوقكم	وغشيانكم في أمركم كلّ ماثمِ
وظلم نبيّ جاء يدعوا إلى الهدى	وأمرأتى من عند ذى العرش قيمِ

(١) ديوانه ١٥٢ - ١٥٤ ؛ من قصيدة أولها :

أَلَا مَنْ لِيَهْمٍ آخِرَ اللَّيْلِ مُتِمِّمِ طَوَانِي وَأُخْرَى النِّجْمِ لَمَّا تَفْجَمِ

(٢) الديوان : « تعرفوا » .



فَلَا تَحْسِبُونَا مُسْلِمِيهِ فِشْلُهُ إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ

\*\*\*

ومن شعر أبي طالب في أمر الصحيفة التي كتبها قريش في قطيعة بني هاشم :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِهِمَا      لَوْيًّا وَخُصًّا مِنْ لَوْيِ بَنِي كَعْبٍ <sup>(١)</sup>  
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا      رَسُولًا كَمَوْسَى خُطًّا فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ  
 وَأَنْ عَلِمَ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً      وَلَا حَيْفَ فِيمَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ <sup>(٢)</sup>  
 وَأَنْ الَّذِي رَقَشْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ      يَكُونُ لَكُمْ يَوْمًا كِرَاجِيَّةَ السَّقَبِ <sup>(٣)</sup>  
 أَفَيْقُوا أَفَيْقُوا قَبْلَ أَنْ تُخَفَّرَ الزُّبَى      وَيَصْبَحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَبْدَى ذَنْبِ  
 وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْغُلَاوَةِ وَتَقْطَعُوا      أَوَاصِرَنَا بِعَدِّ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ  
 وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا وَرَبْمَا      أَمْرًا عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ  
 فَلَسْنَا وَبِئْسَ اللَّهُ نُسْلِمَ أَحْمَدًا      لِعِرَاقٍ مِنْ عَصَى الزَّمَانِ وَلَا كَرْبِ  
 وَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ      وَأَيْدٍ أَتَرَّتْ بِالْمِهْنَةِ الشُّهْبِ <sup>(٤)</sup>  
 بِمَعْتَرِكٍ ضَيِّقٍ تَرَى قِصْدَ الْقَنَا      بِهِ وَالضَّبَاعَ الْفُرْجَ تَعَكِّفُ كَالشَّرْبِ <sup>(٥)</sup>  
 كَأَنَّ مَجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ      وَغَنَمَةِ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةَ الْحَرْبِ  
 أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ      وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ !  
 وَاسْنَا نَعْلَ الْحَرْبِ حَتَّى تَمْلَأَنَا      وَلَا نَشْتَكِي مِمَّا يَنْوِبُ مِنَ النُّكْبِ <sup>(٦)</sup>

(٢) الديوان : « وَلَا خَيْرَ مِنْ خَصَّهُ اللَّهُ » .

(١) ديوانه ٢٠ - ٢٤

(٣) الرغاء : صوت الإبل . والسقب : ولد الناقة .

(٤) أترت : قطعت . والمهنة : السيوف .

(٥) قصد القنا : قطع الرماح المتكسرة .

(٦) النكب والنكبة : المصيبة .

ولكننا أهل الحفايظ والنهى إذا طار أرواح السكواة من الرعب

ومن ذلك قوله :

فلا تُسِفِّهوا أحلامكم في محمدٍ

تمنيتُم أن تقتلوه وإني ما

وإنكم والله لا تقتلونه

زعمتم بأننا مسلمون محمدًا

من القوم مفضل أبي على العدا

أمين حبيب في العباد مسوم

يرى الناس برهانا عليه وهيبة

نبي أناه الوحي من عند ربه

ومن ذلك قوله - وقد غضب لعثمان بن مظعون الجحى - ، حين عذبه قريش

ونالت منه :

أمن تذكّر دهر غير مأمون

أم من تذكّر أقوام ذوى سفه

ألا ترون - أذل الله جمعكم

ونعم الضيم من يبغى مضامتنا

ومرثفات كان الملح خالطها

حتى تقرّ رجال لا حلوم لها

أصبحت مكتئبا تبكى كمحزون<sup>(٣)</sup>

يفشون بالظلم من يدعو إلى الدين

أنا غضبنا لعثمان بن مظعون

بكل مطرد في الكف مسنون

يشفى بها الداء من هام المجانين

بعد الصعوبة بالإسماح واللين

(١) ديوانه ١٥٥ - ١٥٨ ، من قصيدة مظلما :

لَمَنْ أَرْبُعُ أَقْوَيْنَ بَيْنَ الْقَوَائِمِ

(٢) الديوان : ٥ التلاصم .

أَقَمَنَّ مَدْحَاةَ الرِّيحِ التَّوَانِمِ

(٣) ديوانه ١٧٣ .



أو تؤمنوا بكتابٍ مُنزلٍ نَحْبِ عَلَى نَبِيٍّ كُوسَى أَوْ كَذَى النَّونِ <sup>(١)</sup>  
 قالوا : وقد جاء في الخبر أن أبا جهل بن هشام جاء مرةً إلى رسولِ الله صلى الله  
 عليه وآله وهو ساجد ويده حَجَرٌ يريد أن يَرْضَخَ به رأسه، فلفق الحجرُ بكفه فلم يستطع  
 ما أراد ، فقال أبو طالب في ذلك من جملة أبيات :

أَفِيقُوا بَنِي عَمَّنا وَاتَّهُوا عَنْ النَّعَى مِنْ بَعْضِ ذَا الْمُنْطَقِ <sup>(٢)</sup>  
 وَإِلَّا فَإِنِّي إِذَا خَافَ بَوَائِقَ فِي دَارِكُمْ تَلْتَقِي <sup>(٣)</sup>  
 كَمَا ذَاقَ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمُودَ وَعَادَ وَمَاذَا بَقِيَ !  
 ومنها :

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَاكَ فِي أَمْرِكُمْ عَجَائِبَ فِي الْحَجَرِ الْمُلَصَّقِ  
 بِكَفِّ الَّذِي قَامَ مِنْ حِينِهِ إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَّقِي  
 فَاتَّبَعَهُ اللَّهُ فِي كُفِّهِ عَلَى رَغْمَةِ الْخَائِنِ الْأَحْمَقِ  
 قالوا : وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله أنه كان يقول : أسلم أبو طالب  
 والله بقوله :

نَصَرْتُ الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِكِ بَيِّضٍ تَلَالَا كَلْعَ الْهَرَقِ <sup>(٤)</sup>  
 أَذُبُّ وَأُحْيِي رَسُولَ الْإِلَهِ حَايَةً حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقُ  
 وَمَا إِنِّ أَذُبُّ لِأَعْدَائِهِ دَيْبِ الْبِكَارِ حَذَارِ الْفَنِيقِ <sup>(٥)</sup>  
 وَلَكِنْ أَزِيرُ لَهُمْ سَامِيًا كَمَا زَارَ لَيْثٌ بِفِيلٍ مُضِيقُ

(١) بعده في الديوان :

يَأْتِي بِأَمْرِ جَلِيٍّ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ كَمَا تَبَيَّنَ فِي آيَاتِ يَاسِينَ  
 (٢) ديوانه ٩٤ (٣) بعده في الديوان :

تَكُونُ لَغَيْرِكُمْ عِبْرَةً وَرَبُّ الْمَغَارِبِ وَالْمَشْرِقِ

(٤) ديوانه ٩٨

(٥) الفنيق : الفعل المكرم على أهله .

قالوا : وقد جاء في السيرة ، وذكره أكثر المؤرخين ، أن عمرو بن العاص لما خرج إلى بلاد الحبشة ليكيّد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي ، قال :

تقول ابنتي أين أين الرحيلُ وما البينُ مني بمستفكرٍ  
فقلتُ دعيني فإني امرؤٌ أريدُ النجاشيَ في جعفرٍ  
لأكويّه عنده كتيّةً أقيمُ بها نخوة الأصعرِ  
ولن أنثى عن بني هاشمٍ بما سطمت في الغيب والمحضرِ  
وعن عائب اللات في قوله ولولا رضا اللات لم تمطرِ  
وإني لأشنى قريش له وإن كان كالذهب الأحمرِ

قالوا : فكان عمرو يُسمى الثاني ابن الثاني ، لأن أباه كان إذا مرّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة يقول له : والله إني لأشئوك ، وفيه أنزل : ﴿ إِن شَاءَ ذَاكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾<sup>(١)</sup> . قالوا : فكتب أبو طالب إلى النجاشي شعراً يحرضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه والإعراض عما يقوله عمرو فيه وفيهم ، من جملة :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفرٌ وعمرو وأعداء النبي الأقاربُ !<sup>(٢)</sup>  
وهل نال إحسان النجاشي جعفرًا وأصحابه ، أم عاق عن ذاك شاعِبُ !  
في أبيات كثيرة .

\*\*\*

قالوا : وروى عن علي عليه السلام أنه قال : قال لي أبي : يا بني الزم ابن عمك ، فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل ، ثم قال لي :  
إن الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته على أيديكما



ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله :

إن علياً وجعفرًا ثقتي      عند ملء الزمان والتوب<sup>(١)</sup>  
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما      أخى لأمتي من بينهم وأبي  
والله لا أخذل النبي ولا      يخذله من بنى ذو حسب

\*\*\*

قالوا : وقد جاءت الرواية أن أبا طالب لما مات جاء علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأذنه بموته ، فتوجع عظيمًا وحزن شديدًا ، ثم قال له : امض فتول غسله ، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني ، ففعل فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رموس الرجال ، فقال : وصلتك رحم ياعم ، وجزيت خيرا ! فلقد ربيت وكفلت صغيرا ، ونصرت وآزرت كبيرا ؛ ثم تبعه إلى حفرة ، فوقف عليه ، فقال : أما والله لأستغفرن لك ، ولأشفعن فيك شفاعةً بمجب لها الثقلان .

قالوا : والمسلم لا يجوز أن يتولى غسل الكافر ، ولا يجوز للنبي أن يرق لكافر ، ولا أن يدعو له بخير ، ولا أن يمدّه بالاستغفار والشفاعة ، وإنما تولى علي عليه السلام غسله ، لأن طالبا وعقيلًا لم يكونا أسلما بعد ، وكان جعفر بالحبشة ، ولم تكن صلاة الجنائز شرعت بعد ، ولا صلى رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة ، وإنما كان تشييع ورقة ودعاء .

قالوا : ومن شعر أبي طالب يخاطب أخاه حمزة ، وكان يكنى أبا يعلى :

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد      وكن مظهرًا للدين وفقت صابرا  
وحط من أتى بالحق من عند ربه      بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا  
فقد سررتني إذ قلت إنك مؤمن      فكن لرسول الله في الله ناصرا





فإن كذالك كفى إن بليت بهم ودون نفسك نفسى فى اللغات  
ومن ذلك قوله ، ويقال إنها لطالب بن أبى طالب :

إذا قيل من خير هذا الورى قبيلاً وأكرمهم أسرة<sup>(١)</sup> ؟  
أناف لعبد مناف أب<sup>٢</sup> وفضله هاشم العزة  
لقد حلّ مجد بنى هاشم مكان النعائم والنسرة  
وخير بنى هاشم أحمد رسول الإله على فتره  
ومن ذلك قوله :

لقد أكرم الله النبىء محمداً فأكرم خلق الله فى الناس أحداً<sup>(٢)</sup>  
وشق له من اسمه ليحمله فذوالعرش محمود وهذا محمد  
وقوله أيضاً ، وقد يروى لعلى عليه السلام :

يا شاهد الله على<sup>(٣)</sup> فأشهد<sup>(٣)</sup> أنى على دين النبىء أحمد

\* من ضلّ فى الدين فإنى مهتد \*

قالوا : فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجىء التواتر ، لأنه إن لم تكن آحادها متواترة ،  
فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك ؛ وهو تصديق محمد صلى الله عليه وآله ، ومجموعها  
متواتر كما أن كلّ واحدة من قتلات على عليه السلام الفرسان منقولة آحاداً ، ومجموعها  
متواتر ، يفيدنا العلم الضرورى بشجاعته ، وكذلك القول فيما روى من سخاء حاتم ،  
وحلم الأحنف ومعاوية ، وذكاء إياس وخلاعة أبى نواس ، وغير ذلك ، قالوا : وانتركوا  
هذا كلّ جانباً ، ما قولكم فى القصيدة اللامية التى شهرتها كشيرة " قفانبك " ، وإن  
جاز الشكّ فيها أوفى شىء من أبياتها ، جاز الشكّ فى " قفانبك " ، وفى بعض أبياتها ، ونحن  
نذكر منها هاهنا قطعة وهى قوله :

أَعُوذُ بِرَبِّ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ  
وَمِنْ فَاجِرٍ يَغْتَابُنَا بِمَغْيِبَةٍ  
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى  
وَتَنْصَرُهُ حَتَّى نَصْرَعَ دُونَهُ  
وَحَتَّى نَرَى ذَا الرَّدْعِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ  
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ  
وَإِنَّا وَبَيْتَ اللَّهِ مِنْ جَدَّةٍ جَدَّةً  
بِكُلِّ فَتَى مِثْلِ الشَّهَابِ تَمِيدَعٍ  
وَمَا تَرَكْ قَوْمٍ لَا أَبَالِكَ سَيْدًا  
وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ  
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
وَمِيزَانُ صِدْقٍ لَا يَخِيسُ شَعِيرَةً  
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنْ أَبْنَانَا لَا مَكْذَبَ  
أَمْرِي لَقَدْ كَلَّفْتُ وَجْدًا بِأَحَدٍ  
وَجُودَتُ بِنَفْسِي دُونَهُ لَحْمِيَّةُ  
فَلَا زَالَ لِلدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا  
وَأَيْدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بَنْصَرِهِ

عَلَيْنَا بِسُوءِ أَوِيلُوحٍ يَمَاطِلِ (١)  
وَمِنْ مَلْحَقٍ فِي الدِّينِ مَالِمٍ نَحَاولِ  
وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَتَنَاضِلِ (٢)  
وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَالِ  
مِنَ الطَّعْنِ فَعَلِ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ (٣)  
نَهْوِضُ الرُّوَايَا نَحْتِ ذَاتِ الصَّلَاحِ (٤)  
لَتَلْبَسُنَّ أَسْيَافُنَا بِالْأَمَائِلِ (٥)  
أَخِي ثِقَةَ عِنْدَ الْحَفِيفَةِ بَاسِلِ  
يُحَوِّطُ الذَّمَّارَ غَيْرَ نَكْسٍ مُوَاطِلِ (٦)  
يُنْمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ (٧)  
فَهَمَّ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ  
وَوِزَانُ صِدْقٍ وَزَنَهُ غَيْرَ عَائِلِ (٨)  
لَدَيْنَا ، وَلَا يَبْعَا بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ  
وَأَحْبَبْتُهُ حَبَّ الْحَبِيبِ الْمَوَاصِلِ  
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَى وَالْكُوَاهِلِ  
وَشَيْنًا لِمَنْ عَادَى وَزِينَ الْحَافِلِ  
وَأُظْهِرُ دِينًا حَقَّهُ غَيْرَ بَاطِلِ

\*\*\*

(١) ديوانه ١٠٠ - ١٣٤  
(٢) يُبْزَى ، أى تَقْلَبُ  
(٣) يَرْكَبُ رَدْعَهُ : يَخْرُجُ لَوَجْهَهُ عَلَى دَمِهِ ، وَالرَّدْعُ : اللَّاطِخُ وَالْأَثَرُ مِنَ الدَّمِ .  
(٤) الرُّوَايَا : جَمْعُ رَاوِيَةٍ ؛ وَهُوَ الْبَعِيرُ يَسْتَقِي عَلَيْهِ . وَذَاتُ الصَّلَاحِ : الْمَزَادَةُ الَّتِي يَنْقَلُ فِيهَا الْمَاءُ ،  
وَالصَّلَاحُ جَمْعُ صَنْعَةٍ ، وَهِيَ بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي الْإِدَاوَةِ .  
(٥) الْأَمَائِلُ : الْأَشْرَافُ  
(٦) الدِّيَوَانُ : « غَيْرُ ذَرْبٍ » .  
(٧) يُنْمَالُ الْيَتَامَى : عِمَادُهُمْ .  
(٨) يُقَالُ : عَالَ الْمِيزَانُ يَعْمَلُ ، إِذَا مَالَ .



وورد في السيرة والمغازي أن عتبة بن ربيعة أو شيبة لما قطع رجل عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشيل<sup>(١)</sup> عليه عليّ وحزّة فاستنقذاه منه وخطبا عتبة بسيفهما حتى قتلاه ، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش ، فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنّ مخّ ساقه ليسيل ، فقال : يا رسول الله ، لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنه قد صدق في قوله :

كذبتُم وبيتِ الله تُخْلِ محمداً ولما نطاعن دُونه ونسأضِل  
وننصرُه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وآله استغفر له ولأبي طالب يومئذ ، وبلغ عبيدة مع النبي صلى الله عليه وآله إلى الصفراء فمات فدفن بها .

قالوا : وقد روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام جدب ، فقال : أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرضع ، ولا شارب<sup>(٢)</sup> يجتر ثم أنشده :

أتيناك والمذراء تدمى لبناًها وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل  
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع حتى ما يثر ولا يحلي  
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العاصي والعليز القل  
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل !

فقام النبي صلى الله عليه وآله له يجرّ رداءه ، حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ، صريثاً هنيئاً ، مربياً سحّاً سجالاً ، غدقاً طبعاً قاطباً ، دائماً درّاً تحي به الأرض ، وتنبت به الزرع ، وتدرّ به الضرع ، واجعله سقياً نافعاً عاجلاً غير راث » . فوالله ، مارد رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى نحره حتى ألقى السماء



أرؤاها ، وجاء الناس يضحون : الفرق الفرق يارسول الله ! فقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فانجأنا السحاب عن المدينة حتى استدار حوالها كالإكليل .

فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ، ثم قال : لله درُّ أبي طالب ! لو كان حيًّا لقرت عينه . من يُنشدنا قوله ؟ فقام عليّ فقال : يارسول الله ، لعلك أردت :  
\* وأبيض يستنقى الغمام بوجهه \*

قال : أجل ، فأنشده أبياتا من هذه القصيدة ، ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر ؛ ثم قام رجل من كفاة فأنشده :

لك الحمد والحمد ممن شكر      سقينا بوجه النبي المطر  
دعا الله خالق دعوته      إليه ، وأشخص منه البصر  
فا كان إلا كما ساعة      أو أقصر حتى رأينا الدرر  
دفاق الغزالي وجم البعاق <sup>(١)</sup>      أغاث به الله علينا مضر  
فكان كما قاله سمعته      أبو طالب ذو رواد غرر  
به يسر الله صوب الغمام      فهذا العيان وذاك الخبر  
فمن يشكر الله يلق المزيدي      ومن يكفر الله يلق الفير

فقال رسول الله : إن يكن شاعر أحسن فقد أحسنت .

قالوا : وإنا لم نظهر أبو طالب الإسلام ويجاهر به ، لأنه لو أظهره لم يتبها له من نصرة النبي صلى الله عليه وآله ما تبها له ، وكان كواحد من المسلمين الذين اتبعوه ، نحو أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرها ممن أسلم ، ولم يتمكن من نصرة والقيام دونه

(١) الغزالي : جمع غزلاء ، وهي في الأصل : مصب الماء من القرية والراوية ، ويقال للحاية إذا انهمرت بالمطر : قد حلت غزاليها ، وأرسلت غزاليها . والبعاق : المطر الذي ينمق بالماء .



حينئذ ، وإِنَّمَا تَمَكَّنَ أَبُو طَالِبٍ مِنَ الْحَمَامَةِ عَنْهُ بِالثَّبَاتِ فِي الظَّاهِرِ عَلَى دِينِ قُرَيْشٍ وَإِنْ أَبْطَنَ الْإِسْلَامَ ؛ كَأَنَّهُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا كَانَ يُبْطِنُ التَّشْيِيعَ مِثْلًا ، وَهُوَ فِي بَلَدٍ مِنْ بِلَادِ الْكِرَامِيَّةِ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ وَجَاهَةٌ وَقَدَمٌ ، وَهُوَ يُظْهِرُ مَذْهَبَ الْكِرَامِيَّةِ ، وَيَحْفَظُ نَامُوسَهُ بَيْنَهُمْ بِذَلِكَ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ نَفَرٌ يَسِيرُ مِنَ الشَّيْعَةِ لَا يَزَالُونَ يُنَالُونَ بِالْأَذَى وَالضَّرَرِ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرُؤُسَائِهِ ، فَإِنَّهُ مَا دَامَ قَادِرًا عَلَى إظهارِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَلَدِ ، يَكُونُ أَشَدَّ تَمَكُّنًا مِنَ الْمُدَافَعَةِ وَالْحَمَامَةِ عَنْ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ ، فَلَوْ أَظْهَرَ مَا يَجُوزُ مِنَ التَّشْيِيعِ ، وَكَاشَفَ أَهْلَ الْبَلَدِ بِذَلِكَ ، صَارَ حَكْمُهُ حَكْمَ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ ، وَلَحِقَهُ مِنَ الْأَذَى وَالضَّرَرِ مَا يَلْحَقُهُمْ ، وَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنَ الْمُدَافَعَةِ أحيانًا عَنْهُمْ كَمَا كَانَ أَوَّلًا .

قلت : فَأَمَّا أَنَا فَإِنَّ الْحَالَ مُلْتَبِسَةٌ عِنْدِي ، وَالْأَخْبَارُ مُتَعَارِضَةٌ ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ حَالِهِ كَيْفَ كَانَتْ (١) .



وَيَقِفُ فِي صَدْرِي رِسَالَةُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ (٢) إِلَى الْمَنْصُورِ ، وَقَوْلُهُ فِيهَا : « فَأَنَا ابْنُ خَيْرِ الْأَخْيَارِ ، وَأَنَا ابْنُ شَرِّ الْأَشْرَارِ ، وَأَنَا ابْنُ سَيِّدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَنَا ابْنُ سَيِّدِ أَهْلِ النَّارِ » . فَإِنَّ هَذِهِ شَهَادَةً مِنْهُ عَلَى أَبِي طَالِبٍ بِالْكَفْرِ ، وَهُوَ ابْنُهُ وَغَيْرُ مَنْهُمْ عَلَيْهِ ، وَعَمْدُهُ قَرِيبٌ مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لَمْ يَطُلِ الزَّمَانُ فَيَكُونَ الْخَبَرُ مُفْتَعَلًا .

وَجَمَلَةُ الْأَمْرَانِ قَدْ رُوِيَ فِي إِسْلَامِهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَرَوَى فِي مَوْتِهِ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ، فَتَعَارَضَ الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ، فَكَانَ كَتَعَارُضِ الْبَيِّنَتَيْنِ عِنْدَ الْحَاكِمِ ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي التَّوَقُّفَ ، فَأَنَا فِي أَمْرِهِ مِنَ الْمُتَوَقِّفِينَ .

(١) وَضَعَ الشَّيْخُ الْمُفِيدُ رِسَالَةً فِي إِيمَانِ أَبِي طَالِبٍ ، طُبِعَتْ فِي مَجْمُوعَةِ نَفَائِسِ التَّحْقِيقَاتِ ، الْمَدَدُ الثَّلَاثُ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ الْأُولَى . طُبِعَتْ فِي النَّجَفِ سَنَةَ ١٩٥٦ .

(٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، الْمَلَقَبُ بِالْأَرْقَطِ وَبِالْمُهْدِيِّ وَبِالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ ، خَرَجَ عَلَى الْمَنْصُورِ نَائِرًا لِمَقْتُلِ أَبِيهِ بِالْكُوفَةِ فِي مَائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، فَقُبِضَ عَلَى أَمِيرِ الْمَدِينَةِ ، وَبَايَعَهُ أَهْلُهَا فَاتَّعَدَبَ الْمَنْصُورُ لِقِتَالِهِ وَلِيَّ عَهْدَهُ عِيْسَى بْنُ مُوسَى ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ بِمَقْتَلِهِ سَنَةَ ١٤٥ هـ . (مَقَاتِلُ الطَّالِبِينَ ٢٣٢) .

فأما الصلاة وكونه لم يُنقل عنه أنه صلى ، فيجوز أن يكون لأن الصلاة لم تكن بعد قد فرضت ، وإنما كانت نفلاً غير واجب ، فمن شاء صلى ، ومن شاء ترك ، ولم تفرض إلا بالمدينة ، ويمكن أن يقول أصحاب الحديث : إذا تعارض الجرح والتعديل كما قد أشرتم إليه ، فالترجيح عند أصحاب أصول الفقه لجانب الجرح ، لأن الجرح قد اطلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل .

وخلصومهم أن يجيبوا عن هذا فنقول : إن هذا إنما يقال ويذكر في أصول الفقه في طعن مفصل في مقابلة تعديل مجمل ، مثاله أن يروى شعبة مثلاً حديثاً عن رجل ، فهو بروايته عنه قد وثقه ، ويمكن في توثيقه له أن يكون مستور الحال ، ظاهره العدالة ، فيطمئن فيه الدارقطني مثلاً بأن يقول : كان مدلساً ، أو كان يرتكب الذنب الفلاني ، فيكون قد طعن طعناً مفصلاً في مقابلة تعديل مجمل ، وفيما نحن فيه وبصدده الروايتان متعارضتان تفصيلاً لا إجمالاً ، لأن هؤلاء يروون أنه تلفظ بكلمتي الشهادة عند الموت ، وهؤلاء يروون أنه قال عند الموت : أنا على دين الأشياخ .

وبمثل هذا يحجب من يقول من الشيعة : روايتنا في إسلامه أرجح ، لأننا نروى حكماً إيجابياً ونشهد على إثبات ، وخصومنا يشهدون على النفي ، ولا شهادة على النفي ، وذلك أن الشهادة في الجانبين معا ، إنما هي على إثبات ، ولما كانت إثبات متضاداً . وصنف بعض الطالبين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب ، وبعثه إلى ، وسألني أن أكتب عليه <sup>(١)</sup> بخطي نظماً أو نثراً أشهد فيه بصحة ذلك ، وبوثاق الأدلة عليه ، فتحررت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً ، لما عندي من التوقف فيه ، ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب ، فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دِعامه . وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة ، فكتبت على ظاهر المجلد :



ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاماً  
 فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جسد الحماس<sup>(١)</sup>  
 تكفل عبد مناف بأمره وأودى فكان على تمام  
 قفل في ثبير مضى بعد ما قضى ما قضاه وأبقى كشماس  
 فله ذا فاتحاً للهدى ولله ذا للمعالي ختام  
 وما ضرَّ مجد أبي طالب جهول لفاً أو بصير تمام  
 كما لا يضر إياة الصباح<sup>(٢)</sup> من ظن ضوء النهار الظلام  
 فوقيته حقاً من التعظيم والإجلال ، ولم أجزم بأمر عندي فيه وقفة .

### [ قصة غزوة بدر ]

الفصل الثالث : في شرح القصة في غزاة بدر ، ونحن نذكر ذلك من كتاب " المغازي " ،  
 لمحمد بن عمر الواقدي ، ونذكر ما عساه زاده محمد بن إسحاق في كتاب " المغازي " ، وما  
 زاده [ أحمد بن ]<sup>(٣)</sup> يحيى بن جابر البلاذري في " تاريخ الأشراف " .

قال الواقدي : بلغ<sup>(٤)</sup> رسول الله صلى الله عليه وآله أن عير قريش قد فصلت من مكة  
 تريد الشام ، وقد جمعت قريش فيها أموالها ، فندب لها أصحابه ، وخرج يعترضها على رأس  
 ستة عشر شهراً من مهاجره عليه السلام ، فخرج في خمسين ومائة - ويقال في مائتين -  
 فلم يلق العير ؛ وفاته ذاهبة إلى الشام . . وهذه غزاة ذي العُشيرة ، رجع منها إلى المدينة فلم  
 يلق حرباً ، فلما تحين انصراف العير من الشام قافلة ندب أصحابه لها ، وبعث طلحة بن  
 عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قبل خروجه من المدينة بعشر ليال ،

(١) إياة الصبح : ضوءه ، وأصله في الشمس .

(٢) مغازي الواقدي ص ١١ وما بعدها .

(٣) ١ : حسن .

(٤) من ١



يتجسّسان خبر العير ، حتى نزلا على كشد<sup>(١)</sup> الجهنيّ بالموضع المعروف بالنخبار<sup>(٢)</sup> ، وهو من وراء ذي المروة على الساحل ، وفأجارها وأنزلها ، فلم يزالا مقيمين في خباء وبرّ حتى مرّت العير ، فرفعهما على نشز من الأرض ، فنظرا إلى القوم وإلى ما تحمل العير ، وجعل أهل العير يقولون لكشد : يا كشد ، هل رأيت أحدا من عيون محمد ؟ فيقول : أعوذ بالله ، وأني لمحمد عيون بالنخبار ! فلما راحت العير باتا حتى أصبحا ثم خرجا ، وخرج معهما كشد خفيرا ، حتى أوردتها ذا المروة ، وساحت العير فأسرعت ، وسار بها أصحابها ليلا ونهارا ، فرقا من الطالب ، وقدم طلحة وسعيد المدينة في اليوم الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً ببدر ، فخرجوا يعترضان رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلقياه بتربان - وتربان بين مَلَل والسَّالَة على الحجّة ، وكانت منزل عمروة ابن أذينة الشاعر - وقدم كشد بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وآله ، وقد أخبر طلحة وسعيد رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنّعا بهما ، فخباه وأكرمه ، وقال : ألا أقطع لك ينبع ؟ قال : إني كبير : وقد نفذ عمري ، ولكن أقطعها لابن أخي ، فأقطعها له<sup>(٣)</sup> .

قالوا : وندب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين ، وقال : هذه عير قريش ، فيها أموالهم : لعن الله أن يفتنكموها ، فأسرع من أسرع ، حتى إن كان الرجل ليساهم أباه في الخروج ، فكان ممن ساهم أباه سعد بن خيثمة ، فقال سعد لأبيه : إنه لو كان غير الجنة آثرتك به ، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا ، فقال خيثمة : آثرني وقرّ مع نساءك ، فأبى سعد ، فقال خيثمة : إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم ، فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فقتل ببدر . وأبطأ عن النبي صلى الله عليه وآله بشر كثير من أصحابه ، وكرهوا خروجه ، وكان في ذلك كلام كثير ، واختلاف ، وبعضهم تخلف من أهل النيات والبصائر ، لم يظنوا أنه يكون قتال ، إنما هو الخروج للغنيمة ، ولو ظنوا أنه يكون قتال لما تخلفوا ؛ منهم أسيد

(١) في الإصابة : كشد بالسین المهملة وما أثبتته من الأصول يوافق ما في المغازي .

(٢) في مغازي الواقدي : « النخبار من وراء ذي المروة على الساحل » .

(٣) الخبر في الإصابة ٣ : ٣٧٧ .



ابن حُضَيْر ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال أُسَيْد : الحمد لله الذى سرك وأظهرك على عدوك ، والذى بعثك بالحق ما تخلفت عنك رغبةً بنفسى عن نفسك ، ولا ظننت أنك تلاقى عدوًا ، ولا ظننت إلا أنها العير ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : صدقت .

قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتى انتهى إلى المكان المعروف بالبُقْع<sup>(١)</sup> وهى بيوت السُّقيا<sup>(٢)</sup> ، وهى متصلة ببيوت المدينة ، فضرب عسكره هناك ، وعرض المقاتلة ، فعرض عبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، فردّهم ولم يُجِزْهُمْ .

قال الواقدي : فحدثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : رأيتُ أخِي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوارى ، فقلت : مالك يا أخى ؟ قال : إني أخافُ أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وآله فيستصغرنى ، فيردننى ، وأنا أحبُّ الخروج ، لعلَّ الله أن يرزقني الشهادة . قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستصغره ، فقال : ارجعْ ، فبكى [عمير]<sup>(٣)</sup> ، فأجازه . قال : فكان سعد يقول : كنت أعقده له حمائل سيفه من صِغَرِهِ ، فقتل بيدٍ وهو ابن ستِّ عشرة سنة .

قال : فلما نزل عليه السلام بيوت السُّقيا أمر أصحابه أن يستقوا<sup>(٤)</sup> من بئرهم ، وشرب عليه السلام منها ، كان أول من شرب وصلى عندها ، ودعا يومئذ لأهل المدينة ، فقال :

(١) قال ياقوت « البقم : اسم بئر بالمدينة » ، وقال الواقدي : « البقم من السقيا التى بنى بئرها بالمدينة »  
(٢) فى ياقوت : « عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستقى الماء العذب من بيوت السقيا ، وفى حديث آخر : كان يستعذب الماء العذب من بيوت السقيا ، والسقيا : قرية جامعة من عمل الفرع ، بينهما مما يلى الحجة تسعة عشر ميلا ... » وقال ابن الفقيه : السقيا من أسافل أودية تهامة .  
(٣) من الواقدي .  
(٤) ب : « يستقوا » ، وأثبت ما فى الواقدي .



اللهم إن إبراهيم عبدك وخليفك ونبيك ، دعاك لأهل مكة ، وإني محمد عبدك ونبيك ، أدعوك لأهل المدينة ، أن تبارك لهم في صاعيتهم ومُدَّتْهم ونهارهم ، اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة ، واجعل ما بها من الوباء بَخْمٌ . اللهم إني حرمت ما بين لابتيها ، كما حرَّم إبراهيم خليلك مكة .

قال الواقدي : وخُمٌ على ميلين من الحجة .

وقدَّم رسول الله صلى الله عليه وآله أمامه عدى بن أبي الزغباء ، وبسيس بن عمرو ، وجاء إليه عبد الله بن عمرو بن حزام ، فقال : يا رسول الله ، لقد سرَّني منزلك هذا ، وعرضك فيه أصحابك ، وتفاءلت به ، إن هذا منزلنا بني سلعة ، حيث كان بيننا وبين أهل حُسيكة ما كان .

قال الواقدي : هي حُسيكة <sup>(١)</sup> الذباب ، والذباب <sup>(٢)</sup> : جبل بناحية المدينة ، وكان بحُسيكة يهود ، وكان لهم بها منازل . فمرَّضنا يارَسُولَ الله هاهنا أصحابنا ، فأجزنا مَنْ كان يطيق السلاح ، ورددنا مَنْ صَغُرَ عن حمل السلاح ، ثم سرنا إلى يهود حُسيكة ، وهم أعزُّ يهود كانوا يومئذ ، فقتلناهم كيف شئنا ، فذلت لنا سائر <sup>(٣)</sup> يهود إلى اليوم ، وأنا أرجو يارَسُولَ الله أن نلتقي نحن وقريش ، فيقرَّ الله عينك منهم .

قال الواقدي : وكان خلاد بن عمرو بن الجموح لما كان من النهار رجع إلى أهله بمخزباء ، فقال له أبوه عمرو بن الجموح : ما ظننت إلا أنكم قد سِرْتُمْ ، فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وآله يعرض الناس بالبيع ، فقال عمرو : نعم القائل ! والله إني لأرجو أن تغنموا وأن تغفروا بمشركي قريش ، إن هذا منزلنا يوم سرنا إلى حُسيكة . قال : فإنَّ

(١) حُسيكة ، ضبطه ياقوت بالتصغير ، وقال : هو موضع بالمدينة في طرق ذباب .

(٢) ضبطه ياقوت : « بكسر أوله وباءين » ، وقال : جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار .

(٣) ب : « اليهود » .



رسول الله صلى الله عليه وآله قد غيّر اسمه ، وسمّاه السّقيّا . قال : فكانت في نفسي أن اشتريها ، حتى اشتراها سعد بن أبي وقاص ببيكرين ، ويقال بسبع أواق ، فذكر للنبي صلى الله عليه وآله أن سعدا اشتراها ، فقال : ربح البيع !

قال الواقدي : فراح رسول الله صلى الله عليه وآله من بيوت السّقيّا ، لاثنتي عشرة ليلة <sup>(١)</sup> مضت من رمضان ، وخرج المسلمون معه ثلاثمائة وخمسة ، وتخلّف ثمانية ، ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ، فكانت الإبل سبعين بعيراً ، وكانوا يتعاقبون الإبل : الاثنين ، والثلاثة ، والأربعة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد - ويقال زيد بن حارثة مكان مرثد - يتعاقبون بعيراً واحداً ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد ابن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة ، موالى النبي صلى الله عليه وآله على بعير ، وكان عبيدة بن الحارث والطفيل والحصين ابنا الحارث ، ومسطح بن أثانة على بعير لعبيدة بن الحارث ناضح <sup>(٢)</sup> ابتاعه من أبي داود المازني ، وكان مُعَاذٌ وَعُوفٌ ومعوذ بنو عفراء ومولاهم أبو الحمراء على بعير ، وكان أبي بن كعب وُعْمَارَةُ بن حِزَامٍ وحارثة بن النعمان على بعير ، وكان خِرَاشُ ابن الصّمة وقُطَيْبَةُ بن عامر بن حديدة وعبد الله بن عمرو بن حزام على بعير ، وكان عُثْبَةُ ابن غَزْوَانَ وطَلِيبُ بن عمير على جملٍ لعُثْبَةَ بن غَزْوَانَ يقال له العُبُسُ ، وكان مصعب ابن عمير وسُوَيْبِطُ بن حَرْمَلَةَ ومسعود بن ربيع على جمل لمصعب ، وكان عَمَارُ بن ياسر وعبد الله بن مسعود على بعير ، وكان عبد الله بن كعب وأبو داود المازني وسليط بن قيس على جملٍ لعبد الله بن كعب ، وكان عثمان بن عفان وقُدَامَةُ بن مظعون وعبد الله بن مَظْعُونُ والسائب بن عثمان على بعير يتعاقبون ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف على بعير ، وكان سعد بن مُعَاذٍ وأخوه وابن أخيه الحارث بن أَوْسٍ والحارث بن أنس على جمل لسعد بن مُعَاذٍ ناضحٍ يقال له الذّيَالُ ، وكان سعيد بن زيد ، وسلعة بن

(١) ساقطة من ب

(٢) الناضح : البعير يستقي عليه الماء .

سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر ، ورافع بن يزيد على ناضح لسعيد بن زيد ، ماتزودوا  
إلا صاعاً من تمر .

قال الواقدي : فروى معاذ بن رفاعه ، عن أبيه ، قال : خرجت مع النبي صلى الله  
عليه وآله إلى بدر ، وكان كل ثلاثة يتعاقبون بعيراً ، فكنت أنا وأخي جلال بن رافع  
على بكرٍ لنا ومعنا عبدة بن يزيد بن عامر ، فكنا نتعاقب ، فسيرنا حتى إذا كنا بالروحاء  
إذ مر بنا بكرنا وبرك علينا وأعياء ، فقال أخي : اللهم إن لك على نذراً ، انن رددتنا إلى  
المدينة لأحرته ، فر بنا النبي صلى الله عليه وآله ونحن على تلك الحال ، فقلنا : يا رسول الله  
برك علينا بكرنا ، فدعا بماء فتمضمض وتوضأ في إناء ، ثم قال : افتحاً فاد ، ففعلنا فصبه  
في فيه ، ثم على رأسه ثم على عنقه ، ثم على حاركه ، ثم على سنامه ، ثم على عجزه ، ثم  
على ذنبه ، ثم قال : اركبا ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله فاحقناه أسفل من  
المنصرف ، وإن بكرنا لينفر بنا ، حتى إذا كنا بالمصلى راجعين من بدر ، برك علينا ،  
فنحره أخي ، فقسم لحمه وتصدق به .

قال الواقدي : وقد روى أن سعد بن عبادة حمل في بدر على عشرين حملاً .  
قال : وروى عن سعد بن أبي وقاص ، أنه قال : فخرجنا إلى بدر مع رسول الله  
صلى الله عليه وآله ومعنا سبعون بعيراً فكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على  
بعير ، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبي عليه السلام عنه غناء ، وأرجأهم رجلاً<sup>(١)</sup> ،  
وأرماهم إسهماً ، لم أركب خطوة ذاهباً ولا راجعاً .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين فصل من بيوت القيا :  
اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك ؛  
فارجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً ، للرجل البعير والبعيران ، واكتسى

(١) الرجل بالضم : القوة على المشي



مَنْ كَانَتْ عَارِيًّا ، وَأَصَابُوا طَعَامًا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ ، وَأَصَابُوا فِدَاءَ الْأَسْرَى <sup>(١)</sup> ، فَأَغْنَى بِهِ كُلَّ عَائِلٍ .

قال : واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وآله على المشاة قيس بن أبي صعصعة - واسم أبي صعصعة عمر بن يزيد بن عوف بن مبدول - وأمره النبي صلى الله عليه وآله حين فصل من بُيُوت السّقياء أن يعدّ المسلمين ، فوقف لهم بيثر أبي عبيدة بعدهم ، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وآله ، وخرج من بُيُوت السّقياء ، حتى سلك بطن العقيق ، ثم سلك طريق المكّمين <sup>(٢)</sup> ، حتى خرج على بطحاء بن أزر ؛ فنزل تحت شجرة هناك ، فقام أبو بكر إلى حجارة هناك ، فبنى منها مسجداً ، فصلى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وأصبح يوم الاثنين وهو هناك ؛ ثم صار إلى بطن مكّال وترّبان بين الحفيرة ومكّال .

قال الواقدي : فكان سعد بن أبي وقاص ، يقول : لما كنّا بترّبان ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا سعد ، انظر إلى الظبي ، فأفوّق له بسهم ، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله فوضع رأسه بين منكبي وأذني ، ثم قال : اللهم سدد رميته - قال : فما أخطأ سهمي عن نحره ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرجت أعدو فأخذته وبه رمق فذكّيته <sup>(٣)</sup> ، فحملناه حتى نزلنا قريباً ، أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله فقيم بين أصحابه .

قال الواقدي : وكان معهم فرسان : فرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وفرس للمقداد ابن عمرو البهراني ، حليف بني زُهرة ، ويقال فرس للزبير ؛ ولم يكن إلا فرسان لا اختلاف عندهم <sup>(٤)</sup> ، أن المقداد له فرس ؛ وقد روى عن ضباعة بنت الزبير عن المقداد ،

(١) : « للأسرى » .

(٢) المكّمين ، ضبطه ياقوت على التصغير ، وقال : « عقيق المدينة » وفي الواقدي : « المكّمين » .

(٣) ذكّيته ، ذبحته . (٤) الواقدي : « عندهم » .

قال : كان معي يوم بدر فرس يقال له سبعة . وقد روى سعد بن مالك الغنوي عن آبائه أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي شهد بدرًا على فرس له يقال له السيل .

قال الواقدي : ولحقت قريش بالشام في غيرها ، وكانت العير ألف بعير ، وكان فيها أموال عظام ، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشيّة له مثقال فصاعدا إلا بعث به في العير ؛ حتى إن المرأة لتبعث بالشئ التافه ، وكان يقال : إن فيها لخسين ألف دينار . وقالوا : أقل ، وإن كان ليقال : إن أكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص لأبي أحيحة إمام مال لهم أو مال مع قوم قراض على النصف ، وكان عامة العير لهم ؛ ويقال : بل كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة آلاف مثقال ذهبا ، وكان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيها ألفًا مثقال .

قال الواقدي : وحدثني هشام بن عمار بن أبي الحويرث ، قال : كان لبني عبد مناف فيها عشرة آلاف مثقال ، وكان متجبرهم إلى غزاة من أرض الشام .

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن أبي عون مولى المسور ، عن محرمة ابن نوفل ، قال : لما لحقنا بالشام أدر كُنّا رجلًا من جذام ، فأخبرنا أن محمدا قد كان عرض لعيرنا في بدأتنا ، وأنه تركه مقيمًا ينتظر رجعتنا ، قد حالف علينا أهل الطريق ووادعهم . قال محرمة : فخرجنا خائفين نخاف الرصد ، فبعثنا ضمضم بن عمرو حين فصلنا من الشام .

قال الواقدي : وكان عمرو بن العاص مع العير ، وكان يحدث بعد ذلك يقول : لما كنّا بالزرقاء - والزرقاء بالشام من أذرعات على مرحلتين - ونحن منحدرين إلى مكة لقينا رجلًا من جذام ، فقال : قد كان عرض محمد لكم في بدأتكم في أصحابه ، فقلنا : ما شعرنا ، قال : بلى ، فأقام شهرًا ، ثم رجع إلى يثرب ، وأتم يوم عرض محمد لكم مخفون فهو الآن أحرى أن يعرض لكم ؛ إنما يمد لكم الأيام عددًا ، فاحذروا على عيركم ،



وارتثوا آراءكم ، فوالله ما أرى من عدد ولا كراع ولا حلقة <sup>(١)</sup> . فأجمع القوم أمرهم ، فبعثوا ضمضم بن عمرو ، وكان في العير ، وقد كانت قريش مرّت به وهو بالساحل ، معه بكران ، فاستأجروه بعشرين مثقالاً ، وأمره أبو سفيان أن يخبر قريشاً أن محمداً قد عرض لعيرهم ، وأمره أن يمدّع بعيره إذا دخل ، ويحول رحله ، ويشقّ قيصه من قبله ودبره ، ويصيح : الغوث الغوث ! ويقال : إنما بعثوه من تبوك ، وكان في العير ثلاثون رجلاً من قريش ؛ فيهم عمرو بن العاص ، ونخرفة بن نوفل .

قال الواقدي : وقد كانت عائكة بنت عبد المطلب رأت قبل مجيء ضمضم بن عمرو رؤيا أفرعتها ، وعظمت في صدرها ، فأرسلت إلى أخيها العباس ، فقالت : يا أخى ، لقد والله رأيت رؤيا أفرعتني <sup>(٢)</sup> وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة ، فاكتم على ما أحدثك منها ، رأيت راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته يا آل غُدَر ، أنفروا إلى مصارعكم في ثلاث ، فصرخ بها ثلاث مرات : فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد ، والناس يتبعونه إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، فصرخ مثلها ثلاثاً ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس ، فصرخ مثلها ثلاثاً ، ثم أخذ صخرة من أبي قبيس فأرسلها ، فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت في أسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلته منه فلاة <sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وكان عمرو بن العاص يحدث بعد ذلك فيقول : لقد رأيتُ كل هذا ، ولقد رأيت في دارنا فلاة من الصخرة التي انفلقت من أبي قبيس ، ولقد كان ذلك عبرة ، ولكن الله لم يرِدْ أن نسلم يومئذ ، لكنه أخر إسلامنا إلى ما أراد .

قلت : كان بعض أصحابنا يقول : لم يكفِ عمرأ أن يقول : رأيتُ الصخرة في دور مكة عياناً ، فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء باطنا على وجه النفاق واستخفافه بعقول المسلمين ،

(٢) الواقدي : « أفرعتها » .

(١) الحلقة هنا : السلاح .

(٣) الفلاة : القطعة من الحجارة



زعم حتى يضيف إلى ذلك القول بالخبر الصراح فيقول : إن الله تعالى لم يكن أراد منه الإسلام يومئذ .

قال الواقدي : قالوا : ولم يدخل دارا ولا بيتا من دور بني هاشم ولا بني زهرة من تلك الصخرة شيء ! قال : فقال العباس : إن هذه لرؤيا ، فخرج مغتما ، حتى لقي الوليد بن عتبة ابن ربيعة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه ؛ فقشا الحديث في الناس ، قال العباس : فغدوت أطوف بالبيت ، وأبو جهل في دهرط من قريش يتحدثون برؤيا عائكة ، فقال أبو جهل : ما رأت عائكة هذه ؟ فقلت : وما ذاك ؟ فقال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم بأن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ! زعمت عائكة أنها رأت في المنام كذا وكذا - للذي رأت - فسنتر بص بكم ثلاثا ، فإن يكن ما قالت حقاً فيكون ، وإن مضت الثلاث ولم يكن ، نكتب عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب ! فقال له العباس : يا مصفر استه ، أنت أولى بالكذب واللؤم منا ! فقال أبو جهل : إنا استبقينا المجد وأنتم ، فقلتم : فينا السقاية ، فقلنا : لانبألى ، نسقون الحجاج ، ثم قلتم : فينا الحجابة ، فقلنا : لانبألى تحجبون البيت ، ثم قلتم : فينا الندوة ، قلنا : لانبألى يكون الطعام فتطعمون الناس . ثم قلتم : فينا الرقادة ، فقلنا : لانبألى ، تجمعون عندكم ما ترفدون به الضعيف ، فلما أطعمنا الناس وأطعمتم ، وازدحت الركب واستبقينا المجد ، فكنا كفرسئ رهان ، قلتم : منا نبي ، ثم قلتم : منا نبية ! فلا واللات والعزى لا كان هذا أبدا !

قلت : لا أرى كلام أبي جهل منتظماً ؛ لأنه إذا سلم للعباس أن هذه الخصال كلها فيهم ، وهي الخصال التي تشرف بها القبائل بعضها على بعض ، فكيف يقول : لانبألى ! وكيف يقول : فلما أطعمنا للناس وأطعمتم ، وقد كان الكلام منتظماً ، لو قال : ولنا يازاء هذه المفاخر كذا وكذا ، ثم يقول بعد ذلك : استبقينا المجد فكنا كفرسئ رهان ، وازدحت الركب ؛ ولم يقل شيئاً ولا عداً ما أثره ، ولعل أبا جهل قد قال ما لم ينقل .



قال الواقدي : قال العباس : فوالله ما كان مني غير أنني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيئاً ، فلما أمسيت لم تبق امرأة أصابتها ولادة عبد المطلب إلا جاءت ، فقلن لي : أرضيتم بهذا الفاسق الخبيث يقع في رجالكم ، ثم قد تناول نساءكم ! ولم تكن لك عند ذلك غيره ! فقلت : والله ما قلت إلا لأنني لا أبالي به ، ولأيم الله لأعرضن له غداً ، فإن عاد كفيْتُكُنَّ إياه . فلما أصبحوا من ذلك اليوم الذي رأت فيه عاتكة ما رأت ، قال أبو جهل : هذه ثلاثة أيام مابقي . قال العباس : وغدوت في اليوم الثالث ، وأنا حديد مغضب ، أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه ، وأذكر ما أحفظني به النساء من مقالتهن ، فوالله إني لأمشي نحوه . وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر . إذ خرج نحو باب بني مَهْم بِشْتَدٍّ ، فقلت : ما باله لعنه الله ! أكل هذا فرقا من أن أشاتمه ! فإذا هو قد سمع صوت ضَمْضَم بن عمرو وهو يقول : يا معشر قريش ، يا آل لؤي بن غالب ، اللطيمة قد عرض لها محمد في أصحابه ! الغوث الغوث ! والله ما أرى أن تدركوها ، وضمضم ينادي بذلك في بطن الوادي ، وقد جدَّع أذني بعيره وشقَّ قميصه قُبْلًا ودُبْرًا ، وحول رحله ، وكان يقول : لقد رأيْتُ قبل أن أدخل مكة وإني لأرى في النوم وأنا على راحلتي كأن وادي مكة يسيل من أسفله إلى أعلاه دماً ، فاستيقظت فرعاً مذعوراً ، فكرهتها لقريش ، ووقع في نفسي أنها مصيبة في أنفسهم .

قال الواقدي : وكان عمير بن وهب الجحفي يقول : ما رأيت أعجب من أمر ضَمْضَم قط ، وما صرح على لسانه إلا شيطان ! كأنه لم يملكنا من أمورنا شيئاً ، حتى نفرنا على الصَّعْب والذلول ، وكان حكيم بن حزام يقول : ما كان الذي جاءنا فاستنفرنا إلى العير إنساناً ! إن هو إلا شيطان ، قيل : كيف يا أبا خالد ؟ قال : إني لأعجب منه ، ما مملكنا من أمورنا شيئاً . قال الواقدي : فجهز الناس وشغل بعضهم عن بعض ، وكان الناس بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً ، وأشفقت قريش لرؤيا عاتكة ، وسرَّ بنو هاشم .

وقال قائلهم : كلاً ، زعمنا أنا كذبتنا وكذبت عاتكة ! فأقامت قریش ثلاثاً تتجهز -  
ويقال : يومين - وأخرجت أسلحتها واشتروا سلاحاً ، وأعان قوئهم ضعيفهم ، وقام سهيل  
ابن عمرو في رجال من قریش ، فقال : يامعشر قریش ، هذا محمد والصباة معه من شبانكم  
وأهل يثرب قد عرضوا العيركم ولطيبتكم<sup>(١)</sup> ، فمن أراد ظهراً فهذا ظهر ، ومن أراد قوة فهذه  
قوة . وقام زمعة بن الأسود ، فقال : إنه واللآت والعزى ما نزل بكم أمر أعظم من أن  
طمع محمد وأهل يثرب أن يعرضوا لعيركم فيها خزائنكم ؛ فأرعبوا<sup>(٢)</sup> ولا يتخلف منكم  
أحد ، ومن كان لا قوة له فهذه قوة ، والله لئن أصابها محمد وأصحابه لا يروكم منهم  
إلا وقد دخلوا عليكم بيوتكم . وقال طعيمة بن عدى : يامعشر قریش ، والله ما نزل بكم  
أمر أجل من هذه ! أن يستباح عيركم ، ولطيعة قریش فيها أموالكم و خزائنكم ؛ والله ما أعرف  
رجلاً ولا امرأة من بني عبد مناف له نش<sup>(٣)</sup> فصاعداً إلا وهو في هذه العير ، فمن كان لا قوة به  
فمعدنا قوة نحمله ونقويه . فحمل على عشرين بعيراً وقوى بهم ، وخلفهم في أهلهم بمعونة . وقام  
حنظلة بن أبي سفيان وعمر بن أبي سفيان فحضا الناس على الخروج ، ولم يدعوا إلى قوة  
ولا حُلان ؛ فقبل لهما : ألا تدعوان إلى مادعا إليه قومكما من الحلان ؟ قالوا : والله ما لنا  
مال ، وما المال إلا لأبي سفيان . ومشى نوفل بن معاوية الديلمي إلى أهل القوة من قریش ،  
وكلهم في بذل النفقة والحلان لمن خرج ، فكلّم عبد الله بن أبي ربيعة ، فقال : هذه  
خمسة دينار تضعها حيث رأيت ، وكلّم حويطب بن عبد العزى ، فأخذ منه مائتي دينار  
أو ثلثمائة ، ثم قوى بها في السلاح والظهر .

قال الواقدي : وذكروا أنه كان لا يتخلف أحد من قریش إلا بعث مكانه بعثاً ،  
فشت قریش إلى أبي لهب ، فقالوا له : إنك سيد من سادات قریش ، وإنك إن تخلفت عن

(١) اللطيعة : التجارة ؛ وقيل : اللطيعة : المعطر خاصة .

(٢) أرعبوا : استعدوا .

(٣) النش : وزن نواة من ذهب .



النفير يعتبر بك غيرك من قومك، فاخرج أو ابعث رجلاً ، فقال : واللّات والعزّى لا أخرج ولا أبعث أحداً، فجاءه أبو جهل فقال : أقم يا أبا عتبة ، فوالله ما خرجنا إلا غضباً لدينك ودين آبائك ! وخاف أبو جهل أن يسلم أبو لهب، فسكت أبو لهب ولم يخرج ولم يبعث، وما منع أبا لهب أن يخرج إلا الإشفاق من رؤيا عاتكة ، كان يقول: إنما رؤيا عاتكة أخذ باليد ، ويقال إنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان له عليه دين ، فقال : اخرج ودينى عليك لك ، فخرج عنه .

\*\*\*

وقال محمد بن إسحاق في المغازي : كان دين أبي لهب على العاص بن هشام أربعة آلاف درهم ، فمطله بها ، وأفلس فتركها له على أن يكون مكانه ، فخرج مكانه . قال الواقدي : وأخرج عتبة وشيبة دروعاً لهما فنظر إليهما مولاها عدّاس وهما يصلحان دروعهما وآلة حربهما ، فقال : ما تريدان ؟ فقالا : ألم تر إلى الرجل الذي أرسلناك إليه بالعنب في كرمنا بالطائف ؟ قال : نعم ، قالا : نخرج فنقاتله ، فبكي ، وقال : لا تخرجا فوالله إنه لنبي ، فأبيا فخرجا ، وخرج معهما فقتل بيذر معهما .

قلت : حديث العنب في كرم ابني ربيعة بالطائف ، قد ذكره أرباب السيرة، وشرحه الطبري في التاريخ ، قال : لما مات أبو طالب بمكة طمعت قريش في رسول الله صلى الله عليه وآله ونالت منه ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب ، فخرج من مكة خائفاً على نفسه مهاجراً إلى ربه يوم الطائف ، راجياً أن يدعو أهلها إلى الإسلام فيجيبوه ، وذلك في شوال من سنة عشر من النبوة ، فأقام بالطائف عشرة أيام ، وقيل شهراً ، لا يدع أحداً من أشراف ثقيف إلا جاءه وكلمه ، فلم يجيبوه ، وأشاروا عليه أن يخرج عن أرضهم ، ويلحق بمجاهل الأرض وبحيث لا يعرف ، وأغروا به سفهاءهم ، فرمّوه بالحجارة ، حتى إن رجله لتدميان ، فكان معه زيد بن حارثة ، فكان يقيه بنفسه ، حتى لقد شجّ في رأسه .

والشيعة تروى أن علي بن أبي طالب كان معه أيضا في هجرة الطائف ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثقيف وهو محزون ، بعد أن مشى إلى عبد ياليل ومسعود وحبيب بن عمرو بن عمير ، وهم يومئذ سادة ثقيف ، فجلس إليهم ، ودعاهم إلى الله وإلى نصرته والقيام معه على قومه ، فقال له أحدهم : أنا أمرط <sup>(١)</sup> بباب الكعبة ، إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك كلمة أبدا ، لأن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنك أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولأن كنت كاذبا على الله ما ينبغي أن أكلمك . فقام رسول الله صلى الله عليه وآله من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف ، واجتمع عليه صبيانهم وسفهاؤهم ، وصاحوا به وسبوه وطرده ، حتى اجتمع عليه الناس يعجبون منه ، وألقوه بالحجارة والطرد والشتم إلى حائط <sup>(٢)</sup> لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما يومئذ في الحائط ، فلما دخل الحائط رجع عنه سفهاء ثقيف ، فعمد إلى ظل حبة <sup>(٣)</sup> منه فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران ويريان مالتى من سفهاء ثقيف .

قال الطبري : فلما اطمأن به قال - فيما ذكر لي : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ! إلى بعيد فيتهجنني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، فإن لم يكن منك غضب على فلا أبالي ! ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتي حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك !

فلما رأى عتبة وشيبة مالتى تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاما نصرانيا لهما ، يقال له

(١) في الطبري : « هو يمرط ثياب الكعبة » ، أي يمزقها . (٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبة : الكرم .



عدّاس ، فقالا له : خذ قِطْعاً<sup>(١)</sup> من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، وقل له فليأكل منه ، ففعل وأقبل به حتى وضعه بين يديه ، فوضع يده فيه ، فقال : بسم الله ، وأكل ، فقال عدّاس : والله إن هذه الكلمة لا يقولها أهل هذه البلدة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : من أيّ البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصراني من أهل نينوى ، قال : أمين قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ قال : وما يدريك من يونس بن متى ؟ قال : ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبي . فأكب عدّاس على يديه ورجليه ورأسه يقبلها ، قال : يقول ابنا ريعة أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءها قالا : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ! قال : ياسيدي ، مافي الأرض خير من هذا ، فقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

قال الواقدي : واستقسم قريش بالأزلام عند هبل للخروج ، واستقسم أمية بن خلف وعُتْبة وشيبة بالآمر والنهي ، فخرج القِدْح<sup>(٣)</sup> الناهي ، فأجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل ، فقال : ما استقسمت ولا تتخلف عن غيرنا .

قال الواقدي : لما توجه زُمنة بن الأسود خارجا ، فكان بذى طوى أخرج قِدَاحه ، واستقسم بها فخرج الناهي عن الخروج ، فلقى غيظا ، ثم أعادها الثانية فخرج مثل ذلك فكسرها ، وقال : ما رأيت كاليوم قِدْحا أكذب ! ومرّ به سهيل بن عمرو وهو على تلك الحال ، فقال : مالي أراك غضبان يا أبا حُكَيْمة ؟ فأخبره زُمنة ، فقال : امض عنك أيّها الرجل ، قد أخبرني عُمَيْر بن وهب أنه لقيَه مثل الذي أخبرتنى ، فمضوا على هذه الحديث<sup>(٤)</sup> .

(١) القِطْع : عنقود العنب . وهو في الأصل : اسم لكل ما يقطف .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ( طبعة المعارف ) .

(٣) القِدْح هنا : السهم الذي كانوا يستقسمون به . (٤) مغازي الواقدي ٢٧ .

قال الواقدي : وحدثنني موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه ، قال : قال أبو سفيان بن حرب لضمضم : إذا قدمت على قريش فقل لها : لا تستقسم بالأزلام .

قال الواقدي : وحدثنني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن سليم بن أبي خيثمة ، قال : سمعتُ حكيم بن حزام يقول : ما توجهتُ وجهاً قط كان أكره إلى من مسيرى إلى بدر ولا بان لي في وجه قط ما بان لي قبل أن أخرج ، ثم قال : قدم ضمضم فصاح بالنفير فاستقسم بالأزلام ، كل ذلك يخرج الذي أكره ، ثم خرجت على ذلك حتى نزلنا مرَّ الظَّهران ، فنحر ابنُ الحنظليَّة جُزوراً منها بها حياة ، فما بقي خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها ، فكان هذا بين <sup>(١)</sup> ، ثم همتُ بالرجوع ، ثم أذكر ابن الحنظليَّة وشؤمه ؛ فبردني حتى مضيت لوجهي . وكان حكيم يقول : لقد رأينا حين بلغنا الثنية البيضاء - وهي الثنية التي تهبطك على فتح وأنت مقبل من المدينة - إذا عداس جالس عليها ، والناس يرمون ، إذ مرَّ علينا ابنا ربعة ، فوثب إليهما ، فأخذ بأرجلهما في غرزهما ، وهو يقول : بأبي أنما وأمى ! والله إنه لرسولُ الله صلى الله عليه ، وما تُساقان إلا إلى مصارعكما ! وإن عينيه لتسيل دمعاً على خديه ، فأردت أن أرجع أيضاً ، ثم مضيت ، ومرَّ به العاص بنُ منبه بن الحجاج ، فوقف عليه حين ولَّى عُتْبة وشَيْبة ، فقال : ما بيكيك ؟ قال : بيكيني سيدي - أو سيِّداً أهل <sup>(٢)</sup> الوادي - يخرجان إلى مصارعهما ، ويقانلان رسول الله صلى الله عليه وآله ! فقال العاص : وإنَّ محمداً رسول الله ! فانتفض عداس انتفاضة واقشعر جلدُه ، ثم بكى ، وقال : إى والله ، إنه لرسول الله إلى الناس كافة . قال : فأسلم العاص بن منبه ، ومضى وهو على الشكِّ ، حتى قُتِل مع المشركين على شكِّ وارتياب . ويقال : رجع عداس ولم يشهد بدرا ، ويقال : شهد بدرا وقتل .

قال الواقدي : والقول الأول أثبت عندنا .

(١) في الأصول : « بينه » والتصويب من الواقدي .  
(٢) الواقدي ٢٨ : « بيكيني سيدي وسيِّداً أهل الوادي »



قال الواقدي : وخرج سعد بن معاذ معتمرا قبل بدر ، فنزل على أمية بن خلف ، فأتاه أبو جهل ، وقال : أتترك هذا وقد آوى محمدا وآذنا بالحرب ! فقال سعد بن معاذ : قل ماشئت ، أما إن طريق غيركم علينا ، قال أمية بن خلف : مه ! لا تقل هذا لأبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي . قال سعد بن معاذ : وأنت تقول ذلك يا أمية ؟ أما والله لسمعت محمدا يقول : لأقتلن أمية بن خلف ، قال أمية : أنت سمعته ؟ قال سعد بن معاذ : فقلت : نعم ، قال : فوقع في نفسه ، فلما جاء النفي أبي أمية أن يخرج معهم إلى بدر ، فأتاه عقبه بن أبي مغيظ وأبو جهل ، ومع عقبه بجمرة فيها بنحور ، ومع أبي جهل مكحلة ومِرود ، فأدخلها عقبه تحته ، فقال : تبخر ، فإنما أنت امرأة ، وقال أبو جهل : اكتحل فإنما أنت امرأة . فقال أمية : ابتاعوا لي أفضل بعير في الوادي ، فابتاعوا له جملا بثأمة دينار من نعم بني قشير ، فغنمه المسلمون يوم بدر ، فصار في سهم حبيب<sup>(١)</sup> بن يساف .

قال الواقدي : وقالوا ما كان أحد ممن خرج إلى العير أكره للخروج من الحارث ابن عامر ، وقال : ليت قر يشا تعزم على القعود وأن مالي في العير تلف ومال بني عبد مناف أيضا ، فيقال له : إنك سيد من ساداتها ، أفلا تردعها عن الخروج ؟ قال : إني أرى قر يشا قد أزمعت على الخروج ، ولا أرى أحدا به طريق<sup>(٢)</sup> تخلف إلا من علة ، وأنا أكره خلافها ، وما أحب أن تعلم قر يش ما أقول ، على أن ابن الحفظلية رجل مشثوم على قومه ، ماأعله إلا يحرز قومه أهل يثرب ، ولقد قسم الحارث<sup>(٣)</sup> مالا من ماله بين ولده ، ووقع في نفسه أنه لا يرجع إلى مكة ، وجاءه ضمضم بن عمرو ، وكانت للحارث عنده أياذ ، فقال : أبا عامر ، إني رأيت رؤيا كرهتها ، وإني لكاليقظان على راحتي وأراكم أن واديكم يسيل دما من أسفله إلى أعلاه ، فقال الحارث : ما خرج أحد وجهاً من الوجوه أكره له من وجهي هذا ، قال : يقول ضمضم : والله إني لأرى لك أن تجلس ، فقال الحارث : لو سمعت

(١) الواقدي ٢٩ ، وفي الأصول « حبيب » ، والتصويب من الواقدي والإصابة .

(٢) طارق ، أي قوة

(٣) ساقطة من الواقدي .

هذا منك قبل أن أخرج ماسرت خطوة ، فاطور هذا الخبر أن تعلمه قریش ، فإنها تنهم كل من عوتقها عن المسير - وكان ضمضم قد ذكر هذا الحديث للحارث بيطن يأجج<sup>(١)</sup> - قالوا : وكرهت قریش أهل الرأي منهم المسير ، ومشى بعضهم إلى بعض ، وكان ممن أبطأ بهم من ذلك الحارث بن عامر ، وأمّية بن خلف ، وعُتْبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم بن حزام وأبو البختري ، وعلي بن أمّية بن خلف ، والعاص بن منبه ، حتى بكتهم أبو جهل بالجبن ، وأعانه عُتْبة بن أبي مُعِيط والنضر بن الحارث بن كَلْدَة ، وحضوهم على الخروج ، وقالوا : هذا فعل النساء . فأجمعوا المسير ، وقالت قریش : لا تدعوا أحدا من عدوكم خلفكم<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : ومما استدلّ به على كراهة الحارث بن عامر للخروج وعُتْبة وشيبة ، أنه ما عرض رجل منهم لحملانا ، ولا حملوا أحدا من الناس ، وإن كان الرجل لياتيهم حليفاً أو عديدا ، ولا قوّة له ، فيطلب الحملان منهم ، فيقولون : إن كان لك مال وأحببت أن تخرج فافعل وإلا فاقم ، حتى كانت قریش تعرف ذلك منهم .

قال الواقدي : فلما اجتمعت قریش إلى الخروج والمسير ، ذكروا الذي بينهم وبين بني بكر من العداوة ، وخافوهم على من يخلفونه ، وكان أشدهم خوفاً عُتْبة بن ربيعة ، وكان يقول : يامعشر قریش ، إنكم وإن ظفرتُم بالذي تريدون ، فإننا لا نأمن على من نخلف ، إنما نخلف نساء ولا ذرية ومن لا طمّ به فارتثوا آراءكم<sup>(٣)</sup> ، فتصوّر لهم إبليس في صورة سُرّاقة بن جعشم المدلجيّ فقال : يامعشر قریش ، قد عرفتم شرفي ومكائي في قومي ، أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة بشي تكرهونه ، فطابت نفس عُتْبة ، وقال له أبو جهل :

(١) الأصول : « تأجج » ، وأثبت ما في الواقدي .

(٢) الواقدي : « رأيكم » .

(٣) الواقدي ٣٠



فما تريد؟ هذا سيد كنانة ، هو لنا جارٌّ عليّ<sup>(١)</sup> من نخلف ، فقال عتبة : لا شيء أنا خارج<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وكان الذي بين بني كنانة وقريش أن ابناً لحفص بن الأحنف أحد بني مُعيط بن عامر بن لؤي ، خرج يبغى ضالة ، وهو غلام في رأسه ذؤابة ، وعليه حلة ، وكان غلاماً وضيئاً ، فمرَّ بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح بن يعمر ، أحد رؤساء بني كنانة - وكان بضجّنان - فقال : مَنْ أنت يا غلام ؟ قال : ابن لحفص بن الأحنف ، فقال : يا بني بكر ، ألكم في قریش دم ؟ قالوا : نعم قال : ما كان رجل يقتل هذا برجله إلا استوفى ، فاتبعه رجلٌ من بني بكر فقتله بدمٍ له في قریش ؛ فتكلّمت فيه قریش ، فقال عامر ابن يزيد : قد كانت لنا فيكم دماء ، فإن شئتم فأدّوا مالنا قبلكم وتودّى إليكم ما كان فينا ، وإن شئتم فإنّما هو الدّم ؛ رجل برجل ؛ وإن شئتم فتجافؤا عنا فيما قبلنا ، وتجنّبا عنكم فيما قبلكم . فهان ذلك الغلام على قریش ، وقالوا : صدق ! رجل برجل ؛ فلهوا عنه أن يطلبوا بدمه ، فبينما أخوه مكرز بن حفص بمرّ الظّهْران ، إذ نظر عامر بن يزيد وهو سيد بني بكر على جمل له ؛ فلما رآه قال : ما أطلب أثراً بعد عين ! وأناخ بعيره ، وهو متوشّح سيفه ، فعلاه به حتى قتله ، ثم أتى مكة من الليل ، فعلق سيف عامر بن يزيد بأستار الكعبة ، فلما أصبحت قریش رأوا سيف عامر بن يزيد ، فعرفوا أن مكرز بن حفص قتله ، وقد كانت تسمع من مكرز في ذلك قولاً ، وجزعت بنو بكر من قتل سيدها ، فكانت معدّة لقتل رجلين من قریش سيّدين أو ثلاثة من ساداتها ، فجاء التّغير وهم على هذا الأمر ، فخافوهم على مَنْ تخلف بمكة من ذراريهم ، فلما قال سراقه ما قال ، وهو ينطق بلسان إبليس شجّع القوم<sup>(٣)</sup> .



قال الواقدي : وخرجت قريش سراعا ، وخرجوا بالقيان والدّفوف ؛ سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب وعزّة مولاة أسود بن المطلب ، وفلانة مولاة أميّة بن خلف ، يثنيّ في كلّ منهل ، وينحرون الجزر ، وخرجوا بالجيش يتقاذفون بالحراّب ، وخرجوا بتسمائة وخمسين مقاتلا ، وقادوا مائة فرس ، بطراً ورثاء الناس ؛ كما ذكر الله تعالى في كتابه<sup>(١)</sup> ؛ وأبو جهل يقول أيظنّ محمد أن يصيب منا ما أصاب بنخلة وأصحابه ؛ سيعلم أنمنع<sup>(٢)</sup> غيرنا أم لا<sup>(٣)</sup> .

قلت : سرّية نخلة سرّية قبل بدر ، وكان أميرها عبد الله بن جحش قتل فيها عمرو ابن الحضرميّ ، حليف بني عبد شمس ، قتله واقد بن عبد الله التميميّ ؛ رماه بسهم فقتله ، وأسر الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، واستاق المسلمون البعير ؛ وكانت خمسمائة بعير فحمّسها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقسم أربع مائة فيمن شهدها من المسلمين ؛ وهم مائتا رجل ، فأصاب كلّ رجل بعيرين بحمصير عذري

قال الواقدي : وكانت الخيل لأهل القوّة منهم ، وكان في بني مخزوم منها ثلاثون فرسا ، وكانت الإبل سبعمائة بعير ، وكان أهل الخيل كلّهم دارع ، وكانوا مائة ؛ وكان في الرّجاله دروع سوى ذلك<sup>(٤)</sup> .

قال الواقدي : وأقبل أبو سفيان بالبعير ، وخاف هو وأصحابه خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة ، واستبطنوا ضمضها والنفير ، فلما كانت الليلة التي يُصبحون فيها على ماء بدر ، جعلت البعير تقبلُ بوجوهها إلى ماء بدر ؛ وكانوا باتوا من وراء بدر آخرَ ليلتهم ، وهم على

(١) ذكر الواقدي بعدها الآية : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ

النَّاسِ . . . ﴾ . إلى آخر الآية .

(٣) الواقدي ٣٢ ، ٣٣

(٢) الواقدي : « أنمنع » .



أن يُصبحوا بدراً ؛ إن لم يعترض لهم ؛ فما أقرتهم العير حتى ضربوها بالعُقل <sup>(١)</sup> على أن بعضها لِيُثنى بعقالين ، وهي ترجع <sup>(٢)</sup> الحنين ، تواردا إلى ماء بدر ؛ وما إن بها إلى الماء من حاجة ، لقد شربت بالأمس ؛ وجعل أهل العير يقولون : إن هذا شيء ما صنمته الإبل منذ خرجنا ، قالوا : وغشينا تلك الليلة ظُلمة شديدة حتى ما نبصر شيئا <sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وكان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء وَرَدَا على مجدي بدرأ يتجسسان <sup>(٤)</sup> الخبر ، فلما نزل ماء بدر ، أناخا راحلتيهما إلى قريب من الماء ، ثم أخذا أسقيتهما ، يسقيان من الماء ، فسمعا جارتين من جوارى جهينة ، يقال لإحداها برزة وهي تلزم صاحبتهما في درهم ، كان لها عليها وصاحبتهما تقول : إنما العير غداً أو بعد غد قد نزلت ؛ ومجدي بن عمر يسمعها ، فقال : صدقت ، فلما سمع ذلك بسبس وعدي انطلقا راجعين إلى النبي صلى الله عليه وآله حتى أتياه بعرق الظبية ، فأخبراه الخبر <sup>(٥)</sup> .

قال الواقدي : وحدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، عن أبيه ، عن جده - وكان أحد البكائين - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد صلت فجَّ الرُّوحاء موسى النبي عليه السلام في سبعين ألفاً من بني إسرائيل وصلُّوا في المسجد الذي بعرق الظبية <sup>(٦)</sup> .

قال الواقدي : وهي من الرُّوحاء على ميلين ممّا يلي المدينة ؛ إذا خرجت على يسارك .

قال الواقدي : وأصبح أبو سفيان يبدّر ، قد تقدم العير وهو خائف من الرصد فقال : يا مجدي ، هل أحسست أحداً ! نعم والله ما بمكة قرشي ولا قرشية له نُس <sup>(٧)</sup>

(١) العقل : جمع عقال ؛ وهو الرباط الذي تعقل به الدابة . (٢) الواقدي : « ترجع » .

(٣) الواقدي ٣٣ ، ٣٤ . (٤) الواقدي : « يتجسسان » .

(٥) قال الواقدي : « وهي من الرُّوحاء على ميلين ممّا يلي المدينة إذا خرجت على يسارك » .

(٦) قال الواقدي : « والنس : نصف أوقية ، وزن عشرين درهما » .

فصاعدا - والنش نصف أوقية وزن عشرين درهما - إلا وقد بعث به معنا ١ ولئن كتمتنا  
 شأن عدونا لا يصلحك رجل من قريش مابل بحر صوفة<sup>(١)</sup> . فقال مجدي : والله ما رأيت  
 أحدا أنكره ، ولا بينك وبين يثرب من عدو ، ولو كان بينك وبينها عدو لم يخف علينا ،  
 وما كنت لأخفيه عنك ؛ إلا أني قد رأيت راكبين أتيا إلى هذا المكان - وأشار إلى مناخ  
 عدى وبسبس - فأناخا به ، ثم استقيا بأسقيتهما ؛ ثم انصرفا . فجاء أبو سفيان مناخهما ،  
 فأخذ أبعارا من أبعار بعيريهما فقتها ؛ فإذا فيها نوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب !  
 هذه والله عيون محمد وأصحابه ؛ ما أرى القوم إلا قريبا ، فضرب وجه غيره فساحل<sup>(٢)</sup> بها ،  
 وترك بدرا يسارا وانطلق سريعا ، وأقبلت قريش من مكة ينزلون كل منهل يطعمون  
 الطعام من أتناهم ، وينحرون الجزور ، فبيناهم كذلك في مسيرهم إذ تخاف عتبة وشيبة ؛ وهما  
 يترددان ، قال أحدهما لصاحبه : ألم تر إلى رؤيا عائكة بنت عبد المطلب ! لقد خشيت<sup>(٣)</sup>  
 منها ؛ قال الآخر : فاذكرها ؛ وذكرها ، فأدركهما أبو جهل ، فقال : ما تتحدثون به ؟ قالا :  
 نذكر رؤيا عائكة ، قال : يا عجبا من بني عبد المطلب ! لم يرضوا أن تنبأ علينا رجالهم  
 حتى تنبأت علينا النساء ! أما والله لئن رجعنا إلى مكة لنفعلن بهم ولنفعلن ! قال عتبة :  
 إن لهم أرحاما وقراة قريبة . ثم قال أحدهما لصاحبه : هل لك أن ترجع ؟ قال أبو جهل :  
 أرجعان بعد ما سرنا فتخذلان قومكما ، وتقطعان بهم بعد أن رأيتم ثاركم بأعينكم ! أنظنان  
 أن محمدا وأصحابه يلاقونكما ! كلاً والله ، إن معي من قومي مائة وثمانين كلهم من أهل  
 بيتي يحلون إذا أحلت ، ويرحلون إذا رحلت ، فارجعا إن شئنا . قالا : والله لقد  
 هلك وأهلك قومك .

ثم قال عتبة لأخيه شيبة : إن هذا رجل مشوم - يعني أبا جهل - وإنه لا يمسه من قرابة  
 محمد ما يمسننا ؛ مع أن محمدا معه الولد فارجع بنا ودع قوله<sup>(٤)</sup> .

(١) في اللسان : « صرف البحر شيء ، على شكل هذا الصوف الحيواني واحده صوفة ، ومن الآيات  
 قولهم : « لا آتيك ما بل بحر صوفة » .  
 (٢) سار بها نحو الساحل .  
 (٣) ب : « سمعت » وأثبت ما في ١ والواقدي  
 (٤) الواقدي ٣٢ ، ٣٥



قلت : مراده بقوله « مع أن محمداً معه الولد » ، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، كان أسلم وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : فقال شيبة : والله تكون علينا سبة يا أبا الوليد أن نرجع الآن بعد ما سرنا فمضينا . ثم انتهى إلى الجحفة عشاء ، فنام جهم بن الصلت بن مخزومة بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، فقال : إني لأرى بين النائم واليقظان ؛ أنظرُ إلى رجل أقبل على فرسٍ معه بعيره ، حتى وقف على ، فقال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الأسود ، وأمّية بن خلف ، وأبو البختري ، وأبو الحكم ، ونوفل بن خويلد ، في رجال سبّاهم من أشراف قريش ؛ وأسر سهيل بن عمرو ، وفرّ الحارث بن هشام عن أخيه ، قال : وكأنّ قائلاً يقول : والله إني لأظنهم الذين يخرجون إلى مصارعهم . ثم قال : أراه ضرب في كبة بعيره فأرسله في العسكر ، فقال أبو جهل : وهذا نبي آخر من بني عبد مناف ! ستعلم غداً من المقتول ؛ نحن أو محمد وأصحابه ! وقالت قريش لجهم : إنما يلعب بك الشيطان في منامك ، فسترى غداً خلافَ ما رأيت ! يُقتل أشراف محمد ويؤسرون . قال : فخلا عتبة بأخيه شيبة ، فقال له : هل لك في الرجوع ؟ فهذه الرؤيا مثل رؤيا عاتكة ، ومثل قول عدّاس ، والله ما كذبتا عدّاس ؛ ولعمري لئن كان محمد كاذباً إن في العرب لمن يكفيناه ، ولئن كان صادقاً إنّا لأسعد العرب به للحمة . فقال شيبة : هو علي ماتقول ؛ أفرجع من بين أهل العسكر ؟ فجاء أبو جهل وها على ذلك فقال : ماتريدان ؟ قالا : الرجوع ؛ ألا ترى إلى رؤيا عاتكة ؛ وإلى رؤيا جهم بن الصلت مع قول عدّاس لنا ! فقال : تتخذلان والله قومكما وتقطعان بهم . قالا : هلكت والله وأهلكت قومك ! فمضيا على ذلك .

قال الواقدي : فلما أفلت أبو سفيان بالخير ، ورأى أن قد أحرزها وأمن عليها ، أرسل إلى قريش قيس بن امرئ القيس - وكان مع أصحاب الخير - خرج معهم من مكة ، فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرجوع ، ويقول : قد نجت غيركم وأموالكم ، فلا تحرّزوا أنفسكم

أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك ، إنما خرجتم لتمنعوا غيركم وأموالكم ، وقد نجاها الله . فإن أبوا عليك فلا يأتون خصلة واحدة ؛ يردون القيان <sup>(١)</sup> . فعالج قيس بن امرئ القيس قريشاً ، فأبى الرجوع . قالوا : أما القيان فسنردهن ؛ فردوهن من الجنة <sup>(٢)</sup> .

قلت : لا أعلم مراد أبي سفيان برد القيان ، وهو الذي أخرجهم مع الجيش يوم أحد يحرّضن قريشاً على إدراك الثأر ، وبغتين ، ويضربن الدفوف ، فكيف نهى عن ذلك في بدر وفعله في أحد ! وأقول : من تأمل الحال علم أن قريشاً لم يمكن أن تنصرف يوم بدر ، لأن الذي خالطها من التغاؤل والتواكل وكرهية الحرب وحب الرجوع وخوف اللقاء وخقوق الهمم وفتور العزائم ، ورجوع بني زهرة وغيرهم من الطريق ، واختلاف آرائهم في القتال ، يكفي بعضه في هلاكهم وعدم فلاحهم ، لو كانوا قد لقوا قوماً جُبُناً ، فكيف وإنما لقوا الأوس والخزرج ، وهم أشجع العرب ، وفيهم علي بن أبي طالب عليه السلام وخمزة بن عبد المطلب ، وهما أشجع البشر ، وجماعة من المهاجرين أنجاد أبطال ، ورؤسهم محمد بن عبد الله ، رسول الله ، الداعي إلى الحق والعدل والتوحيد ، المؤيد بالقوة الإلهية ، دعى ما أضيف إلى ذلك من ملائكة السماء ، كما نطق به الكتاب !

قال الواقدي : ولحق الرسول أبا سفيان بالهذة - والهذة على سبعة أميال من عقبة عُسفان ، على تسعة وثلاثين ميلاً من مكة - فأخبره بمضى قريش ، فقال : واقوماه ! هذا عمل عمرو بن هشام ، يكره أن يرجع لأنه قد ترأس على الناس وبني ، والبني منقصة وشؤم ، والله لئن أصاب أصحاب محمد النفير ذللتنا إلى أن يدخل مكة علينا .

قال الواقدي : وقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نردّ بدراً - وكانت بدر موسماً

(١) بعدها في الواقدي : « فإن الحرب إذا سكت انكلت » .

(٢) الواقدي ٣٦



من مواسم العرب في الجاهلية ، يجتمعون بها وفيها سوق - تسمع بنا العرب وبمسيرنا ، فنقيم على بذر ثلاثاء ، ننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونشرب الخمر ، وتعرف علينا القيان ، فلن تزال العرب تهابنا أبدا .

قال الواقدي : وكان الفرات بن حيّان العجلي أرسلته قريش حين فصلت من مكة إلى أبي سفيان بن حرب يخبره بمسيرها وفصولها ، وما قد حشدت ، فخالف أبا سفيان في الطريق ، وذلك أن أبا سفيان لصق بالبحر ، ولزم الفرات بن حيّان الحجّة ، فوافى المشركين بالجحفة ، فسمع كلام أبي جهل ، وهو يقول : لا ترجع ، فقال : ما بأنفسهم عن نفسك رغبة ! وإن الذي يرجع بعد أن رأى ثأره من كئيب لضعيف ، فمضى مع قريش ، فترك أبا سفيان ، وجرح يوم بذر جراحات كثيرة ، وهرب على قدميه ، وهو يقول : مارأيت كالיום أمراً أنكد <sup>(١)</sup> ! إن ابن الحنظلية لغير مبارك الأمر .

قال الواقدي : وقال الأخنس بن شريق <sup>(٢)</sup> - واسمه أبي - ، وكان حليفاً لبني زهرة : يا بني زهرة ، قد نجى الله غيركم ، وخلص أموالكم ، ونجى صاحبكم محرم بن نوفل ، وإنما خرجتم لتمنوه وماله ، وإنما محمد رجل منكم ، ابن أختكم ؛ فإن يك نبياً فأنتم أسعد به ، وإن يك كاذباً يلى قتله غيركم خير من أن تلوا قتل ابن أختكم ، فارجعوا واجعلوا خبئها لي ، فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير مايممكم ، ودعوا مايقوله هذا الرجل - يعني أبا جهل - فإنه مهلك قومه ، سريع في فسادهم ، فأطاعته بنو زهرة ، وكان فيهم مطاعا ، وكانوا يتيمنون به ، فقتلوا : فكيف نصنع بالرجوع حتى نرجع ؟ فقال الأخنس : نسير مع القوم ، فإذا أمسيت سقطت عن بعيري ، فيقولون : نحل <sup>(٣)</sup> الأخنس ، فإذا أصبحوا فقالوا : سيروا ، فقولوا : لا نفارق صاحبنا ، حتى نعلم أحى هو أم ميت ،

(١) في الأصول آكد ، وأثبت ما في الواقدي ٣٦

(٢) الواقدي : « وكان أعراياً » . (٣) الواقدي : « نهش » .

فندفنه ، فإذا مضوا رجعنا إلى مكة . ففعلت بنو زهرة ذلك ، فلما أصبحوا بالأبواء راجعين تبين للناس أن بني زهرة رجعوا فلم يشهدوا زهرية <sup>(١)</sup> البتة ، وكانوا مائة ، وقيل : أقل من مائة وهو أثبت . وقال قوم : كانوا ثمانمائة ولم يثبت ذلك .

قال الواقدي : وقال عدي بن أبي الزغباء منحدرة <sup>(٢)</sup> من بدر إلى المدينة ؛ [ وانتشرت الركاب عليه ، فجعل عدي يقول ] <sup>(٣)</sup> :

أَقَمْتُ لَهَا صَدُورَهَا يَابَسَبَسُ      إِنَّ مَطَايَا الْقُومِ لَا تُخْبِسُ  
وَحَمَلُهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْبَسُ      قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَفَرَ الْأَخْنَسُ <sup>(٤)</sup>

قال الواقدي : وذكر أبو بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أن بني عدي خرجوا من النفير حتى كانوا بثنية لقت <sup>(٥)</sup> ، فلما كان في السحر عدلوا في الساحل منصرفين إلى مكة ، فصادفهم أبو سفيان ، فقال : كيف رجعتُم يا بني عدي ! ولا في العير ولا في النفير ! قالوا : أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ، فرجع من رجع ومضى من مضى ، فلم يشهدوا أحد من بني عدي . ويقال : إنه لاقاهم بمر الظهران ، فقال تلك المقالة لهم .

قال الواقدي : وأما رسول الله صلى الله عليه وآله <sup>(٥)</sup> ، فكان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظبية ، فجاء أعرابي قد أقبل من تهامة ، فقال له أصحاب النبي صلى الله عليه وآله : هل لك علم بأبي سفيان بن حرب ؟ قال : مالي بأبي سفيان عِلم ، قالوا : نعال ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : أوفيكُم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأيتكم رسول الله ؟ قالوا : هذا ، فقال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال فما في

(١) الواقدي : « أحد من بني زهرة » . (٢) الواقدي : « في منحدرة » .

(٣) من الواقدي

(٤) الواقدي : « ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .



بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً ؟ فقال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها وهي حُبلى منك ! فكره رسول الله صلى الله عليه وآله مقاتله وأعرض عنه .

قال الواقدي : وسار رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء ، للنصف من شهر رمضان ؛ فقال لأصحابه : هذا سجاسج - يعني وادي الروحاء - هذا أفضل أودية العرب<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالروحاء ، فلما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وثره لعن الكفرة ، ودعا عليهم ، فقال : اللهم لا تفلتن أبا جهل ابن هشام فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تفلتن زمنة بن الأسود ، اللهم أسخن عين أبي زمنة ! اللهم أعم بصر أبي ديلة<sup>(٢)</sup> . اللهم لا تفلتن سهيل بن عمرو ! ثم دعا لقوم من قريش ، فقال : اللهم أنج سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ؛ ولم يدع للوليد بن المغيرة يومئذ ؛ وأمر بيدر ، ولكنه لما رجع إلى مكة بعد بدر أسلم وأراد أن يخرج إلى المدينة فبس ، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك .

قال الواقدي : وكان خبيب بن يساف رجلاً شجاعاً ، وكان يأتى الإسلام ، فلما خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى بدر خرج هو وقيس بن محرز - ويقال ابن الحارث - وهما على دين قومهما ؛ فأدركا رسول الله صلى الله عليه وآله بالعقيق ؛ وخبيب مقنع في الحديد ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من تحت المغفر ، فالتفت إلى سعيد بن معاذ وهو يسير إلى جنبه ، فقال : أليس بخبيب بن يساف ؟ قال : بلى ، فأقبل خبيب حتى أخذ

(١) الواقدي ٣٩

(٢) الواقدي : ٥ واعم بصر أبي زمنة .

بِطَان<sup>(١)</sup> ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له ولقيس بن محرز : ما أخرجكما ؟ قال : كنت ابن اختنا وجارنا ، وخرجنا مع قومنا للغنيمة ، فقال صلى الله عليه وآله : لا يخرجن معنا رجل ليس على ديننا ، فقال خبيب : لقد علم قومي أنني عظيم الغناء في الحرب ، شديد النكابة ، فأقاتل معك للغنيمة ولا أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا ولكن أسلم ثم قاتل ؛ فلما كان بالروحاء جاء فقال : يا رسول الله ، أسلمت لرب العالمين ، وشهدت أنك رسول الله ، فسر بذلك ، وقال : امضيه ، فكان عظيم الغناء في بدر وفي غير بدر . وأما قيس بن الحارث فأبى أن يسلم ، فرجع إلى المدينة ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله من بدر أسلم وشهد أحدا قتل .

قال الواقدي : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله صام يوما أو يومين ، ثم نادى مناديه : يا معشر العصاة ، إني مفطر ، فأفطروا ؛ وذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك : أفطروا فلم يفعلوا<sup>(٢)</sup> .

قلت : هذا هو سر النبوة وخاصيتها ؛ إذا تأمل المتأملون ذلك ، وهو أن يبلغ بهم حبه وطاعته وقبول قوله على أن يكلفهم ما يشق عليهم فيمثلوه امتثالا صادرا عن حب شديد وحرص عظيم على الطاعة ، حتى إنه لينسخه عنهم ويسقط وجوبه عليهم ، فيكفرون ذلك ولا يسقطونه عن أنفسهم ، إلا بعد الإنكار التام ؛ وهذا أحسن من المعجزات الخارقة للعادات ، بل هذا بعينه معجزة خارقة للعادة أقوى وآكد من شق البحر وقلب العصا حية !

قال الواقدي : ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا كان دؤين بدر ، أتاه الخبر بمسير قريش ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسيرهم ، واستشار الناس



فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قال : يا رسول الله ؛ إنها قریش وعزّها والله ما ذلت منذ عزّت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزّها أبداً ، ولتقاتلنك فأتهم لذلك أهبت ، وأعدت عدته ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا .

قال الواقدي : برك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل ممّا يلي البحر ، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً ، ودعا له بخير ، ثم قال صلى الله عليه وآله : أشيروا عليّ أيّها الناس - وإنما يريد الأنصار ، وكان يظنّ أنّ الأنصار لا تنصره إلّا في الدار ، وذلك أنهم شرطوا أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أشيروا عليّ ، فقام سعد بن معاذ ، فقال : أنا أجيب عن الأنصار ، كأنك يا رسول الله تريدنا ! قال : أجل ، قال : إنك عسى أن تكون خرجت عن أمرٍ قد أوحى إليك ، وإنا قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ ، وأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض يا نبيّ الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقى متّارجل ، وصلّ من شئت ، وخذ من أموالنا ما أردت ، فما أخذته من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت ، والذي نفسي بيده ما سلكت هذه الطريق قطّ ، ومالي بها من علم ، وإنا لا نكره أن نلقى عدونا غداً ؛ إنا لصبرٌ عند الحرب ، صدقٌ عند اللقاء ، لعل الله يريك ممّا بعض ما تقرّ به عينك <sup>(١)</sup> .

(١) الواقدي ٤٤ وفيه : « ما تقرّ به عينك » .

قال الواقدي : وحدثنني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : قال سعد بن معاذ يومئذ : يا رسول الله ، إنا قد خَلَفْنَا من قومنا قوماً مانحاً بأشدَّ حباً لك منهم ، ولا أطوعَ لهم رغبةً ونيةً في الجهاد ، ولو ظنُّوا أنك يا رسول الله ملاقي عدوًّا ماتخلفوا عنك ، ولكن إنا ما ظنُّوا أنها العير . نبني لك عريشا ، فتكون فيه ونُعدُّ عندك رواحلك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحيينا ، وإن تكن الأخرى ، جلست على رواحلك ، فلحقت من وراءنا . فقال له النبي صلى الله عليه وآله خيرا ، ثم قال : أو يقضى الله خيرا ياسعد <sup>(١)</sup> !

قال الواقدي : فلما فرغ سعد من المشورة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيرُوا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم .

قال الواقدي : وقالوا : لقد أرانا رسول الله صلى الله عليه وآله مصارعهم يومئذ ، هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا كل رجل منهم مصرعه ، قال : فعلم القوم أنهم يلاقون القتال ، وأن العير تفلت ، ورجا القوم النصر لقول النبي صلى الله عليه وآله <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : فمن يومئذ عقَّد رسول الله صلى الله عليه وآله الألوية ، وكانت ثلاثة ، وأظهر السلاح ، وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود ، وسار فلقى سُفيان الضمري ، ومع رسول الله صلى الله عليه وآله قتادة بن النعمان ومعاذ بن جبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من الرجل ؟ فقال الضمري : بل ومن أتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : تخبرنا ونخبرك ، فقال الضمري : وذلك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الضمري : فاسألوا عما شئتم ، فقال له صلى الله عليه وآله : أخبرنا عن قريش ، قال الضمري : بلغني أنهم خرجوا يوم كذا من مكة ، فإن كان الخبر صادقا ، فإنهم يجنب هذا الوادي ، ثم قال

(١) معاذي الواقدي ٤٥



الضَّمَرِيّ: فَمَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لِي اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلُهُ: نَحْنُ مِنْ مَاءٍ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْعِرَاقِ، فَعَمِلَ الضَّمَرِيّ يَقُولُ: مِنْ مَاءٍ. مِنْ أَيِّ مَاءٍ؟ مِنَ الْعِرَاقِ أَمْ مِنْ غَيْرِهِ؟ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ إِلَى أَصْحَابِهِ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: فَبَاتَ الْفَرِيقَانِ كُلَّ مَنْهُمَا لَا يَعْلَمُ بِمَنْزِلِ صَاحِبِهِ، إِنَّمَا بَيْنَهُمْ قَوْزٌ<sup>(١)</sup> مِنْ رَمْلٍ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ بِجَبَلَيْنِ، فَسَأَلَ عَنْهُمَا فَقَالُوا: هَذَا مُسْلِحٌ<sup>(٣)</sup> وَمُخَرِّئٌ، فَقَالَ: مَنْ سَاكِنُهُمَا؟ فَقِيلَ: بَنُو النَّارِ وَبَنُو حَرِّاقٍ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمَا وَجَعَلَهُمَا يَسَارًا<sup>(٤)</sup>، وَلَقِيَهِ بِسَبْسِ بْنِ عَمْرٍو وَعَدِي بْنُ أَبِي الزَّغْبَاءِ فَأَخْبَرَاهُ خَبَرَ قَرِيشٍ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَادِي بَذْرَ عَشَاءَ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، فَبَعَثَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالزَّيَّيرَ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ وَبَسْبَسَ بْنَ عَمْرٍو يَتَحَسَّسُونَ<sup>(٥)</sup> عَلَى الْمَاءِ، وَأَشَارَ لَهُمْ إِلَى خُرَيْبٍ<sup>(٦)</sup>، وَقَالَ: أَرْجُوا أَنْ تَجِدُوا الْخَيْرَ عِنْدَ الْقَلِيبِ الَّذِي<sup>(٧)</sup> يَلِي هَذَا الظَّرِيبَ<sup>(٨)</sup>، فَانْدَفَعُوا تَلْقَاءَهُ، فَوَجَدُوا عَلَى تِلْكَ الْقَلِيبِ رَوَايَا قَرِيشٍ فِيهَا سُقَاؤُهُمْ، فَأَسْرَوْهُمْ، وَأَفْلَتَ بَعْضُهُمْ، فَكَانَ يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ أَفْلَتَ عَجِيرٍ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ حَادَّ قَرِيشًا بِخَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ، فَنَادَى: يَا آلَ غَالِبٍ! هَذَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَدْ أَخَذُوا سُقَاءَكُمْ، فَهَاجَ الْعَسْكَرَ وَكَرِهُوا مَا جَاءَ بِهِ<sup>(٩)</sup>.

(١) القَوْزُ مِنَ الرَّمْلِ: الْعَالِي كَأَنَّهُ جَبَلٌ، وَاتَّشَبَهَ بِهِ أُرْدَافُ النِّسَاءِ.

(٢) الْوَاقِدِيُّ ٤٦، وَبَعْدَهَا: «وَكَانَ قَدْ صَلَّى بِاللَّيْلَةِ»، ثُمَّ صَلَّى بِسِيرٍ، ثُمَّ صَلَّى بِذَاتِ أَجْدَالٍ، صَلَّى بِخَيْفٍ عَيْنِ الْعَلَا، ثُمَّ صَلَّى بِالْخَيْرِينَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى جَبَلَيْنِ...»

(٣) الْأَصُولُ: «مُصْلِحٌ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْوَاقِدِيِّ.

(٤) الْوَاقِدِيُّ: «فَانْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْخَيْرِينَ، فَضَى حَتَّى قَطَعَ الْخَيْرَ، وَجَعَلَهَا يَسَارًا حَتَّى سَلَكَ فِي الْمَعْرُضَةِ».

(٥) كَذَا فِي الْوَاقِدِيِّ: وَفِي الْأَصُولِ «يَتَحَسَّسُونَ» بِالْجِيمِ، تَصْحِيفٌ.

(٦) كَذَا فِي الْوَاقِدِيِّ.

(٧) الْأَصُولُ: «الَّتِي»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْوَاقِدِيِّ.

(٨) قَالَ الْوَاقِدِيُّ: «وَالْقَلِيبُ: يَثْرُ بِأَصْلِ الظَّرِيبِ، وَالظَّرِيبُ: جَبَلٌ صَغِيرٌ».

(٩) الْوَاقِدِيُّ ٤٦، ٤٧.



قال الواقدي : فكان حكيم بن حزام يحدث ، قال : كنا يومئذ في خباء لفسا على جزور نشوي من لحمها ، فما هو إلا أن سمعنا الخبر ، فامتنع الطعام منا ، ولقي بعضنا بعضا ، ولقيني عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا خالد ، ما أعلم أحداً يسير أعجب من مسيرنا ، إن غيرنا قد نجت ، وإنا جئنا إلى قوم في بلادهم بغياً عليهم ، فقلت : أراه لأمر حم ، ولا رأى لمن لا يطاع ! هذا شؤم ابن الحنظلية ، فقال عتبة : أبا خالد ، أتخاف أن تبيننا القوم ؟ قلت : لأنت آمن من ذلك ، قال : فما الرأي يا أبا خالد ؟ قلت : نتحارس حتى نصبح وترون رأيكم .

قال عتبة : هذا الرأي ، قال : فتحارسنا حتى أصبحنا ، فقال أبو جهل : هذا عن أمر عتبة كره قتال محمد وأصحابه ، إن هذا هو العجب ، أتظنون أن محمداً وأصحابه يعترضون لجمعكم ! والله لأنتحين ناحية بقومي فلا يحرسنا أحد ، فتتحنى ناحية ، وإن السماء لتمطر عليه ، قال : يقول عتبة : إن هذا هو التكد<sup>(١)</sup>

قال الواقدي : أخذ من السقاء من على القليب يسار غلام سعيد بن العاص ، وأسلم غلام منبه بن الحجاج ، وأبو رافع غلام أمية بن خلف ، فأتى بهم النبي صلى الله عليه وآله وهو قائم يصلي ، فسأله المسلمون ، فقالوا : نحن سقاء قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهم ، ورجوا أن يكونوا لأبي سفيان وأصحاب العير ، فضر بهم ، فلما أذلقومهم<sup>(٢)</sup> بالضرب ، قالوا : نحن لأبي سفيان ، ونحن في العير ، وهذا العير بهذا القوز ، فكانوا إذا قالوا ذلك يمسكون عن ضربهم ، فسلم رسول الله صلى الله عليه وآله من صلاته ، ثم قال : إن صدقكم ضربتموهم ، وإن كذبوكم تركتموهم ! فقال أصحابه عليه السلام : إنهم يارسول الله يقولون : إن قريشا قد جاءت ، فقال : لقد صدقكم ! خرجت قريش تمنع غيرها وخافوكم عليها ، ثم أقبل صلى الله عليه وآله على السقاء ، فقال : أين

(٢) أذلقومهم : أوجعهم ضرباً .

(١) الواقدي ٤٧



قريش ؟ فقالوا : خلف هذا الكتيب الذي ترى ، قال : كم هم ؟ قالوا : كثير ، قال : كم عددهم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون ؟ قالوا : يوماً عشرة ويوما تسعة ، فقال : القوم ما بين الألف والتسعمائة ، ثم قال للسقاء : كم خرج من أهل مكة ؟ قالوا : لم يبق أحدٌ به طعم إلا خرج ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس ، فقال : هذه مكة قد ألت إليكم أفلاذ كبدها ، ثم سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله : هل رجع منهم أحد ؟ قالوا : نعم رجع ابن أبي شريق بنى زهرة ، فقال صلى الله عليه وآله : راشدهم <sup>(١)</sup> ، وما كان برشيد ، وإن كان ما علمت لمعادياً لله ولكتابه . ثم قال : فأحد غيرهم ؟ قالوا : نعم بنو عدي بن كعب ، فتركهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال لأصحابه : أشيروا على في المنزل ، فقال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أرايت منزلك هذا ، أهو منزل أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، قال : فإن هذا ليس بمنزل ! انطلق بنا إلى أذنى مياه القوم ، فإنى عالم بها وبقلبها ، فإن بها قلباً قد عرفت عذوبة مائها ، وماؤها كثير لا ينزح ؛ نبني عليها حوضاً ، ونقذف فيها بالآنية فنشرب ، ونقاتل ، ونموّر <sup>(٢)</sup> ما سواها من القلوب .

قال الواقدي : فكان ابن عباس يقول : نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله فقال : الرأى ما أشار به الحباب فقال : يا حباب ، أشرت بالرأى ، ونهض ، وفعل كل ذلك <sup>(٣)</sup> . قال الواقدي : وبعث الله السماء ، وكان الوادى دهساً ، أى كثير الرمل ، فأصاب المسلمين ما لبد الأرض ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشاً ما لم يقدروا معه أن يرتحلوا منه ، وإنما بين الطائفتين قوْز من رمل . قال الواقدي : وأصاب المسلمين تلك الليلة الغساس التى عليهم ، فناموا ولم يصيبهم من المطر ما يؤذيهم .

(٢) يقال : عوّر البئر إذا كبسها بالتراب .

(١) الواقدي : « أرشدهم » .

(٣) الواقدي ٤٨



قال الزبير بن العوام : لقد سَاطَ اللهُ عليهم النّعاس تلك الليلة ، حتى إنّي كنت لأشدد ، والنّعاس يجلد بي الأرض فما أطيق إلا ذلك ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه على مثل ذلك الحال . وقال سعد بن أبي وقاص : لقد رأيتني ، وإن ذقني بين ندي ، فما أشعر حتى أقع على جنبي .

وقال رفاعه بن رافع بن مالك : لقد غلبني النوم ، فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : فلما تحوّل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المنزل بعد أن أخذ السقاء ، أرسل عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ، فأطافا بالقوم ، ثم رجعا إليه فقالا له : يا رسول الله ، القوم مذعورون فزعون ، إن الفرس يريد أن يصهل فيضرب وجهه ، مع أن السماء تسحّ عليهم<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : فلما أصبحوا قال منبه بن الحجاج - وكان رجلاً يبصر الأثر - هذا والله أثر ابن سُمَيّة ، وابن أم عبد ، أعرفهما ، لقد جاءنا محمد بسفهاءنا وسفهاء أهل يثرب ، ثم قال :

لَمْ يَتْرِكِ الْجُوعُ لَنَا مَبِيتًا لَا بُدَّ أَنْ نَمُوتَ أَوْ نَمِيتًا<sup>(٣)</sup>

يا معشر قريش ، انظروا غداً إن لقينا محمد وأصحابه ، فاتفقوا على شئناكم وفتيانكم ،

(٢) الواقدي ٥٠

(١) الواقدي ٤٩ ، ٥٠

(٣) بعدها في الواقدي : قال أبو عبد الله : قد ذكرت قول منبه بن الحجاج :

لَمْ يَتْرِكِ الْجُوعُ لَنَا مَبِيتًا

لمحمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنيفة ، فقال : لعمرى لقد كانوا شباعاً ؛ لقد أخبرني أبي أنه سمع نوفل ابن معاوية يقول : نحرنا تلك الليلة عشرين جزائر ؛ فنعن في خباء من أخبيتهم نشوى السنام والكبد وطيبة اللحم ونحن نخاف من البيات فنعن نتحارس إلى أن أضاء الفجر ، فأسمع منبهاً يقول بعد أن أسفر : هذا ابن سمية وابن مسعود ، وأسمعه يقول :

لَمْ يَتْرِكِ الْخَوْفُ لَنَا مَبِيتًا لَا بُدَّ أَنْ نَمُوتَ أَوْ نَمِيتًا



بأهل يثرب ، فإننا إن نرجع بهم إلى مكة يبصروا من ضلالتهم ما فارقوا من دين آبائهم (١) .

قال الواقدي : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله على القليب بُني له عريش من جريد ، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحاً سيفه ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر (١) .

قلت : لأعجب من أمر العريش ، من أين كان لهم ، أو معهم من سَف النخل ما يبنون به عريشا ، وليس تلك الأرض - أعني أرض بدر - أرض نخل ؛ والذي كان معهم من سَف النخل يجري مجرى السلاح كان يسيرا جدا ! قيل إنه كان بأيدي سبعة منهم سِعايف عوض السيوف ، والباقون كانوا بالسيوف والسهام والقسي ، هذا قول شاذ ، والصحيح أنه ما خلا أحد منهم عن سلاح ، اللهم إلا أن يكون معهم سِعايف يسيرة ، وظلل عليها بثوب أو ستر ، وإلا فلا أرى لبناء عريش من جريد النخل هناك وجها !

قال الواقدي : وصف رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه قبل أن تنزل قریش ، فطلعت قریش ورسول الله صلى الله عليه وآله يصف أصحابه ، وقد أترعوا حوضاً يفرطون فيه من السحر ، وقذفت فيه الآنية ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله رايته إلى مصعب بن عمير ، فتقدم بها إلى الموضع الذي أمره أن يضعها ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى الصفوف ، فاستقبل المغرب ، وجعل الشمس خلفه ، وأقبل المشركون ، فاستقبلوا الشمس ، ونزل بالعدوة الدنيا من الوادي ، ونزلوا بالعدوة (٢) البانية ، وهي القصوى ، وجاءه رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله ، إن كان هذا عن وحي فامض له ، وإلا فإني

(١) الواقدي ٥٠

(٢) في الواقدي : « عدوتا النهر والوادي : جنبناه » .

أرى أن تعلوا الوادي ؛ فإني أرى ريحاً قد هاجت من أعلاها ، وأراها بعثت بنصرِك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : « قد صفت صفوفي ووضعت رايتي ، فلا أُغَيِّر ذلك » ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمدَّه الله بالملائكة<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وروى عروة بن الزبير ، قال : عدَّل رسول الله صلى الله عليه وآله الصفوف يومئذ ، فتقدم سواد بن غزيرة أمام الصف ، فدفع النبي صلى الله عليه وآله بِقَدْح في بطنه ، وقال : استويا سواد ، فقال : أوجعتني والذي بعثك بالحق ، أقدني ، فكشف صلى الله عليه وآله عن بطنه ، وقال : استقيدْ ، فاعتنقه وقبله ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : حَضَرَ يا رسول الله من أمر الله ما قد ترى ، وخشيت القتل ، فأردت أن يكون آخرَ عهدي بك ، وأن أعتنقك<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : فحدثني موسى بن يعقوب ، عن أبي الخويرث ، عن محمد بن جبير بن مُطِيع ، عن رجل من بني أود قال : سمعت علياً عليه السلام يخطب على منبر الكوفة ، ويقول بينا أنا أميح<sup>(٣)</sup> في قلب بدر جاءت ريح لم أرَ مثلها قط شدة ، ثم ذهب فجاءت أخرى لم أرَ مثلها إلا التي كانت قبلها ، ثم جاءت ريح أخرى لم أرَ مثلها إلا الأولى ، فكانت الأولى جبريل في ألف مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، والثانية ميكائيل في ألف عن يمينه ، والثالثة إسرافيل في ألف عن يساره ، فلما هزَم الله أعداءه ، حلفي رسول الله صلى الله عليه وآله على فرس ، فجرت بي ، فلما جرت بي خرت على عنقهما ، فدعوت ربي ، فأمكنني حتى استويت ، ومالي وللخيل ، وإنما كنت صاحب الحشم ، فلما استويت طعنت فيهم بيدي هذه حتى اختضبت مني<sup>(٤)</sup> ذي - يعني إبطه<sup>(٥)</sup> -

(١) في الواقدي ٥١ : « ونزل عليه جبريل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ » ، بعضهم على إثر بعض . (٢) الواقدي ٥٢ .

(٣) في الأصول : « أمتح » . وفي الواقدي : « أمتح يعني أَسْتَقِي ، وهو من يترج الدلاء ، وهو المتح أيضاً » . (٤) الواقدي : « ذه » . (٥) الواقدي ٥٢ ، ٥٣ .



قلت : أكثر الرواة يروونه : « فحملني رسول الله على فرسه » ، والصحيح ما ذكرناه ، لأنه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله فرس يوم بدر ، وإنما حضرها راكب بعير ، ولكنه لما اصطدم الصفان ، وقتل قوم من فرسان المشركين ، حمل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على بعض الخيل المأخوذة منهم .

قال الواقدي : قالوا : كان على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ، وكان على ميسرته علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان على ميمنة قريش هبيرة بن أبي وهب الخزومي ، وعلى ميسرتهم عمرو بن عبد ود . قيل : كان زمعة بن الأسود على ميسرتهم ، وقيل : بل كان على خيل المشركين ، وقيل : الذي كان على الخيل الحارث بن هشام ، وقال قوم : لم يكن هبيرة على الميمنة ، بل كان عليها الحارث بن عامر بن نوفل <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وحدثنني محمد بن صالح عن يزيد بن رومان وابن أبي حبيبة ، قالوا : ما كان على ميمنة النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر ولا على ميسرته أحد يسرى ، وكذلك ميمنة المشركين وميسرتهم ما سمعنا فيها بأحد <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وهذا هو الثابت عندنا قال : وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، وكان مع قريش ثلاثة ألوية ، لواء مع أبي عريزة ، ولواء مع المنذر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين يومئذ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن أحثكم على ما حثكم الله عليه ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه فإن الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ، ويحب الصدق ، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده



به يذكرون ، وبه يتفاضلون ، وإنكم أصبحتم بمنزل من منازل الحق ؛ لا يقبل الله فيه من أحدٍ إلا ما ابتغى به وجهه . وإن الصبر في البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجي به من الغم ، تدركون به النجاة في الآخرة ، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شيء من أمركم بمقتكم عليه ، فإنه تعالى يقول : ﴿ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ انظروا إلى الذي أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وما أعزكم به بعد الدلة ، فاستمسكوا به يرض ربكم عنكم ، وابلوا ربكم في هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذي وعدكم من رحمته ومغفرته ، فإن وعده حق ، وقوله صدق ؛ وعقابه شديد ، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم ، إليه ألقانا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، وإليه المصير ، ويغفر الله لي والمسلمين<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً تصوب من الوادي ، وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه ، فاستجال بفرسه ، يريد أن يبنوا للقوم منزلاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم إني أنزلت على الكتاب ، وأمرتني بالقتال ، ووعدتني إحدى الطائفتين ، وأنت لا تخاف الميعاد . اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تخاذل وتسكذب رسولك . اللهم نصرك الذي وعدتني . اللهم أحزنهم الغداة ! وطلع عتبة بن ربيعة على جمل أحر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن يك في أحد من القوم خيرٌ فني صاحب الجمل الأحر ، إن بطيعوه يرشدوا .

قال الواقدي : وكان إيماء بن رخصة قد بعث إلى قريش ابناً له بعشر جزائر حين مرئوا به أهداها لهم ، وقال : إن أحببت أن يمدكم بسلاح ورجال فإننا معدون لذلك ، مؤدون فعلنا ، فأرسلوا : أن وصلتكم رحم ، قد قضيت الذي عليكم ، ولعمري لئن



كُنَّا إِنَّمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ مَا بَيْنَا ضَعْفٌ عَنْهُمْ ؛ وَلَئِنْ كُنَّا نَقَاتِلُ اللَّهَ بِزَعْمِ مُحَمَّدٍ ، فَمَا لِأَحَدٍ بِاللَّهِ طَاقَةٌ (١) .

قال الواقدي : فروى خفاف بن إيماء بن رخصة ، قال : كان أبي ليس شيء أحب إليه من إصلاح بين الناس ، موثقاً بذلك ؛ فلما مرت به قريش أرسلني بجزائر عشر هدية لها ، فأقبلت أسوقها ، وتبعني أبي ، فدفعتها إلى قريش فقبلوها ووزعوها في القبائل ، فمرّ أبي على عتبة بن ربيعة ، وهو سيّد الناس يومئذ ، فقال : يا أبا الوليد ، ما هذا المسير ؟ قال : لا أدري والله غلبت ، قال : فأنت سيّد العشيرة ، فما يمنعك أن ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك ، وتحمل العير التي أصابوا بنخلة ، فتوزعها على قومك ! فوالله ما يطلبون قبل محمد إلّا هذا ؛ والله يا أبا الوليد ما تقتلون بمحمد وأصحابه إلّا أنفسكم (٢) !

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : ما سمعنا بأحد سار بغير مالٍ إلّا عتبة بن ربيعة (٣) .

قال الواقدي : وروى محمد بن جبير بن مطعم ، قال : لما نزل القومُ أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب إلى قريش ، فقال : ارجعوا ؛ فلأن يلى هذا الأمر مني غيركم أحبُّ إليّ من أن تلوه مني ؛ وأن أليّه من غيركم أحبُّ إليّ من أن أليّه منكم ، فقال حكيم بن حزام : قد عرض نصفاً ، فلبّوه (٤) ؛ والله لا تنصرون عليه بعد أن عرض عليكم من النصف ما عرض . وقال أبو جهل : لا ترجع بعد أن أمكننا الله منهم ، ولا نطلب أثراً بعد عين ، ولا يعرض (٥) لعيرنا بعد هذا أبداً .

قال الواقدي : وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض ، منهم حكيم بن حزام ، فأراد المسلمون تنحيّتهم (٥) عنه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : دعوهم ؛ فوردوا الماء ،

(١) مغازي الواقدي ٥٥ . (٢) الواقدي ٥٦ . (٣) الواقدي : « فاقبلوه » .

(٤) الواقدي : « يعرض » . (٥) الواقدي : « تخلّيتهم » ؛ قال : « يعني طردهم » .



فشربوا ، فلم يشرب منهم أحد إلا قتل ؛ إلا ما كان من حكيم بن حزام <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : فكان سعيد بن المسيّب ، يقول : نجا حكيم من الدهر مرتين ، لما أراد الله تعالى به من الخير ، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله على نفر من المشركين وهم جلوس يريدونه ، فقرأ « يس » ؛ ونثر على رؤوسهم التراب ، فما أفلت منهم أحدٌ إلا قتل ، ما عدا حكيم بن حزام . وورد الخوض يوم بدر مع من ورد من المشركين ، فما ورد إلا من قتل إلا حكيم بن حزام .

قال الواقدي : فلما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي ، كان صاحب قِداح ، فقالوا : أحزُر <sup>(٢)</sup> لنا محمداً وأصحابه ، فاستجبال بفرسه حول العسكر ، وصوب في الوادي وصعد ، يقول : عسى أن يكون لهم مدد أو كمين ! ثم رجع فقال : لا مدد ولا كمين ، والقوم ثلثمائة ، إن زادوا قليلاً ، ومعهم سبعون بعيراً ومعهم فرسان ، ثم قال : يا معشر قريش ، البلاء يا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ؛ ألا ترونهم خُرُساً لا يتكلمون ، يتلهظون تلهظ الأفاعي ! والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل رجلاً ، فإذا أصابوا منكم عددهم ؛ فما خير في العيش بعد ذلك ! فروا رأيكم <sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وحدثني يونس بن محمد الظفري ، عن أبيه ، أنه قال : لما قال لهم عمير بن وهب هذه المقالة ، أرسلوا أبا أسامة الجشمي ، وكان فارساً ، فأطاف بالنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ثم رجع إليهم ، فقالوا له : ما رأيت ؟ قال : والله ما رأيتُ جَلَدًا ولا عدداً ولا حَلْقَةً <sup>(٤)</sup> ولا كُرَاعاً ، ولكني والله رأيت قوماً لا يريدون أن يردوا إلى أهلهم ! رأيت قوماً مستميتين ، ليست معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، زُرُق العيون ،

(٢) في الأصول : « احذر » تصحيف .

(٤) الحلقة هنا : السلاح .

(١) الواقدي ٥٦

(٣) الواقدي ٥٩



كأنهم الحصا تحت الحجف<sup>(١)</sup> ، ثم قال : أخشى أن يكون لهم كمين أو مدد ، فصوب في الوادي ثم صعد ، ثم رجع إليهم ، فقال : لا كمين ولا مدد ! فروا رأيكم<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : ولما سمع حكيم بن حزام مقال عُمر بن وهب ، مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، أنت كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، فهل لك ألا تزال تذكر فيها بخير آخر الدهر ، مع ما فعلت يوم عكاظ ! وعتبة يومئذ رئيس الناس ، فقال : وما ذاك يا أبا خالد ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك ، وما أصابه محمد من تلك العير بمطن نخلة ، إنكم لا تطلبون من محمد شيئاً غير هذا الدم والعير . فقال عتبة : قد فعلت ، وأنت عليّ بذلك . ثم جلس عتبة على جملة ، فسار في المشركين من قريش يقول : يا قوم أطيعوني ، ولا تقاتلوا هذا الرجل وأصحابه ، واعصبوا هذا الأمر برأسي ، واجعلوا جنبها<sup>(٣)</sup> في ، فإن منهم رجالاً قرابتهم قريبة ؛ ولا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه فيورث ذلك بفسادكم شحنا وأضغانا ، ولن تخلصوا إلى قتلهم حتى يصيبوا منكم عددهم ، مع أنه لا آمن أن تكون الدائرة عليكم ، وأنتم لا تطلبون إلا دم القتل منكم ، والعير التي أصيبت ، وأنا أحتمل ذلك ، وهو عليّ يا قوم ؛ إن يك محمد كاذباً يكفيكموه ذؤبان العرب ، وإن يك ملكاً كنتم في ملك ابن أخيكم ، وإن يك نبياً كنتم أسعد الناس به ! يا قوم لا تردوا نصيحتي ، ولا تسفوها رأيي . فحسده أبو جهل حين سمع خطبته ، وقال : إن يرجع الناس عن خطبة عتبة يكن سيد الجماعة ، وكان عتبة أنطق الناس ، وأطولهم لساناً ، وأجملهم جملًا ، ثم قال عتبة لهم : أنشدكم الله في هذه الوجوه التي كأنها المصابيح ، أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه التي كأنها وجوه الحيات ! فلما قرع عتبة من كلامه قال أبو جهل : إن عتبة بشير عليكم بهذا

(١) الحجف : التروس .

(٢) في الأصول : « جنبها » ، وأثبت ما في الواقدي .

(٣) مفازي الواقدي ٥٧ ، ٥٨ .

لأنّ محمداً ابن عمه ، وهو يكره أن يقتل ابنه وابن عمه ، امتلاً والله سحرُك يا عتبة وجبذت حين التقت حلقتا البطان <sup>(١)</sup> . الآن تمخّذل بيننا وتأمرنا بالرجوع ! لا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد . فغضب عتبة ، فقال : يامصقر أسيته ، ستعلم أينا أجبن والأُم ! وستعلم قريش من الجبان المفسد لقومه ! وأنشد :

هَذَايَ وَأَمَرْتُ أَمْرِي فَبَشَرِي بِالشَّكْلِ أَمْ عَمْرُو <sup>(٢)</sup>

قال الواقدي : وذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي ، أخى عمرو بن الحضرمي المقتول بنخلة ، فقال له : هذا حليفك - يعني عتبة - يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، وتمخّذل بين الناس ! قد تحمل دم أخيك ، وزعم أنك قابل الدية ، ألا تستحي ؟ تقبل الدية وقد قدرت على قاتل أخيك ! قم فأنشد خفرتك ؛ فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف <sup>(٣)</sup> ، ثم حثا على استه التراب ، وصرخ : واعمراه ! يخزى بذلك عتبة ؛ لأنه حليفه من بين قريش ، فأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة ، وحلف عامر لا يرجع حتى يقتل من أصحاب محمد . وقال أبو جهل لعُمير بن وهب : حرّش بين الناس ، فحمل عمير فناوش المسلمين ، لأن ينفض الصف ، فنشبت المسلمون على صفهم ؛ ولم يزولوا ، وتقدّم ابن الحضرمي فشدّ على القوم ، فنشبت الحرب <sup>(٤)</sup> .

قال الواقدي : فروى نافع بن جبير عن حكيم بن حزام ، قال : لما أفسد الرأي أبو جهل على الناس ، وحرّش بينهم عامر بن الحضرمي فأقعهم فرسه ، كان أول من خرج إليه من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ، فقتله عامر ، وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة ابن سراقة ، قتله حيان بن العرقة <sup>(٥)</sup> .

قال الواقدي : وقال عمر بن الخطاب في مجلس ولايته : يا عمير بن وهب ، أنت

(١) حلقتا البطان ، كناية عن اشتداد الأمر . (٢) مغازي الواقدي ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) اكتشف : نمرى

(٤) الواقدي ٦٠ : « ويقال : عمير بن الحمام ، قتله خالد بن الأعلم العقيلي » .



حاذِرُنَا للمشركين يوم بدر ، تصعد في الوادي وتصوب ، كَأَنِّي انظر إلى فرسك تحتك  
 تحذر المشركين أنه لا كمين لنا ولا مدد ! قال : إِي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَآخِرَى ، أَمَا وَاللَّهِ  
 الَّذِي حَرَّشْتَ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَاءَنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَهَدَانَا لَهُ ؛ وَمَا كَانَ فِينَا مِنْ  
 الشَّرِّكَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ عُمَرُ : صَدَقْتَ (١) .

قال الواقدي : وكان عتبة بن ربيعة كَلَّمَ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ ، وَقَالَ : لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ  
 خِلَافٌ إِلَّا عِنْدَ ابْنِ الْخَنْظَلِيَّةِ ، فَازْهَبْ إِلَيْهِ ، فَقُلْ لَهُ : إِنَّ عُتْبَةَ يَحْمِلُ دَمَ حَلِيفِهِ ، وَيُضْمِنُ  
 الْعِيرَ . قَالَ حَكِيمٌ : فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَهْلٍ ، وَهُوَ يَتَخَلَّقُ بِخَلْقٍ طَيِّبٍ ، وَدِرْعُهُ مَوْضُوعَةٌ  
 بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ بِعَثْنَى إِلَيْكَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ مَغْضَبًا ؛ فَقَالَ : مَا وَجَدَ عُتْبَةَ  
 أَحَدًا يَرْسُلُهُ غَيْرَكَ ؛ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ أَرْسَلَنِي مَا مَشَيْتُ فِي ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي مَشَيْتُ  
 فِي إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ - وَكَانَ أَبُو الْوَلِيدِ سَيِّدَ الْعَشِيرَةِ - فَغَضِبَ غَضَبَةً أُخْرَى . قَالَ : وَتَقُولُ  
 أَيْضًا سَيِّدَ الْعَشِيرَةِ ، فَقُلْتُ : أَنَا أَقُولُهُ ، وَقُرَيْشٌ كَأَنَّهُمْ يَقُولُهُ ، فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَصِيحَ بِخَفَرَتِهِ ،  
 وَاکْتَشَفَ ، وَقَالَ : إِنَّ عُتْبَةَ جَاعٌ ، فَاسْقُوهُ سَوِيقًا ، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ : عُتْبَةُ  
 جَاعٌ ، فَاسْقُوهُ سَوِيقًا ، وَجَعَلَ أَبُو جَهْلٍ يَسُرُّ بِمَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِعُتْبَةَ . قَالَ حَكِيمٌ :  
 فَجِئْتُ إِلَى مَنِّبَةَ بْنِ الْحِجَااجِ فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِأَبِي جَهْلٍ ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرًا مِنْ أَبِي جَهْلٍ ،  
 قَالَ : نَعَمًا مَشَيْتَ فِيهِ ، وَمَادَعَا إِلَيْهِ عُتْبَةُ ؛ فَارْجَعْتَ إِلَى عُتْبَةَ فَوَجَدْتُهُ قَدْ غَضِبَ مِنْ كَلَامِ  
 قُرَيْشٍ ، فَنَزَلَ عَنْ جَمَلِهِ ، وَقَدْ كَانَ طَافَ عَلَيْهِمْ فِي عَسْكَرِهِمْ يَأْمُرُهُمُ بِالْكَفِّ عَنِ الْقِتَالِ ،  
 فَيَأْبُونَ ، فَخَبِي ، فَنَزَلَ فَلَبِسَ دِرْعَهُ ، وَطَلَبُوا لَهُ بَيْضَةً فَلَمْ يَوْجَدْ فِي الْجَيْشِ بَيْضَةً تَسَعُ رَأْسَهُ  
 مِنْ عِظَمِ هَامَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ اعْتَجَرَ ، ثُمَّ بَرَزَ رَاجِلًا بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ وَبَيْنَ ابْنِهِ الْوَلِيدِ  
 ابْنِ عُتْبَةَ ، فَبَيْنَا أَبُو جَهْلٍ فِي الصَّفِّ عَلَى فَرَسٍ أَتَى ، حَاذَاهُ عُتْبَةُ ، وَسَلَّ سَيْفَهُ ، فَقِيلَ :  
 هُوَ وَاللَّهِ يَقْتُلُهُ ، فَضَرَبَ بِالسَّيْفِ عُرْقُوبَ فَرَسِ أَبِي جَهْلٍ ، فَانْتَسَمَتْ (٢) الْفَرَسُ ،

(٢) انْتَسَمَتْ الْفَرَسُ : سَقَطَتْ مِنْ نَاحِيَةِ مُؤَخَّرِهَا وَرَبَّتْ بِهِ .

(١) مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ٦٠



وقال : انزل ، فإنَّ هذا اليوم ليس بيوم ركوب ؛ ليس كلَّ قومك راكبا ، فنزل أبو جهل وعُتْبَةُ يقول : سيعلم أيُّنا شؤم عشيرته الغداة ! قال حكيم : فقلت : تالله ما رأيتُ كالْيَوْم !

قال الواقدي : ثم دعا عُتْبَةُ إلى المبارزة ورسول الله صلى الله عليه وآله في العَرِيش ، وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع ، فغشيته النوم ، وقال : لا تقاتلوا حتى أؤذنكم ، وإن كذبكم فارمؤهم ولا تسألوا السيوفَ حتى يغشوكم . فقال أبو بكر : يا رسول الله قد دنا القوم ، وقد نالوا مِنَّا ، فاستيقظ وقد أراه الله إياهم في منامه قليلا ، وقتل بعضهم في أعين بعض ، ففرع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو رافع يديه يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول : « اللهم إن تظهر عليَّ هذه المصيبة يظهر الشرك ، ولا يقيم لك دين » ، وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك . قال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، إني أشيرُ عليك ، وأنت أعظم وأعلم بالله من أن يشارَ عليك ، إنَّ الله أجلُّ وأعظم من أن ينشد وعده ! فقال عليه السلام : يا بن رواحة ، ألا أنشدُ الله وعده ، إن الله لا يخلف الميعاد ! وأقبل عُتْبَةُ يعمد إلى القتال ، فقال له حكيم بن حزام : مهلاً مهلاً يا أبا الوليد ! لا تنه عن شيء وتكون أوله <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : قال خفاف بن إيماء : فرأيت أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر ، وقد تصافت الناس وتزاحفوا ، وهم لا يسألون السيوف ، ولكنهم قد انتضوا القسي ، وقد تترس بعضهم عن بعض بصفوفٍ متقاربة ، لأفرج بينها ؛ والآخرى قد سلَّوا السيوف حين طلَّعوا ، فمَجِيت من ذلك ، فسألت بعد ذلك رجلاً من المهاجرين ، فقال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله ألا نسلَّ السيوف حتى يغشونا <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : فلما تزاحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد المخزومي حين دنا من



الحوض : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتن دونه . فشدّ حتى دنا من الحوض ، واستقبله حمزة بن عبد المطلب ، فضرّبه فأطن<sup>(١)</sup> قدمه ، فزحف الأسود ليبرّ قسمه زعم ، حتى وقف في الحوض فهدمه برجله الصحيحة ، وشرب منه ، وأتبعه حمزة ، فضرّبه في الحوض فقتله ، والمشركون ينظرون ذلك على صفوفهم<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : ودنا الناس بعضهم من بعض ، فخرج عتبة وشيبة والوليد حتى فصلوا من الصف ، ثم دعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم فتیان ثلاثة من الأنصار ، وهم بنو عَفْرَاء : مُعَاذٌ وَمَعُوذٌ وَعُوفٌ ، بنو الحارث - ويقال : إنّ ثالثهم عبد الله بن رواحة ، والثابت عندنا أنهم بنو عَفْرَاء - فاستحى رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ، وكره أن يكون أوّل قتال لِقَى المسلمون فيه المشركين في الأنصار ، وأحبّ أن تكون الشوكة لبني عمه وقومه ، فأصرهم ، فرجعوا إلى مصافهم ، وقال لهم خيرا ، ثم نادى منادى المشركين : يا محمد ، أخرج إلينا الأكفاء من قومنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : يا بني هاشم ، قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله . فقام حمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب وعُبَيْدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، فمشوا إليهم ، فقال عتبة : تكلموا نعرفكم - وكان عليهم البيض ، فأنكروهم - فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وروى محمد بن إسحاق في كتاب " المغازي " ، خلاف هذه الرواية ، قال : إن بني عَفْرَاء وعبد الله بن رَوَاحَةَ برزوا إلى عتبة وشيبة والوليد ، فقالوا لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ! ثم نادى مناديتهم : يا محمد

(٢) على صفوفهم : أي على حالتهم التي كانوا عليها .

(١) أطن قدمه : قطعها

(٣) مغازي الواقدي ٦٢ ، ٦٣

أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : قُمْ يَا فُلَانُ ، قُمْ يَا فُلَانُ ، قُمْ يَا فُلَانُ <sup>(١)</sup> .

قلت : وهذه الرواية أشهر من رواية الواقدي ، وفي رواية الواقدي ما يؤكده صحة رواية محمد بن إسحاق ، وهو قوله : إِنَّ مَنَادَى الْمُشْرِكِينَ نَادَى : « يَا مُحَمَّدُ ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا الْأَكْفَاءَ مِنْ قَوْمِنَا » فلو لم يكن قد كلمهم بنو عفراء وكلموهم وردوهم ، لما نادى مناديتهم بذلك . ويدل على ذلك قول بعض القرشيين لبعض الأنصار في خيبر فخر به عليه : أَنَا مِنْ قَوْمٍ لَمْ يَرْضَ مُشْرِكُوهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنِي قَوْمِكَ .

قال الواقدي : فقال حمزة : أَنَا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، فقال عتبة : كف ، كريم ، وَأَنَا أسد الحلفاء ، من هذان معك ؟ قال : علي بن أبي طالب وعبيدة ابن الحارث بن المطلب ، فقال : كفآن كريمان <sup>(٢)</sup> . قال الواقدي : قال ابن أبي الزناد : حدثني أبي ، قال : لم أسمع لعُتْبَةَ كَلِمَةً قَطُّ أَوْهَنَ مِنْ قَوْلِهِ : « أَنَا أَسَدُ الْحُلَفَاءِ » يَعْنِي بِالْحُلَفَاءِ الْأَجْعَةَ .

قلت : قد روى هذه الكلمة على صيغة أخرى : « وَأَنَا أَسَدُ الْحُلَفَاءِ » ، وروى : « أَنَا أَسَدُ الْأَحْلَافِ » .

قالوا في تفسيرها : أراد أَنَا سَيِّدَ أَهْلِ الْخَلْفِ الْمُطِيِّينَ ، وَكَانَ الَّذِينَ حَضَرُوهُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنِي أَسَدٍ وَبَنِي عَبْدِ الْعَزَى وَبَنِي تَيْمٍ وَبَنِي زُهْرَةَ وَبَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ ؛ خَمْسَ قَبَائِلَ . وَرَدَّ قَوْمَ هَذَا التَّأْوِيلِ ، فَقَالُوا : إِنْ الْمُطِيِّينَ لَمْ يَكُنْ يُقَالُ لَهُمُ : الْحُلَفَاءُ وَلَا الْأَحْلَافُ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِقَبْلِ خُصُومِهِمْ وَأَعْدَائِهِمُ الَّذِينَ وَقَعَ التَّحَالُفُ لِأَجْلِهِمْ ، وَهُمْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ ، وَبَنُو مَخْرُومٍ ، وَبَنُو سَهْمٍ ، وَبَنُو جَحْجَحٍ ، وَبَنُو عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ ؛ خَمْسَ قَبَائِلَ . وَقَالَ قَوْمٌ فِي تَفْسِيرِهَا : إِنَّمَا عَنَى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، وفيها : « قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ ، قُمْ يَا حِزَّةُ ، قُمْ يَا عَلِيٌّ » .

(٢) مغازي الواقدي ٦٣



حَلَفَ الْفُضُولُ ، وَكَانَ بَعْدَ حَلْفِ الْمُطَيِّبِينَ بِزَمَانٍ ، وَشَهِدَ حَلْفَ الْفُضُولِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ ، وَكَانَ سَبِيهٌ أَنْ رَجُلًا مِنَ الْيَمَنِ قَدِمَ مَكَّةَ بِمَتَاعٍ ، فَاشْتَرَاهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ وَمَطَّلَهُ بِالثَّمَنِ حَتَّى أَتَعَبَهُ ، فَقَامَ بِالْحَجَرِ وَنَاشَدَ قُرَيْشًا ظِلَامَتَهُ ، فَاجْتَمَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو أُسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَبَنُو زَهْرَةَ ، وَبَنُو تَيْمٍ ، فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ ، فَتَحَالَفُوا وَغَسَّوْا أَيْدِيَهُمْ فِي مَاءِ زَمْزَمَ ، بَعْدَ أَنْ غَسَلُوا بِهِ أَرْكَانَ الْبَيْتِ ؛ أَنْ يَنْصُرُوا كُلَّ مَظْلُومٍ بِمَكَّةَ ، وَيَرُدُّوْا عَلَيْهِ ظِلَامَتَهُ ، وَيَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَيَنْهَوْا عَنْ كُلِّ مَنكَرٍ ، مَا يَلِي بِحَرِّ صَوْفَةٍ ، فَسَمَّى حَلْفَ الْفُضُولِ لِفَضْلِهِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : « شَهِدْتُهُ وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ تُحَرَّمَ النَّعَمُ ، وَلَا يَزِيدَهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً » . وَهَذَا التَّفْسِيرُ أَيْضًا غَيْرُ صَحِيحٍ ، لِأَنَّ بَنِي عَبْدِ الشَّمْسِ لَمْ يَكُونُوا فِي حَلْفِ الْفُضُولِ ، فَقَدْ بَانَ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ أَصَحُّ وَأَثْبَتٌ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : ثُمَّ قَالَ عَتَبَةُ لِابْنِهِ : قُمْ يَا وَلِيدُ ، فَقَامَ الْوَلِيدُ وَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ ، وَكَانَا أَصْغَرَ النَّفَرِ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ قَامَ عَتَبَةُ ، وَقَامَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَقَتَلَهُ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ قَامَ شَيْبَةُ ، وَقَامَ إِلَيْهِ عُبَيْدَةُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَسْنَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَضْرَبَ شَيْبَةُ رَجُلَ عُبَيْدَةَ بِذُبَابِ السَّيْفِ ، فَأَصَابَ عَضْلَةَ سَاقِهِ ، فَقَطَمَهَا وَكَرَّ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ عَلَى شَيْبَةَ فَقَتَلَاهُ ، وَاحْتِمَلَا عُبَيْدَةَ فَجَازَاهُ إِلَى الصَّفِّ ، وَمَخَّ سَاقَهُ يَسِيلُ ، فَقَالَ عُبَيْدَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَسْتُ شَهِيدًا ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ حَيًّا لَعَلِمَ أَنَّي أَحَقُّ بِمَا قَالَ حِينَ يَقُولُ :

كَذَبْتُمْ وَيَسِّرَ اللَّهُ نَحْلِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعِينَ دُونَهُ وَنَاضِلُ

وَنَنْصُرُهُ حَتَّى نَصْرَعُ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَائِلِ

وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ هَٰذَا أَنْ خَصِمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ (١) .



وروى محمد بن إسحاق أن عتبة بارز عبيدة بن الحارث ، وأن شيبه بارز حمزة بن عبد المطلب ، فقتل حمزة شيبه ، لم يمهله أن قتله ؛ ولم يمهله على الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت<sup>(١)</sup> صاحبه ، وكرت حمزة وعلى عليه السلام على عتبة بأسيا فهما ، حتى وقعا عليه<sup>(٢)</sup> ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى الصف<sup>(٣)</sup> .

قلت : وهذه الرواية توافق ما يذكره أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه ، إذ يقول لمعاوية : وعندى السيف الذى أعضضت به أخاك وخالك وجدك يوم بدر . ويقول في موضع آخر : قد عرفت مواقع نصاليها في أخيك وخالك وجدك ، وما هى من الظالمين ببيد . واختار البلاذرى رواية الواقدي : وقال : إن حمزة قتل عتبة ، وإن عليا عليه السلام قتل الوليد ، وشرك في قتل شيبه<sup>(٤)</sup> .

وهذا هو المناسب لأحوالهم من طريق السنن ، لأن شيبه أسن الثلاثة ، فجعل بإزاء عبيدة وهو أسن الثلاثة ، والوليد أصغر الثلاثة سنًا ، فجعل بإزاء علي عليه السلام ، وهو أصغر الثلاثة سنًا ، وعتبة أوسطهم سنًا ، فجعل بإزاء حمزة وهو أوسطهم سنًا . وأيضًا فإن عتبة كان أمثل الثلاثة ، فمقتضى القياس أن يكون قرنه أمثل الثلاثة ، وهو حمزة إذ ذاك ، لأن عليا عليه السلام لم يكن قد اشتهر أمره جدًا ، وإنما اشتهر الشهرة التامة بعد بدر . ولمن روى أن حمزة بارز شيبه - وهى رواية ابن إسحاق - أنت ينتصر بشعر هند بنت عتبة ترى أباهما :

أعيني جودا بدمع سرب	على خير خندف لم ينقلب <sup>(٥)</sup>
تداعى له رهطه قصرة	بنو هاشم وبنو المطلب <sup>(٦)</sup>
يذيقونه حر أسيا فهم	يعلونه بعد ما قد عطب <sup>(٧)</sup>

(١) أثبتته : جرحه	(٢) ابن هشام : « ذفقا عليه » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥	(٤) أنساب الأشراف ١ : ٢٩٢
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٤١	(٦) يقال : هو ابن عمى قصرة ، أى قريب . وفى
والواقدي : « غدوة »	(٧) ١ : « شجب » .



فإذا كانت قد قالت إن عتبة أباهما أذاقه بنو هاشم وبنو المطلب حرّ أسيافهم ، فقد ثبت أن المبارز لعتبة إنما هو عبدة لأنه من بني المطلب جرح عتبة ، فأثبتته ثم ذفّف<sup>(١)</sup> عليه حمزة وعلى عليه السلام . فأما الشيعة ، فإنها تروى أن حمزة بادر عتبة فقتله ، وأن اشتراك عليّ وحمزة إنما هو في دم شيبة بعد أن جرحه عبدة بن الحارث ، هكذا ذكر محمد ابن النعمان في كتاب " الإرشاد " ، وهو خلاف ما تنطق به كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية ، والأمر عندي مشتبّه في هذا الموضع .

وروى محمد بن النعمان ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه كان يذكر يوم بدر ويقول : أختلف أنا والوليد بن عتبة ضربتين ، فأخطأتني ضربته ، وأضر به فاتقاني بيده اليسرى ، فأبأها السيف ، فكأني أنظر إلى وميض خاتم في شماله ، ثم ضربته أخرى فصرعته وسلبته ، فرأيت به الردع<sup>(٢)</sup> من خلوق ، فعلت أنه قريب عهد بعرس .

\*\*\*

قال الواقدي : وقد روى أن عتبة بن ربيعة حين دعا إلى البراز ، قام إليه ابنه أبو حذيفة بن عتبة يبارزه ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : اجلس ، فلما قام إليه النفر أعان أبو حذيفة على أبيه عتبة بضربة<sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وأخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : شيبة أكبر من عتبة بثلاث سنين ، وحمزة أسنّ من النبي صلى الله عليه وآله بأربع سنين ، والعبّاس أسنّ من النبي صلى الله عليه وآله بثلاث سنين<sup>(٤)</sup> .

قال الواقدي : واستفتح أبو جهل يوم بدر ، فقال : اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا يعلم ، فأجبه الغداة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ... ﴾<sup>(٥)</sup> الآية .

(١) ذفّف عليه : أي أجهز

(٢) الردع : الزعفران .

(٣) مغازي الواقدي ٦٤

(٤) مغازي الواقدي ٦٥ ؛ والخبر هنا أوفى وأشمل .

(٥) سورة الأفعال ١٩ ، والخبر في الواقدي ٦٥ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٤٤١ ( طبعة المعارف )



قال الواقدي : وروى عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله جعل شعار المهاجرين يوم بدر : يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بني عبد الله ، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

قال وروى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، أن شعار رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوم بدر يا منصور أميت<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قتل أبي البختري ، وكان قد لبس السلاح بمكة يوماً قبل الهجرة في بعض ما كان ينال النبي صلى الله عليه وآله من الأذى ، وقال : لا يعرض اليوم أحدٌ لمحمد بأذى إلا وضعت فيه السلاح . فشكر ذلك له النبي صلى الله عليه وآله . قال أبو داود المازني : فلحقته يوم بدر ، فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهى عن قتلك إن أعطيت يدي ، قال : وما تريد إلي ! إن كان قد نهى عن قتلي ، فقد كنت أبليته ذلك ، فأما أن أعطي يدي ، فواللات والعزى لقد علمت نسوة بمكة أني لا أعطي يدي ، وقد عرفت أنك لا تدعني ، فافعل الذي تريد ، فرماه أبو داود بسهم ، وقال : اللهم سهمك ؛ وأبو البختري عبدك ، فضعه في مقتله ؛ وأبو البختري دارع ، ففتق السهم الدرع فقتله .

قال الواقدي : ويقال إن المجذر بن زياد قتل أبا البختري ولا يعرفه ، وقال المجذر في ذلك شعراً عرّف منه أنه قاتله<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وفي رواية محمد بن إسحاق : أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى يوم بدر عن قتل أبي البختري ، واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، لأنه كان أكف



الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان فيمن قام في نقض الصحيفة التي كتبها قرش على بني هاشم ، فلقية المجذّر بن زياد البلوي حليف الأنصار ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهانا عن قتلك ، ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مَلِيحة ، فقال أبو البختري : وزميلي ! قال المجذّر : والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله إلا عنك وحدك<sup>(١)</sup> ، قال : إذاً والله لأموتنّ أنا وهو جميعاً ، لا تتحدث عني نساء أهل مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة ، فنازله المجذّر ، وارتجز أبو البختري<sup>(٢)</sup> فقال :

لن يُسَلِّمَ ابنُ حرّةٍ زميلَه      حتى يموت أو يرى سيالَه

ثم اقتتلا ، فقتله المجذّر ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخبره ، وقال : والذي بعثك بالحقّ لقد جهدت أن يستأمر فأتيتك به ، فأبى إلا القتال فقاتلته<sup>(٣)</sup> فقتلته<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

قال الواقدي : ونهى النبي صلى الله عليه وآله عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل ، وقال : أسروه ولا تقتلوه ، وكان كارهاً للخروج إلى بدر ، فلقية خبيب بن يساف فقتله ولا يعرفه ، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك ، فقال : لو وجدته قبل أن يقتل لتركته لنسائه . ونهى عن قتل زمعة بن الأسود فقتله ثابت بن الجذع ، ولا يعرفه .

قال الواقدي : وارتجز عدي بن أبي الزغباء يوم بدر ، فقال :

أنا عديّ والسَّحَلُ      أمشي بها مشي الفَحَلِ

يعني درعه . فقال النبي صلى الله عليه وآله : مَنْ عديّ ؟ فقال رجل من القوم : أنا يا رسول الله ، قال : وماذا ؟ [قال : ابن فلان ، قال : لست أنت عدياً ، فقال عديّ بن أبي

(١) ابن هشام : « ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك » .

(٢) ابن هشام : « فقال أبو البختري حين نازله المجذّر ، وأبى إلا القتال » .

(٣) ابن هشام : « إلا أن يقاتلني » (٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١

الزغباء : أنا يارسول الله عديّ ، قال : وماذا [ (١) ؟ قال : « والسَّحَل ، أمشي بها مشي الفَحَل » ، قال النبي صلى الله عليه وآله : وما السَّحَل ؟ قال : درعي ، فقال صلى الله عليه وآله « نعم العديّ ، عديّ بن أبي الزغباء » (٢) .

قال الواقدي : وكان عقبة بن أبي مُعَيْط قال بمكة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة :

يأراكب الناقة القصواء هاجِرَنا عَمَّا قَلِيلٍ تَرَانِي رَاكِبَ الْفَرَسِ  
أَعِلُّ رُحْمِي فَيَكُمُ ثُمَّ أَتْمِلُهُ وَالسَّيْفُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ كُلَّ مَلْبَسٍ

فبلغ قوله النبي صلى الله عليه وآله ، فقال : « اللهم أكبه لمنخره واصرعه » ؛ فجمع به فرسه يوم بدر ، بعد أن ولّى الناس ، فأخذه عبد الله بن سلمة العجلاني أسيراً ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله عاصم بن أبي الأفلح ، فضرب عنقه صَبْرًا (٣) .

قال الواقدي : وكان عبد الرحمن يحدث يقول : إِنِّي لِأَجْعُ أَدْرَاعًا يَوْمَ بَدْرٍ ، بعد أن ولّى الناس ، فإذا أُمَيَّة بن خلف - وكان لي صديقًا في الجاهلية ، وكان اسمي عبد عمرو ، فلما جاء الإسلام تسميت عبد الرحمن ، فكان يلتقاني بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، فلا أجيبه ، فيقول : إِنِّي لَا أَقُولُ لَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، إِنَّ مَسْئِلَةَ بِالْهَيْمَةِ (٤) تَسْمَى بِالرَّحْمَنِ ، فَأَنَا لَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ ، فكان يدعوني عبد الإله ، فلما كان يوم بدر رأيته وكأنه جمل يُسَاق ، ومعه ابنه عليّ ، فناداني : يا عبد عمرو ، فأبيت أن أجيبه ، فناداني : يا عبد الإله ، فأجبت ، فقال : أمالك حاجة في اللّبن ؟ نحن خير لك من أدركك هذه ، فقلت : امضيا ، فجعلت أسوقهما أمامي ، وقد رأيت أُمَيَّة أنه قد أمِنَ بعضَ الأمن ، فقال لي أُمَيَّة : رأيت رجلاً فيكم اليوم معلماً في صدره بريشة نعامة ، من هو ؟ فقلت : حمزة بن عبد المطلب ، فقال : ذاك الذي

(١) من مغازي الواقدي .

(٢) مغازي الواقدي ٧٦

(٤) الواقدي « يتسمى » .

(٣) مغازي الواقدي ٧٦ ، ٧٧



فعل بنا الأفاعيل ! ثم قال : فمن رجلٌ دحداح قصير معلم بمصابة حمراء ؟ قلت : ذاك رجل من الأنصار ، يقال له : سمالك بن خراشة ، قال : وبذاك أيضاً يا عبد الإله صرنا اليوم جزراً لكم ! قال : فيينا هو معي أزجيهِ <sup>(١)</sup> أمامي ، ومعه ابنه ، إذ بصر به بلال وهو يعجن عجينا له ، فترك العجين ، وجعل يفتل يديه منه فتلاً ذريعاً ، وهو ينادي : يا معشر الأنصار ، أمية بن خلف رأس الكفر ! لا نجوتُ إن نجوتَ - قال : لأنه كان يمدّ به بمكة - فأقبلت الأنصار كأنهم عودٌ حنّت إلى أولادها ، حتى طرحوا أمية على ظهره ، واضطجعت عليه أحبيه منهم ، فأقبل الخبّاب بن المنذر ، فأدخل سيفه ، فاقتطع أرنبة أنفه ، فلما فقد أمية أنفه ، قال لي : إيهّا عنك ! أي خلّ بيني وبينهم ، قال عبد الرحمن فذكرت قول حسان :

\* أو عن ذلك الأنف جادع \*

قال : ويقبل إليه خبيب بن يساف ، فضربه حتى قتله ، وقد كان أمية ضرب خبيب ابن يساف حتى قطع يده من المشكيب ، فأعادها النبي صلى الله عليه وآله فالتحمت واستوت ، فتزوج خبيب بن يساف بعد ذلك ابنة أمية بن خلف ، فرأت تلك الضربة ، فقالت : لا يشلّ الله يد رجلٍ فعل هذا ! فقال خبيب : وأنا والله قد أوردته شعوب ، فكان خبيب يحدث يقول : فأضربه فوق العاتق ، فأقطع عاتقه حتى بلغت مؤترره ، وعليه الدرع ، وأنا أقول : خذها وأنا ابن يساف ! وأخذت سلاحه ودرعه ، وأقبل على بن أمية فتعرض له الخبّاب ، فقطع رجله ، فصاح صيحة ماسمع مثلها قطاً ، ولقى عمار فضربه ضربة فقتله . ويقال : إن عماراً لاقاه قبل ضربة الخبّاب ، فاختلفا ضربات ، فقتله عمار . والأولى أثبت ، أنه ضربه بعد أن قطعت رجله <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وقد سمعنا في قتل أمية غير ذلك ، حدثني عبيد بن يحيى ، عن معاذ بن

(١) أزجيهِ : أسوقه .

(٢) مفازي الواقدي ٧٧ ، ٧٨ .

رفاعة ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم بدر وأُحْدقنا بأمية بن خلف ، وكان له فيهم شأن ، ومعى رمحى ، ومعهم رمحه ، فتطاعنا حتى سقطت أزجتها ، ثم صرنا إلى السيفين فتضاربنا بهما حتى اشلما ، ثم بصرت بفتق في درعه تحت إبطه ، فخششت السيف فيه حتى قتلتته ، وخرج السيف عليه الودك<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وقد سمعنا وجهها آخر : حدثني محمد بن قدامة بن موسى ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قدامة ، قالت : قال صفوان بن أمية بن خلف يوما : يا قدام - لقدامة بن مضمون - أنت المشلي<sup>(٢)</sup> بأبي يوم بدر الناس ! فقال قدامة : لا والله ما فعلت ، ولو فعلت ما اعتذرت من قتل مشرك . قال صفوان : فمن يا قدام المشلي به يوم بدر ؟ قال : رأيت فتية من الأنصار أقبلوا إليه ، فيهم معمر بن خبيب بن عبيد بن الحارث ، يرفع سيفه ويضعه فيه ، فقال صفوان : أبو قرد ! وكان ممر رجلا دميأ ، فسمع بذلك الحارث بن حاطب ، فغضب له ، فدخل على أم صفوان ، فقال : ما يدعنا صفوان من الأذى في الجاهلية والإسلام ! قالت : وما ذاك ؟ فأخبرها بمقالة صفوان لمعمر حين قال : أبو قرد ! فقالت أم صفوان : يا صفوان ، أنت تنقص معمر بن خبيب من أهل بدر ! والله لا أقبل لك كرامة سنة . قال صفوان : يا أمه ، لا أعود والله أبدا ، تكلمت بكلمة لم ألق لها بالاً<sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن قدامة ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قدامة ، قالت : قيل لأم صفوان بن أمية - ونظرت إلى الخبّاب بن المنذر بمكة : هذا الذي قطع رجل علي بن أمية يوم بدر ، قالت : دعونا عن ذكر من قُتل على الشُّرك ، قد أهان الله عليا بضربة الخبّاب بن المنذر ، وأكرم الله الخبّاب بضربة عليا ، ولقد كان على الإسلام حين خرج من هاهنا ، فقتل على غير ذلك<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

(٢) المشلي : المحرض .

(١) مغازي الواقدي ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) مغازي الواقدي ٧٩ .

(٤) مغازي الواقدي ٧٩ ، ٨٠ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .



فأما محمد بن إسحاق ، فإنه قال : قال عبد الرحمن بن عوف : أخذت يد أمية بن خلف ويد ابنه علي بن أمية أسيرين يوم بدر ، فبينما أنا أمشي بينهما ، رأنا بلال - وكان أمية هو الذي يعذب بلالا بمكة ، يخرج به إلى رمضاء <sup>(١)</sup> مكة إذا حيت ، فيضججه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع بحرارتها على صدره ، ويقول له : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ! فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ ! لا يزيد على ذلك - فلما رآه صاح : رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوتُ إن نجوت ! قال عبد الرحمن : فقلت أي بلال ، أسيرى ! فقال : لا نجوتُ إن نجى ، فقلت : استمع يا ابن السوداء ، قال : لا نجوت إن نجى ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، أمية بن خلف رأس الكفر ، لا نجوت إن نجى ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة <sup>(٢)</sup> ، وأنا أذب عنه ، <sup>(٣)</sup> ويحذف عمار بن ياسر عليا ابنه بالسيف ، فأصاب رجله ، فوقع وصاح أمية صيحة مسمعت مثلها قط <sup>(٤)</sup> ، فخليت عنه ، وقلت : انج بنفسك ولا نجاء به ! فوالله ما أغني عنك شيئا ، قال : فهبروها <sup>(٥)</sup> بأسيا فهم حتى فرغوا منها . قال : فكان عبد الرحمن بن عوف ، يقول : رحم الله بلالا ! أذهب أدرعى ، ولجعتي بأسيرى <sup>(٥)</sup> !

\*\*\*

قال الواقدي : وكان الزبير بن العوام يحدث فيقول : لما كان يومئذ لقيت عبيدة ابن سعيد بن العاص على فرس ، عليه لأمة كاملة لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يقول - وكانت له صبية صغيرة ، يحملها وكان لها بطنين وكانت مقسمة : أنا أبو ذات الكرش ، أنا أبو ذات

(١) الرمضاء : الرمل الشديد الحرارة من الشمس .

(٢) المسكة : السوار .

(٣ - ٤) ابن هشام : « فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة عظيمة ما سمعت بمثلها قط » .

(٤) هبروها : قطعوا لحمها ؛ تقول : هبرت اللحم إذا قطعته قطعاً .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣



الكروش . قال : وفي يدي عَنَزَةٌ <sup>(١)</sup> فأطعن بها في عينه ووقع ، وأطوّه برجلي على خَدّه ، حتى أخرجت العَنَزَةَ متعقّفة ، وأخرجت حديقته ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله تلك العَنَزَةَ ، فكانت تحمل بين يديه ، ثم صارت تحمل بين يدي أبي بكر وعمر وعثمان <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وأقبل عاصم بن أبي عوف بن صُبَيْرَةَ السَّهْمِيّ ، لما جال الناس واختلطوا ، وكأنه ذئب ، وهو يقول : يامعشر قريش ، عليكم بالقاطع مفرّق الجماعة ، الآتي بما لا يعرف ، محمد ، لا نجوتُ إن نجا ! ويعترضه أبو دُجَانَةَ ، فاختلفا ضربتين ، ويضربه أبو دُجَانَةَ فقتله ، ووقف على سَابه يسليه ، فمرّ به عمر بن الخطاب ، فقال : دع سَابه حتى يُجهض <sup>(٣)</sup> العدو ، وأنا أشهد لك به <sup>(٤)</sup> .

قال الواقدي : ويقبل معبد بن وهب ، أحد بني عامر بن لؤي ، فضرب أبا دُجَانَةَ ضربة برك منها أبو دُجَانَةَ كما يبرك الجمل ، ثم انتهض ، وأقبل على معبد ، فضربه ضربات لم يصنع سيفه شيئا ، حتى يقع معبد بحفرة أمامه لا يراها ، ونزل أبو دُجَانَةَ عليه ، فذبحه ذبحاً ، وأخذ سَابه <sup>(٥)</sup> .

قال الواقدي : ولما كان يومئذ ، ورأت بنو مخزوم مقتّل مَنْ قُتِل ، قالت : أبو الحكم ! لا يخلص إليه ، فإنّ ابنيّ ربيعة عجّلا وبطرا ، ولم تحام عنهما <sup>(٦)</sup> عشيرتهما . فاجتمعت بنو مخزوم ، فأحدقوا به ، فجعلوه [ في ] <sup>(٧)</sup> مثل الحرجة ، وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبي جهل رجلاً منهم ، فألبسوها عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة ، فصمد له على عليه السلام ، فقتله وهو يراه أبا جهل ، ومضى عنه وهو يقول : أنا ابن عبد المطلب ! ثم ألبسوها أبا قيس بن

(١) العَنَزَةُ : شبه العكازة ، أطول من العصا وأقصر من الرمح ، لها زج من أسفلها .

(٢) (٣) : والواقدي : « نجھض » .

(٢) مغازي الواقدي ٨٠

(٥) مغازي الواقدي ٨٠ ، ٨١

(٤) مغازي الواقدي ٨١

(٦) كذا في ١ ، وفي ب والواقدي : « عليهما » . (٧) من الواقدي



الفاكه بن المغيرة ، فصمده له حمزة وهو يراه أبا جهل ، فضر به فقتله وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ! ثم ألبسوها حرمة بن عمرو ، فصمده له عليّ عليه السلام فقتله ، ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم ، فأبى أن يلبسها ، قال معاذ بن عمرو بن الجموح : فنظرت يومئذ إلى أبي جهل في مثل الحرجة ، وهم يقولون : أبو الحكم ! لا يخلص إليه ، فعرفت أنه هو ، فقلت : والله لأموتنّ دونه اليوم أو لأخلصنّ إليه ، فصمدت له ، حتى إذا أمكنتني منه غرة حملت عليه ، فضر به ضربة طرحت رجله من الساق ، فشبهتها النواة تنزّو من تحت المراضخ ، فأقبل ابنه عكرمة عليّ فضر بني علي عاتق ، فطرح يدي من العاتق ، إلا أنه بقيت جلدة ، فذهبت أسحب يدي بتلك الجلدة خافي ، فلما آذنتني وضعت عليها رجلي ، ثم تغطيت عليها فقطعتها ، ثم لاقيت عكرمة وهو يلوذ كل ملاذ ، ولو كانت يدي معي لرجوت يومئذ أن أصيبه . ومات معاذ في زمن عثمان <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : فروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله نفل معاذ بن عمرو بن الجموح سيف أبي جهل ، وأنه عند آل معاذ بن عمرو اليوم وبه قل ، بعد أن أرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى عكرمة بن أبي جهل ، يسأله من قتل أباك ؟ قال : الذي قطعت يده ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه إلى معاذ بن عمرو ، لأن عكرمة بن أبي جهل قطع يده يوم بدر <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وما كان بنو المغيرة يشكون أن سيف أبي الحكم صار إلى معاذ بن عمرو بن الجموح ، وأنه قاتله يوم بدر <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وقد سمعت في قتله وأخذ سلبه غير هذا ؛ حدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن عمر بن الحكم بن ثوبان ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : عبانا رسول الله صلى الله عليه وآله بليل ، فأصبحنا ونحن على صفوفنا ، فإذا بغلامين ، ليس منهما واحد إلا قد



ربطت حمائل سيفه في عنقه لصغره ، فالتفت إلى أحدهما ، فقال : يا عم ، أيهم أبو جهل ؟ قال : قلت : وما تصنع به يا ابن أخي ؟ قال : بلغني أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فحلفت : لأن رأيتُه لأقتله أو لأموتنّ دونه . فأشرت إليه ، فالتفت إلى الآخر ، وقال لي مثل ذلك ، فأشرت له إليه ، وقلت له : من أتما ؟ قالا : ابنا الحارث ، قال : فجعل لا يطرفان عن أبي جهل ؛ حتى إذا كان القتال خلصا إليه فقتلاه وقتلها (١) .

قال الواقدي : حدثني محمد بن عوف ، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت ، قال : لما كان يومئذ ، قال عبد الرحمن ، ونظر إليهما عن يمينه وعن شماله : ليته كان إلى جنبي من هو أبدا من هذين الصبيين ! فلم أنشب أن التفت إلى عوف ، فقال : أيهم أبو جهل ؟ فقلت : ذاك حيث ترى ، فخرج يمدو إليه كأنه سبّع ، ولحقه أخوه ، فأنا أنظر إليهم يضطربون بالسيوف ؛ ثم نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يمرّ بهم في القتلى ، وها إلى جانب أبي جهل (٢) .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن رفاعه بن ثعابة ، قال : سمعتُ أبي ينكر ما يقول الناس في ابني عَفْرَاء من صغرها ، ويقول : كانا يوم بدر أصغرهما ابن خمس وثلاثين سنة ، فهذا يربط حمائل سيفه ! قال الواقدي : والقول الأول أثبت (٣) .

وروى محمد بن عمار بن ياسر ، عن رُبَيْع بنت معوذ ، قالت : دخلتُ في نسوة من الأنصار على أسماء أم أبي جهل في زمن عمر بن الخطاب ، وكان ابنها عبد الله بن أبي ربيعة يبعث إليها بعطّر من اليمن ، فكانت تبعه إلى الأعطية ، فكنا نشترى منها ، فلما جعلت لي في قواريري ، ووزنت لي كما وزنت لصواحي ، قال : اكتبني لي عليكن حق ، قلت : نعم ، اكتب لها على الرُبَيْع بنت معوذ ، فقالت : أسماء خلفي : وإنك

(٢) مغازي الواقدي ٨٣

(١) مغازي الواقدي ٨٢ ، ٨٣

(٣) مغازي الواقدي ٨٣



لابنة قاتل سيده ! فقلت : لا ، ولكن ابنة قاتل عبده ، فقالت : والله لا أبيعك شيئاً أبداً ، فقلت : أنا والله لا أشتري منك أبداً ، فوالله ما هو بطيب ولا عَرَفَ ؛ والله يا بني ما شممت عطراً قط كان أطيبَ منه ، ولكني يا بني غضبت <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : فلما وضعت الحرب أوزارها ، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلتصق أبو جهل ، قال ابن مسعود : فوجدته في آخر رمق ، فوضعت رجلي على عنقه ، فقلت : الحمد لله الذي أخزأك ! قال : إنما أخزى الله العبد ابن أمّ عبد ! لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صعباً ! لمن الدبرة ؟ قلت : لله ولرسوله ، قال ابن مسعود : فأقلم بيضته عن قفاه ، وقلت : إني قاتلك ، قال : لست بأول عبد قتل سيده ، أما إن أشد ما لقيته اليوم لقتلك إياي ؛ ألا يكون ولي قتل رجل من الأحلاف أو من المطيبين ! قال : فضربه عبد الله ضربةً وقع رأسه بين يديه ، ثم سلبه ، وأقبل بسلاحه ودرّعه وبيضته ، فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال ، أبشر يا بني الله بقتل عدو الله أبي جهل ! فقال رسول الله : أحقاً يا عبد الله ! فوالذي نفسي بيده هو أحب إلي من حمر النعم ! أو كما قال . ثم قال : إنه أصابه جَحَشٌ <sup>(٢)</sup> من دفع دفعته في مأدبة ابن جدعان ، فبحشت ركبته فالتسوه ؟ فوجدوا ذلك الأثر <sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وروى أن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي كان عند النبي صلى الله عليه وآله تلك الساعة ، فوجد في نفسه ، وأقبل على ابن مسعود ، وقال : أنت قتلتني ؟ قال : نعم ، الله قتله ! قال أبو سلمة : أنت ولّيت قتله ؟ قال : نعم ، قال : لو شاء لجعلك في كُفّه ! فقال ابن مسعود : فقد والله قتلتني وجردته ؛ فقال أبو سلمة : فما علامته ؟ قال : شامة سوداء بيطن فخذ اليمنى ؛ فعرف أبو سلمة النعت ، فقال : أجردته ، ولم يجرد قرشي غيره ! فقال

(٢) الجحش : الخدش ، أو فوه دون الجرح

(١) مغازي الواقدي ٨٤

(٣) الواقدي ٨٤ ، ٨٥

ابن مسعود : إنه والله لم يكن في قريش ولا في حلفائها أحدٌ أعدى لله ولا لرسوله منه ؛ وما أعذر من شيء صنعته به . فأمسك أبو سلمة <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وسمع أبو سلمة بعد ذلك يستغفر الله من كلامه في أبي جهل ، وقال : اللهم إنك قد أنجزت ما وعدتني ، فتمم علي نعمتك . قال : وكان عبد الله بن عتبة بن مسعود ، يقول : سيف أبي جهل عندنا محلي بفضة ، غنمه عبد الله بن مسعود يومئذ <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : اجتمع قول أصحابنا أن معاذ بن عمرو وابني عفراء أثبتوه ، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رمق ، فكل شرك في قتله <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على مصرع ابني عفراء ، فقال : يرحم الله ابني عفراء ؛ فإنهما قد شركا في قتل فرعون هذه الأمة ، ورأس أئمة الكفر ، فقيل : يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قال : الملائكة ، وذق عليه ابن مسعود ؛ فكان قد شرك في قتله <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وحدثني معمر ، عن الزهري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : اللهم اكفني نوفل بن العديّة - وهو نوفل بن خويلد ، من بني أسد بن عبد العزى - وأقبل نوفل يومئذ يصيح وهو مرعوب ، قد رأى قتل أصحابه ، وكان في أول ما التقوا هم والمسلمون ، يصيح بصوت له زجل ، رافعا عقيرته : يا معشر قريش ، إن هذا اليوم يوم العلاء والرفعة . فلما رأى قريشا قد انكشفت جعل يصيح بالأنصار : ما حاجتكم إلى دمانا ؟ أما ترون من تقتلون ؟ أما لكم في اللبن من حاجة ! فأسره جبّار بن صخر ، فهو يسوقه أمامه ، فجعل نوفل يقول لجبار ، ورأى عليا عليه السلام مقبلا نحوه : يا أخا الأنصار ، من هذا واللوات والعزى ! إنني لأرى رجلا ، إنه ليريدني ! قال



جبار : هذا على بن أبي طالب ، قال نوفل : تالله ما رأيتُ كالْيَوْمِ رجلاً أسرع في قومه ! فصمد له على عليه السلام فيضربه فينشب سيف عليّ في حَجَفَتِهِ <sup>(١)</sup> ساعة ، ثم ينزعه فيضرب به ساقيه ، ودرّعه مشتمرة ، فيقطعها ، ثم أجهز عليه فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ لَهُ عِلْمٌ بنوفل بن خويلد ؟ قال عليّ عليه السلام : أنا قتلته ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال ، فالتقى هو وعليّ عليه السلام ، وقتله عليّ ، فكان عمر بن الخطاب يقول لابنه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص : مالي أراك معرضاً ، تظن أنني قتلت أباك ! فقال سعيد : لو قتلتك لكان علي الباطل وكنت على الحق ، قال : فقال عمر : إن قريشاً أعظم الناس أحلاماً ، وأكثرها أمانة ، لا يبيعهم أحدٌ النوائل إلا كتبه الله لفيه <sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وروى أن عمر قال لسعيد بن العاص : مالي أراك معرضاً كأنني قتلت أباك يوم بدر ؛ وإن كنت لا أعتذر من قتل مشرك ، لقد قتلت خالي بيدي العاص بن هاشم بن المغيرة .

\*\*\*

ونقلت من غير كتاب الواقدي أن عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر في أيام خلافته ، فجلس سعيد بن العاص حَجْرَةً <sup>(٤)</sup> فنظر إليه عمر ، فقال : مالي أراك مُعْرِضاً كأنني قتلت أباك ! إنني لم أقتله ، ولكنه قتله أبو حسن ! وكان علي عليه السلام حاضراً ، فقال : اللهم عَفِّرَا ! ذهب الشُّرْكُ بما فيه ، ومحا الإسلام ما قبله ؛ فلماذا تهاجُ

(١) الحجفة : الترس

(٢) مغازي الواقدي ٨٦

(٣) مغازي الواقدي ٨٦ ، ٨٧

(٤) حجرة ؛ أي ناحية .



القلوب ! فسكت عمر ، وقال سعيد : لقد قتله كفاً كريماً ؛ وهو أحب إلى من أن يقتله من ليس من بني عبد مناف .

قال الواقدي : وكان عليّ عليه السلام يحدث ، فيقول : إني يومئذ بعد ما متع<sup>(١)</sup> النهار ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم ، خرجت في إثر رجل منهم ، فإذا رجل من المشركين على كتيب رمل وسعد بن خيثمة ، وهما يقتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة ، والمشرك مقنع في الحديد ، وكان فارساً ، فالتحم عن فرسه ، فعرفني وهو معلم ، فناداني : هلم يا بن أبي طالب إلى البراز ! فعطفت إلى البراز ، فأنحطت عليه ، فأنحطت إلى مقبلاً ، وكنت رجلاً قصيراً ، فأنحطت راجعاً لكي ينزل إليّ ، كرهت أن يعلوني ، فقال : يا بن أبي طالب ، فررت ! فقلت : قريباً مفرّ ابن الشراء ، فلما استقرت قدماي وثبتت أقبل فلما دنا مني ضربني فالتقيت بالدرة ، فوق سيفه ، فلحج<sup>(٢)</sup> فأضربه على عاتقه وهو دارع ، فارتعش ، ولقد قطعت سيفي درعه ، فظننت أن سيفي سيقتله ، فإذا بريق سيف من ورائي ، فطأطأت رأسي ، ويقع السيف ، فأطنّ فخف رأسه بالبيضة ، وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ، فالتفت من ورائي ، فإذا هو حمزة عتي<sup>(٣)</sup> ، والمقتول طعيسة ابن عدي<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

قلت : في رواية محمد بن إسحاق بن يسار أن طعيسة بن عديّ قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثم قال : وقيل : قتله حمزة<sup>(٥)</sup> وفي رواية الشيعة قتله عليّ بن أبي طالب ، شجره بالرمح ، فقال له : والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً ؛ وهكذا روى محمد بن إسحاق .

(٢) الواقدي : يعني « لزم »

(٤) مفازي الواقدي ٨٧

(١) الواقدي : « ارتفع »

(٣) الواقدي : « حمزة بن عبد المطلب » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧



وروى محمد بن إسحاق قال ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله من العريش إلى الناس ينظر القتال ، فخرّض المسلمين وقال : كل امرئ بما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل في جملة ، فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال حمير بن الحُمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يا كلهن : نخ بخ ! فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يَقتُلَنِي هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل <sup>(١)</sup> .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : يا رسول الله ، ما يُضحِكُ الرَّبَّ من عبده ؟ قال : غمسه يده في العدو حاسراً . فنزع عوف درعا كانت عليه وقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي وابن إسحاق : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كفاً من البطحاء ، فرماهم بها ، وقال : شأنت الوجوه <sup>(٣)</sup> ! اللهم أرعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم . فانهزم المشركون لا يلؤون على شيء ، والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون <sup>(٤)</sup> .

قال الواقدي : وكان هبيرة بن أبي وهب الخزومي لما رأى الهزيمة انخزل ظهره فقفر ، فلم يستطع أن يقوم ، فأتاه أبو أسامة الجشمي حليفه ، ففتق درعه واحتمله - ويقال : ضربه أبو داود المازني بالسيف فقطع درعه ، ووقع لوجهه ، وأخلد إلى الأرض ، وجاوزه أبو داود وبصر به ابنا زهير الجشميان مالك ، وأبو أسامة ، وهما حليفاه ، فذبّا عنه حتى نجوا به ، واحتمله أبو أسامة ومالك يذبّ عنه ، حتى خلاصاه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حماه كلباه الحليفان <sup>(٥)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨

(٣) بعدها في ابن هشام : « ثم بعجم بها » .

(٤) مغازي الواقدي ٨٩ مع اختلاف في الرواية



قال الواقدي : وحديثي عمر بن عثمان عن عكاشة بن محصن ، قال : انقطع سيفي يوم بدر ، فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله عوداً ، فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل ذلك السيف عند عكاشة حتى هلك .

قال : وقد روى رجال من بني عبد الأشهل عدة ، قالوا : انكسر سيف سلمة بن أسلم<sup>(١)</sup> بن حريش<sup>(٢)</sup> يوم بدر ، فبقي أعزل لاسلح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب<sup>(٣)</sup> ، فقال : اضرب به ، فإذا هو سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد<sup>(٤)</sup> .

قال الواقدي : وأصاب حارثة بن سراقة ، وهو يكرع في الحوض سهم غريب<sup>(٥)</sup> من المشركين فوقع في نحره ، فمات ، فلقد شرب القوم آخر النهار من دمه ؛ وبلغ أمه وأخته - وهما بالمدينة مقتله - فقالت أمه : والله لا أبكي عليه ؛ حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فأسأله ، فإن كان في الجنة لم أبك عليه ، وإن كان في النار بكيته لعمر الله ، فأعولته ! فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر جاءت أمه إليه ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت موضع حارثة في قلبي ، فأردت أن أبكي عليه ، ثم قلت : لا أفعل حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ؛ فإن كان في الجنة لم أبكيه ، وإن كان في النار بكيته فأعولته ! فقال النبي صلى الله عليه وآله : « هُبَيْتِ : أجنة واحدة ! إنها جنان كثيرة ، والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى » ، قالت : فلا أبكي عليه أبداً .

قال الواقدي : ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ بماء في إناء ، فغمس يده فيه ومضمض فاه ، ثم ناول أم حارثة بن سراقة ، فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ،

(١) ب : « أشهل » ، وصوابه من : الواقدي وابن هشام

(٢) ١ : « جريش » ، والصواب ما في ب والواقدي

(٣) في اللسان : « عذق ابن طاب نخلة بالمدينة » ، وقيل : ابن طاب ضرب من الرطب هنالك .

(٥) سهم غريب : لا يدري راميهِ .

(٤) مغازي الواقدي ٨٨



ثم أمرها فنضحتا في جُيوبهما ، ثم رجعتا من عند النبي صلى الله عليه وآله ، وما بالمدينة امرأتان أقرّ عينا منهما ولا أسر<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وكان حكيم بن حزام يقول : انهزمنا يوم بدر ، فجعلت أسمى وأقول : قاتل الله ابن الحنظلية ! يزعم أن النهار قد ذهب ، والله إن النهار لكما هو ؛ قال حكيم : وما ذاك بي إلا حياءً أن يأتي الليل فيقتصر عنا طلب القوم ، فيدرك حكيم عبيد الله وعبد الرحمن بنى العوام على جمل لهما ، فقال عبد الرحمن لأخيه : انزل فاحمل أبا خالد ، وكان عبيد الله رجلاً أعرج ، لا رجلة<sup>(٢)</sup> به ، فقال عبيد الله : إنه لا رجلة بي كما ترى ؛ وقال عبد الرحمن : والله أن لا بد منه ، ألا نحمل رجلاً ، إن متنا كفانا ما خلفنا من عيالنا ، وإن عشنا حملنا كلنا ! فنزل عبد الرحمن وأخوه الأعرج ، فحملاه ، فكانوا يتعاقبون الجمل ، فلما دنا من مكة وكان بمر الظهران ، قال : والله لقد رأيت هاهنا أمراً ما كان يخرج على مثله أحد له رأي ، ولكنه شؤم ابن الحنظلية ! إن جزوراً نحررت هاهنا فلم يبق خباء إلا أصابه من دمها . فقالا : قد رأينا ذلك ؛ ولكن رأيناك وقومك قد مضيت فمضينا معكم ، ولم يكن لنا معكم أمر .

قال الواقدي : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث عن مخلد بن خفاف ، عن أبيه ، قال : كانت الدروع في قريش كثيرة يومئذ ؛ فلما انهزموا جعلوا يلقيونها ، وجعل المسلمون يتبعونهم ويلقون ما طرحوا ، ولقد رأيتني يومئذ التقطت ثلاث أدرع جئت بها أهلي ، فكانت عندنا بعد ، فزعم لي رجل من قريش - ورأى درعاً منها عندنا فعرفها - قال : هذه درع الحارث بن هشام<sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن حميد ، عن عبد الله بن عمرو بن أمية ، قال : أخبرني من انكشف من قريش يومئذ منهزماً ، وإنه ليقول في نفسه : ما رأيت مثل هذا فر منه إلا النساء<sup>(٤)</sup> !

(٢) الرجل ؛ بالضم : القوة على المشي .

(٤) مغازي الواقدي ٩٠

(١) مغازي الواقدي ٨٨

(٣) مغازي الواقدي ٨٩ ، ٩٠

قال الواقدي : كان قَبَاث بن أَشِيم الكِنَانِي يقول : شهدت مع المشركين بدرًا ، وإني لأنظر إلى قَلَّة أصحاب محمد في عيني ، وكثرة مَنْ معنا من الخيل والرجل ، فانهزمتُ فيمن انهزم ، فلقد رأيتني وإني لأنظر إلى المشركين في كل وجه ، وإني لأقول في نفسي : ما رأيت مثل هذا الأمر فرمته إلا النساء ! وصاحبني رجل ، فبينما هو يسير معي إذ لحقنا من خلفنا ، فقلت لصاحبي : أبلغك نهوض ؟ قال : لا والله ما بي ! قال : وعقر وترفعت ، فلقد صبحت غَيِّقَةً - قال : وَغَيِّقَةٌ عن يسار السَّيَا يبينها وبين الفرع ليلة وبين الفرع والمدينة ثمانية بُرْد - قبل الشمس ؛ كنت هاديا بالطريق ؛ ولم أسلك الحاج وخفت من الطلب فتكبت عنها ، فلقيني رجل من قومي بغَيِّقَةٍ ، فقال : ما وراءك ؟ قلت : لا شيء ؟ قتلنا وأسیرنا وانهزمتنا ، فهل عندك من حُملان ؟ قال : فحماني على بعير ، وزودني زادًا ، حتى لقيت الطريق بالجحفة ، ثم مضيت حتى دخلت مكة ؛ وإني لأنظر إلى الحِيسَمَان بن حابس الخزاعي بالغميم ، فعرفت أنه تقدم ينمي قريشا بمكة ، فلو أردت أن أسبقه لسبقته ، فتكبت<sup>(١)</sup> عنه حتى سبقني ببعض النهار ، فقدمت وقد انتهى إلى مكة خبر قتلاهم ، وهم يلعنون الخزاعي ، ويقولون : ما جاءنا بخير ! فكنت بمكة ، فلما كان بعد الخندق ، قلت : لو قدمت المدينة ، فنظرت ما يقول محمد ! وقد وقع في قلبي الإسلام ، فقدمت المدينة ، فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالوا : هو ذاك في ظل المسجد مع ملا من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم ، فسلمت فقال : يا قَبَاث بن أَشِيم ، أنت القاتل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فرمته إلا النساء ! قلت : أشهد أنك رسول الله ، وأن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا ما ترمرمت<sup>(٢)</sup> به ؛ إلا شيئًا حدثت به نفسي ، فلولا أنك نبي ما أطلعك الله عليه ؛ هلم حتى أبايعك فأسلمت<sup>(٣)</sup> .

(١) الواقدي : « الحاج » .

(٢) ب . « تكبت » ، وأثبت ما في الواقدي .

(٣) ما ترمرمت به ؛ أي ما نطقت به .

(٤) مغازي الواقدي ٩٠ ، ٩١ .



قال الواقدي : وقد روى أنه لما توجه المشركون إلى بدر كان فتيان ممن تخلف عنهم بمكة سمارا يسمرون بذى طوى في القمر حتى يذهب الليل ، يتناشدون الأشعار ويتحدثون ، فيبناهم كذلك إذ سمعوا صوتا قريبا منهم ولا يرون القائل ، رافعا صوته يتغنى :

أزاد الحنفيون بدرأ مصيبة      سينقص منها ركن كسرى وقية سراً  
أرنت لها صم الجبال وأفرغت      قبائل ما بين الوتير فخيبراً<sup>(١)</sup>  
أجازت جبال الأخشين وجردت      حرائر يضر بن التراب حسراً<sup>(٢)</sup>

قال الواقدي : أنشدني<sup>(٣)</sup> ، ورواه لي عبد الله بن أبي عبيدة ، عن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : فاستمعوا الصوت ، فلا يروون أحداً ، فخرجوا في طلبه ، فلم يروا أحداً ، فخرجوا فزعين ، حتى جازوا الحجر ، فوجدوا مشيخة منهم جلة سمارا ، فأخبروهم الخبر ، فقالوا لهم : إن كان ما تقولون ، فإن محمداً وأصحابه يسمون الحنيفة . قال : فلم يبق أحد من الفتيان الذين كانوا بذى طوى إلا وعك ، فما مكثوا إلا ليلتين أو ثلاثا ، حتى قدم الحيثمان<sup>(٤)</sup> الخزاعي بخبر أهل بدر ، ومن قتل منهم ، فجعل يخبرهم ، فيقول : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وقتل ابن الحجاج وأبو البختري ، وزمعة بن الأسود . قال : وصفوان بن أمية في الحجر جالس يقول : لا يعقل هذا شيئاً مما يتكلم به اسلوه عني ، فقالوا : صفوان بن أمية لك به علم ؟ قال : نعم ، هو ذاك في الحجر ، ولقد رأيت أباه وأخاه مقتولين ، ورأيت سهيل بن عمرو والنضر بن الحارث أسيرين ، رأيتهما مقرونين في الجبال<sup>(٥)</sup> .

(١) كذا في الواقدي ، وفي ب : « وخيرا » .

(٢) كذا في أ ، وفي ب : « التراب وحسراً » . (٣) الواقدي : « أنشدني » .

(٤) في الأصول : « الحيثمان » ؟ والصواب ما أثبتته من الواقدي والبلاذري وابن هشام والطبري .

(٥) مغازي الواقدي ١١٤

قال الواقدي : وبلغ النجاشي مقتل قريش وما ظفر الله به <sup>(١)</sup> رسوله ، فخرج في ثوبين أبيضين ، ثم جلس على الأرض ، ودعا جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، فقال : أيكم يعرف <sup>(٢)</sup> بدرأ ؟ فأخبروه ، فقال : أنا عارف بها ، قد رعت الغم <sup>(٣)</sup> [في] جوانبها ، هي من الساحل على بعض نهار ، ولكني أردت أن أثبت منكم ، قد نصر الله رسوله ببدر ، فاحمدوا الله على ذلك . فقال بطارفته : أصلح الله الملك ! إن هذا شيء لم تكن تصنعه ، يريدون لبس البياض والجلوس على فالأرض ، فقال : إن عيسى بن مريم كان إذا حدثت له نعمة ازداد بها تواضعاً <sup>(٤)</sup> .

قال الواقدي : فلما رجعت قريش إلى مكة ، قام فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشر قريش ، لا تبكوا على قتلكم ، ولا تنح عليهم نائحة ، ولا يندبهم شاعر ، وأظهروا الجلد والعزاء ، فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتوهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فأكلكم <sup>(٥)</sup> [ذلك] عن عداوة محمد وأصحابه ، مع أن محمداً إن بلغه وأصحابه ذلك شتموا بكم ، فتكون أعظم المصيبتين ، ولعلكم تدركون ثأركم ، فالذهن والنساء على حرام حتى أغزو محمداً . فكثرت قريش شهراً لا يبكيهم شاعر ، ولا تنوح عليهم نائحة .

قال الواقدي : وكان الأسود بن المطلب قد ذهب بصره ، وقد كمد على من قتل من ولده ، وكان يحب أن يبكي عليهم فتأبى عليه قريش ذلك ، فكان يقول لغلامه بين اليومين : ويلك ! احمل معي خيراً ؛ واسلك بي الفج الذي سلكه أبو حكيمة - يعني زمعة - ولده المقتول ببدر - فيأتي به غلامه على الطريق عند ذلك الفج فيجلس ، فيسقيه الخمر

(١) الواقدي : « نبيه » . (٢) الواقدي : « أين بدر » . (٣) من الواقدي

(٤) الواقدي : ١١٥ « تليس ثوبين وتجلس على الأرض ؟ فقال : لاني من قوم إذا أحدث الله لهم نعمة ازدادوا بها تواضعاً . ويقال : إنه قال : إن عيسى بن مريم عليه السلام كان إذا حدثت له نعمة ازداد بها تواضعاً » . والخبر في الواقدي ١١٤

(٥) من الواقدي ١١٥ .



حتى ينتشى ، ثم يبكي على أبي حَكِيمَة وإخوته ، ثم يحثي التراب على رأسه ، ويقول لعلامه : ويحك ! اكرم عليّ ، فإنني أكره أن تعلم بي قريش ، إني أراها لم تجمع البكاء على قتلاها<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : حدثني مصعب بن ثابت عن عيسى بن معمر ، عن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن عائشة قالت : قالت قريش حين رجعوا إلى مكة : لا تبكوا على قتلاكم ، فيبلغ محمدا وأصحابه فيشتموا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم ، فيأرب<sup>(٢)</sup> بكم القوم ، ألافامسكوا عن البكاء .

قال : وكان الأسود بن المطلب أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة وعقيل والحارث بن زمعة ، فكان يحب أن يبكي على قتلاه ، فيبنا هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لعلامه - وقد ذهب بصره - : انظر ، هل بكت قريش على قتلاها ! لعلّي أبكي على أبي حَكِيمَة - يعني زمعة - فإن جوفى قد احترق ، فذهب الغلام ورجع إليه ، فقال : إنما هي امرأة تبكي على بغيرها قد أضلته . فقال الأسود :

تبكى أن يضلّ لها بعيرٌ      ويمنعها من النوم السهود<sup>(٣)</sup>  
فلا تبكي على بكرٍ ولوكن      على بكرٍ تصاغرّت الحدود<sup>(٤)</sup>  
فبكي إن بكيت على عقيل      وبكي حارثاً أسد الأسود  
وبكيهم ولا تسمي جميعاً<sup>(٥)</sup>      فما لأبي حَكِيمَة من نديدٍ

(١) مغازي الواقدي ١١٤ (٢) فيأرب : فيشتد .

(٣) الخبر والشعر - مع اختلاف الرواية - في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، والشعر أيضاً في ديوان الحماسة - بشرح المرزوقي ٢ : ٨٢٢ .

(٤) الحماسة : « تقاصرت الحدود » ، قال المرزوقي : « هو تفاعل من التصور والعجز » لا القصص الذي هو ضد الطول ، وفي الواقدي عن هشام : سمعت أبي ينشد « تصاغرّت الحدود » ، ولا ينكر « الحدود » .  
(٥) لا تسمي ، أي لا تسأى .

على بدر سَراة بنى هُصيصٍ ومخزوم ورهط أبى الوليد  
ألا قد سادَ بعدهمُ رجالٌ ولولا يومُ بدرٍ لم يسودوا

قال الواقدي : ومشت نساء من قريش إلى هند بنت عتبة ، فقلن : ألا تبكين على  
أبيك وأخيك وعمك وأهل بيتك ! فقالت : حَلَّاني <sup>(١)</sup> أن أبكيهم ، فيبلغ محمدا وأصحابه  
فيشمتوا بنا ونساء بنى الخزرج ، لا والله حتى أثار محمدا وأصحابه ، والدَّهن على حرام إن  
دخل رأسي حتى تغزو محمدا ! والله لو أعلم أن الحزن يذهب عن قلبي لبكيتُ ، ولكن  
لا يذهبه إلا أن أرى ثأري بعيني من قتلة الأحبة ، فكثت على حالها لا تقرب الدَّهن ،  
ولا قربت فراش أبى سفيان من يوم حلفت حتى كانت وقعة أحد <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وبلغ نوفل بن معاوية الدَّيلي وهو في أهله - وقد كان شهد معهم بدرا -  
أن قريشا بكت على قتلاها ؛ فقدم مكة ، فقال : يا معشر قريش ، لقد خفت أحلامكم ، وسفه  
رأيكم ، وأطعتم نساءكم ، أمثل قتلاكم يبكي عليهم ! هم أجل من البكاء ، مع أن ذلك  
يذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه ، فلا ينبغي أن يذهب الغيظ عنكم ، إلا أن  
تدركوا ثأركم من عدوكم . فسمع أبو سفيان بن حرب كلامه ، فقال : يا أبا معاوية ، غلبت ،  
والله ما ناحت امرأة من بنى عبد شمس على قتيل لها إلى اليوم ، ولا بكاهم شاعر إلا نهيتُه  
حتى ندرك ثأرنا من محمد وأصحابه ، وإني لأنا الموتور الثأر ، قتل ابني حنظلة ، وسادة أهل  
هذا الوادي ؛ أصبح هذا الوادي مقشعرا لفقدكم <sup>(٣)</sup> !

قال الواقدي : وحدثني معاذ بن محمد الأنصاري ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال :  
لما رجع المشركون إلى مكة ، وقد قتل صناديدهم وأشرفهم ، أقبل عمير بن وهب بن عمير  
الجمحي حتى جلس إلى صفوان بن أمية في الحجر ، فقال صفوان بن أمية : قبَّح العيش

(٢) مغازي الواقدي ١١٦ ، ١١٧

(١) حلَّاني : منعي

(٣) مغازي الواقدي ١١٨



بعد قتلى بدر ! قال عمير بن وهب : أجل والله ، مافى العيش بعدهم خيرٌ ، ولولا دين عليّ لا أجد له قضاء ، وعيال لا أدع لهم شيئاً ، لرحلتُ إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عيني منه ؛ فإنه بلغني أنه يطوف في الأسواق ، فإن لي عندهم علة ، أقول : قدمت على ابني هذا الأسير ، ففرح صفوان بقوله ، وقال : يا أبا أمية ، وهل نراك فاعلاً ؟ قال : إى ورب هذه البنية ! قال صفوان : فعلى دينك ، وعيالك أسوة عيالي ، فأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشدّ توسعاً على عياله مني . قال عمير : قد عرفت ذلك يا أبا وهب ، قال صفوان : فإن عيالك مع عيالي ، لا يسعني شيء ولنعجز عنهم ، ودينك عليّ . فحمله صفوان على بعيره ، وجهزه وأجرى على عياله مثل ما يجري على عيال نفسه ، وأمر عمير بسيفه فشحذ وسمّ ، ثم خرج إلى المدينة ، وقال لصفوان : اكتم عليّ أياماً حتى أقدمها ، وخرج فلم يذكره صفوان ، وقدم عُمر ، فنزل على باب المسجد ، وعَقَلَ راحلته ، وأخذ السيف فتقلّده ، ثم عمّد نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعمر بن الخطاب في نفرٍ من المسلمين يتحدثون<sup>(١)</sup> ، ويذكرون نعمة الله عليهم في بدر ، فرأى عميراً وعليه السيف ، ففرع عمر منه ، وقال لأصحابه : دونكم الكلب ! هذا عمير بن وهب عدو الله الذي حرّش بيننا يوم بدر ، وحرّنا للقوم ؛ وصعد فينا وصوب ؛ يخبر قريشاً أنه لا عدد لنا ولا كمين . فقاموا إليه فأخذوه ، فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ؛ هذا عمير بن وهب ، قد دخل المسجد ومعه السلاح ، وهو الغادر الخبيث الذي لا يؤمن على شيء ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : أدخله عليّ ، فخرج عمر فأخذ بحمائل سيفه ، فقبض بيده عليها ، وأخذ بيده الأخرى قائم السيف ، ثم أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رآه ، قال : يا عمر ، تأخر عنه ، فلما دنا عُمر إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : أنعم صباحاً ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : قد أكرمنا الله عن تحيتك ، وجعل تحييتنا السلام ، وهي تحية أهل الجنة . قال عمير : إنّ عهدك بها لحديث ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : قد أبدلنا

(١) الواقدي : « فنظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو في نفر من أصحابه يتحدثون »



الله خيرا ، فما أقدمك يا عمير ؟ قال : قدمت في أسيرى عندكم تفادونه وتقاربونا فيه ، فإنكم المشيرة والأصل ! قال النبي صلى الله عليه وآله : فما بال سيف ! قال عمير : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنت من شيء ، إنما نسبته حين نزلت وهو في رقبتي ، ولعمري إن لي لهما غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أصدق يا عمير . ما الذي أقدمك ؟ قال : ما قدمت إلّا في أسيرى ، قال صلى الله عليه وآله : فما شرطت لصفوان بن أمية في الحجر ؟ ففرع عمير ، وقال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحمّلت بقتلي ، على أن يقضى دينك ، ويمول عيالك ، والله حائل بينك وبين ذلك ! قال عمير : أشهد أنك رسول الله وأنت صادق ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، كفا يا رسول الله نكذبتك بالوحى ، وبما يأتيك من السماء ، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان كما قلت ، لم يطلع عليه غيره وغيرى ، وقد أمرته أن يكتبه<sup>(١)</sup> ليالى ، فأطلعك الله عليه ، فأمنت بالله ورسوله ، وشهدت أن ما جئت به حق . الحمد لله الذى ساقنى هذا المساق ! وفرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب : لخزير<sup>(٢)</sup> كان أحبّ إلىّ منه حين طلع ، وهو الساعة أحبّ إلىّ من بعض ولدى . وقال النبي صلى الله عليه وآله : « علموا أخاكم القرآن ، وأطيعوا له أسيره » ، فقال عمير : يا رسول الله ، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، فله الحمد أن هدانى ، فأذن لي فألحق قريشاً فادعواهم إلى الله وإلى الإسلام ، فعمل الله يهديهم ويستنقذهم من الهلكة - فأذن له فخرج ، فلحق بمكة - وكان صفوان يسأل عن عمير بن وهب كل راكب يقدم من المدينة ، يقول : هل حدث بالمدينة من حدث ؟ ويقول لقريش : أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر - فقدم رجل من المدينة ، فسأله صفوان عن عمير ، فقال : أسلم ، فلعله صفوان ولعنه المشركون بمكة ، وقالوا : صبا عمير ، وحلف صفوان ألا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه ، وطرح عياله . وقدم عمير ، فنزل في أهله ، ولم يأت صفوان ، وأظهر الإسلام ، فبلغ صفوان : فقال : قد عرفت حين لم يبدأ بي قبل منزله ، وقد كان رجل أخبرني أنه ارتكس ، لا أكله من رأسى

(١) : « بكنم عنى » .



أبدا ، ولا أنفعه ولا عياله بِنَافِعَةٍ أبدا ، فوق عليه عُخَيْرٌ وهو في الحَجَرِ فقال : يا أبا وهب .  
فأعرض صفوان عنه ، فقال عُمَيْرٌ : أنت سيد من ساداتنا ، رأيت الذي كنّا عليه من عبادة  
حَجَرٍ ، والذبح له ! أهذا دين ! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فلم يجبه  
صفوان بكلمة ، وأسلم مع عُمَيْرٍ بشر كثير <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وكان فتية من قريش خمسة قد أسلموا ، فاحتبسهم آبائهم ،  
فخرجوا مع أهلهم وقومهم إلى بدر ، وهم على الشك والارتياب ، لم يخلصوا إسلامهم ؛ وهم :  
قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمة بن الأسود ،  
وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، فلما قدموا بدرا ، ورأوا قلة أصحاب  
النبي صلى الله عليه وآله ، قالوا : غر هؤلاء دينهم ، فقيهم أنزل : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ثم أنزل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ  
الْمَلَائِكَةُ خَلَائِمٍ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ  
تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ <sup>(٣)</sup> إلى تمام ثلاث آيات <sup>(٤)</sup> .

قال : فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى من أقام بمكة مسلما ، فقال جندب بن ضمرة  
الخزاعي : لا عذر لي ولا حجة في مقامي بمكة - وكان مريضا - فقال لأهله : أخرجوني ،  
أعلى أجد رَوْحًا ! قالوا : أي وجه أحب إليك ؟ قال : نعم التنعيم ! فخرجوا به إلى التنعيم ،  
وبين التنعيم ومكة أربعة أميال من طريق المدينة - فقال : اللهم إني خرجت إليك مهاجرا ،  
فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ <sup>(٥)</sup> الآية ، فلما رأى  
ذلك من كان بمكة ممن يطيق الخروج ، خرجوا ، فطلبهم أبو سفيان في رجال من المشركين ،

(٢) سورة الأنفال ٤٩  
(٤) مغازي الواقدي ٦٧

(١) مغازي الواقدي ١١٧ - ١٢٣  
(٣) سورة النساء ٩٧ وما بعدها  
(٥) سورة النساء ١٠٠

فردُّوهم وسجنوهم ، فافتتن منهم ناس ، وكان الذين افتتنوا إنما افتتنوا حين أصابهم البلاء .  
فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً  
النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ... ﴾ <sup>(١)</sup> الآية وما بعدها ، فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى من كان  
بمكة مسلماً ، فلما جاءهم الكتاب بما أنزل فيهم ، قالوا : اللهم إن لك علينا ابن أفلتنا  
ألا تعدل بك أحدا ، فخرجوا الثانية ، فطلبهم أبو سفيان والمشركون ، فأعجزوهم هرباً في  
الجبال ، حتى قدموا المدينة ، واشتدَّ البلاء على من ردُّوا من المسلمين ، فضرُّوهم وآذوهم  
وأكروههم على ترك الإسلام ، ورجع ابن أبي سرح مشركاً ، فقال لقريش : ما كان يعلم  
محمداً إلا ابن قطبة <sup>(٢)</sup> ، عبد نصراني ، لقد كنت أكتبه فأحوِّل ما أردت ، فأنزل الله تعالى  
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> ... الآية <sup>(٤)</sup> .



### القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتهم المشركين

اختلف المسلمون في ذلك ، فقال الجمهور منهم : نزلت الملائكة حقيقة ، كما ينزل  
الحيوان والحجر من الموضع العالي إلى الموضع السافل .  
وقال قوم من أصحاب المعاني غير ذلك .  
واختلف أرباب القول الأول ، فقال الأكثرون : نزلت وحاربت ، وقال قوم منهم :  
نزلت ولم تحارب ، وروى كل قوم في نصرته قولهم روايات .  
فقال الواقدي في كتاب " المغازي " : وحدثنني عمر بن عقبة ، عن شعبة مولى  
ابن عباس ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما تواقف الناس أغمى على رسول الله صلى

(١) سورة العنكبوت ١٠

(٢) كذا في الأصول ومغازي الواقدي ، وفي تفسير القرطبي ١٠ : ١٧٧ ، اسمه جبر ، وقيل اسمه يعيش

(٣) سورة النحل ١٠٣ (٤) مغازي الواقدي ٦٧



الله عليه وآله ساعة ، ثم كشف عنه فبشر المؤمنين بجبرائيل في جُند من الملائكة في ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر في ميسرة الناس ، وإسرافيل في جند آخر في ألف ، وكان إبليس قد تصور للمشركين في صورة سُراقَة بن جعشم المدلجي ، يذمر المشركين ، ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس ، فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه ، وقال : ﴿ إِنِّي نَرِي مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ ، فتثبت به الحارث بن هشام ، وهو يرى أنه سُراقَة لما سمع من كلامه ، فضرب في صدر الحارث ، فقطع الحارث ، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع في البحر ، ورفع يديه قائلاً : يا رب موعدك الذي وعدتني ! وأقبل أبو جهل على أصحابه يحضهم على القتال وقال : لا يفرّنكم خذلان سُراقَة بن جعشم إيتاكم ، فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه ، سيعلم إذا رجعنا إلى قديد ما نصنع بقومه ! ولا يهولنكم مقتل عُتْبَة وشيبة والوليد ، فإنهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا ، وإيم الله لا يرجع اليوم حتى تفرن محمداً وأصحابه في الجبال ، فلا ألفين أحداً منكم قتل منهم أحداً ، ولكن خذوهم أخذاً نعرفهم بالذي صنعوا ، لفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباؤهم .

قال الواقدي : وحدثني عُتْبَة بن يحيى ، عن معاذ بن رفاعَة بن رافع ، عن أبيه ، قال : إن كنا نسمع لإبليس يومئذ خواراً ودعاءً بالثبور والويل ، وتصوّر في صورة سُراقَة ابن جعشم حتى هرب ، فاقترحم البحر ، ورفع يديه ماداً لها ، يقول : يا رب ما وعدتني ! ولقد كانت قريش بعد ذلك تعير سُراقَة بما صنع يومئذ ، فيقول : والله ما صنعت شيئاً !

قال الواقدي : فحدثني أبو إسحاق الأسدي ، عن الحسن بن عبيد الله ، مولى بني العباس ، عن عمارة الليني ، قال : حدثني شيخٌ صياد من الحى - وكان يومئذ على ساحل البحر - قال : سمعت صياحاً : يا ويلاه ! يا ويلاه ! قد ملأ الوادي : يا حرباه يا حرباه ! فنظرت فإذا سُراقَة بن جعشم ، فدنوت منه ، فقلت : مالك فداك أبي وأمي ! فلم يرجع إلى شيئاً ، ثم أراه اقترحم البحر ، ورفع يديه ماداً ، يقول : يا رب ما وعدتني ! فقلت

في نفسي : جُنَّ وبيت الله سراقه ! وذلك حين زاغت الشمس ، وذلك عند انهزامهم يوم بدر <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : قالوا : كانت سماء الملائكة عمام قد أرخوها بين أكتافهم ، خضراء وصفراء وحمرات من نور ، والصوف في نواصي خيلهم .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لبيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : « إن الملائكة قد سوت فسوّموا » ، فأعلم المسلمون بالصوف في مغائرهم وقلانسهم <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح قال : كان أربعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يعلمون <sup>(٣)</sup> في الزحوف : حمزة بن عبد المطلب كان يوم بدر معلماً بريشة نعامة ، وكان علي عليه السلام معلماً بصوفة بيضاء ، وكان الزبير معلماً بعصابة صفراء ، وكان أبو دجانة يعلم بعصابة حمراء وكان الزبير يحدث أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق عليها عمام صفر فكانت على صورة الزبير .

قال الواقدي : فروى عن سهيل بن عمرو ، قال : لقد رأيت يوم بدر رجالاً يضيئون على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون .

قال الواقدي : وكان أبو أسد الساعدي يحدث بعد أن ذهب بصره ، ويقول : لو كنت معكم الآن بيدرومعي بصرى لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك فيه ولا أمتري ! قال : وكان أسيد يحدث عن رجل من بني غفار حدثه ، قال : أقبلت أنا وابن عمي لي يوم بدر ، حتى صعدنا على جبل ، ونحن يومئذ على الشرك ننظر الواقعة وعلى من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب إذ رأيت سحابة دنت منا ، فسمعت منها

(٢) مغازي الواقدي ٧٠

(١) مغازي الواقدي ٧٠

(٣) يقال : رجل معلم بكسر اللام ؛ إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلاها .



ههمة الخيل ، وقمعة الحديد ، وسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم ! فأما ابنُ عمي ،  
فانكشف قناع قلبه ، فمات ، وأما أنا فكدت أهلك ، فتماسكت وأتبعته بصرى حيث  
تذهب السحابة ، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وأصحابه ، ثم رجعت ، وليس فيها شيء  
مما كنت أسمع .

قال الواقدي : وحدثني خارجة بن إبراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ،  
عن أبيه ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله جبرائيل : مَنْ القاتل يوم بدر : أقبل  
حيزوم ؟ فقال جبرائيل : يا محمد ، ما كلَّ أهل السماء أعرف .

قال الواقدي : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن جده ، عبيدة بن  
أبي عبيدة ، عن أبي رُهم الغفاري عن ابن عمِّ له ، قال : بينا أنا وابن عمِّ لي على ماء  
بدر ، فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش ، قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد  
وأصحابه فانتهبناه ، فانطلقنا نحو المجنبة اليسرى من أصحاب محمد ، ونحن نقول : هؤلاء  
ربع قريش ، فبينما نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعنا أبصارنا لها ، فسمعنا  
أصوات الرجال والسياح ، وسمعنا قائلاً يقول لفرسه : « أقدم حيزوم » ، وسمعناهم يقولون :  
« رويدا تناهم أخراكم » ، فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم جاءت  
أخرى مثل تلك فكانت مع النبي صلى الله عليه وآله ، فنظرنا إلى أصحاب محمد وإذاهم  
على الضعف من قريش ، فمات ابن عمي ، وأما أنا فتماسكت ، وأخبرت النبي صلى الله  
عليه وآله بذلك ، وأسلمت .

قال الواقدي : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال « مارئي الشيطان  
يوماً هو فيه أصفر ولا أحقر ولا أذحر ولا أغضب منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى  
من نزول الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام ، إلا ما رأى يوم بذر » ، قيل : وما رأى



يا رسول الله يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبرائيل يوزع الملائكة. قال: وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال يومئذ: «هذا جبرائيل يسوق بريح، كأنه دحية السكابي، إني نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور»<sup>(١)</sup>.

قال الواقدي: وكان عبد الرحمن بن عوف يقول: رأيت يوم بدر رجلين؛ أحدهما عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر عن يساره، يقاتلان أشد القتال، ثم نلّهما ثالث من خلفه، ثم ربيعهما رابع أمامه<sup>(٢)</sup>.

قال: وقد روى سعد بن أبي وقاص مثل ذلك، قال: رأيت رجلين يوم بدر، يقاتلان عن النبي صلى الله عليه وسلم، أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة، وإلى ذا مرة، سرورا بما فتحه<sup>(٣)</sup> الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

قال الواقدي: وحدّثني إسحاق بن يحيى، عن حمزة بن صهيب، عن أبيه، قال: ما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلفها يوم بدر، قد رأيتها<sup>(٥)</sup>.

قال الواقدي: وروى أبو بريدة بن نيار، قال: جثت يوم بدر بثلاثة رهوس فوضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً أبيض ضربه فتدهده<sup>(٦)</sup> أمامه؛ فأخذت رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك فلان من الملائكة»<sup>(٧)</sup>.

قال الواقدي: وكان ابن عباس رحمه الله، يقول: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر<sup>(٧)</sup>.

(٢) مغازي الواقدي ٧٣  
(٤) مغازي الواقدي ٧٣  
(٦) تدهده: تدحرج، وفي الواقدي «تدهدي»

(١) مغازي الواقدي ٧٢  
(٣) الواقدي: «ظفروه الله»  
(٥) مغازي الواقدي ٧٣  
(٧) مغازي الواقدي ٧٣



قال : وحدّثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الملك يتصوّر في صورة مَنْ يعرفه المسلمون من الناس <sup>(١)</sup> ليثبتهم ، فيقول : إني قد دنوت من المشركين ، فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا لهم ، وليسوا بشيء ، فأحملوا عليهم ؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية <sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وحدّثني موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبي حبيش الأسديّ يحدث في زمن عمر بن الخطاب ، فيقول : والله ما أسرّني يوم بدر أحد من الناس ، فيقال : فمن ؟ فيقول : لما انهزمت قريش انهزمت معها فيدركي رجل أبيض طويل ، على فرس أبلق بين السماء والأرض ، فأوثقني رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً ، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر : مَنْ أسرّ هذا ؟ فليس أحد يزعم أنه أسرّني ، حتى انتهى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي رسول الله : يا ابن أبي حبيش ، مَنْ أسرك ؟ قلت : لا أعرفه ، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أسره ملك من الملائكة كريم ، اذهب يا ابن عوف بأسيرك » ، فذهب بي عبدُ الرحمن . قال السائب : وما زالت تلك الكلمة أحفظها ، وتأخر إسلامي حتى كان من إسلامي ما كان <sup>(٤)</sup> .

قال الواقدي : وكان حكيم بن حزام ، يقول : لقد رأيتنا يوم بدر ، وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سدّ الأفق - قال ووادي خلص ناحية الرؤيثة - قال : فإذا الوادي يسيل نملاً ، فوق في نفسي أن هذا شيء من السماء أيّد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ، وهي الملائكة <sup>(٥)</sup> .

(١) الواقدي : « من تعرفون من الناس » .

(٢) سورة الأنفال ١٢

(٣) مغازي الواقدي ٧٣ ، ٧٤

(٤) مغازي الواقدي ٧٤

(٥) مغازي الواقدي ٧٤ ، ٧٥



قال الواقدي : وقد قالوا : إنه لما التحم القتال ، ورسول الله صلى الله عليه وآله رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده ، ويقول : اللهم إن ظهرت على هذه العصابة ، ظهر الشرك ؛ ولا يقوم لك دين ، وأبو بكر يقول : والله لينصرك الله وليبيضن وجهك ، فأنزل الله تعالى ألفاً من الملائكة مردفين عند أكتاف العدو ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا أبا بكر ، أبشر ، هذا جبرائيل معتجراً بعمامة صفراء ، آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض » ، ثم قال : إنه لما نزل الأرض تفتب عني ساعة ، ثم طلع على ثناياه النعم ، يقول : أتاك النصر من الله إذ دعوته <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وحدثني موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : سمعتُ أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة ، يقول : سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، حتى ألح عليه ، فقال حكيم : التقينا فاقتلنا ، فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة في الطأت ، وقبض النبي صلى الله عليه وآله القبضة ، فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقدي : وقد روى عبد الله بن ثعلبة بن صغير ، قال : سمعتُ نوفل بن معاوية الدولبي ، يقول : انهزمنا يوم بدر ، ونحن نسمع كوقع الحصاة في الطأس بين أيدينا ومن خلفنا ، فكان ذلك أشد الرعب علينا .

\*\*\*

فأما الذين قالوا : نزات الملائكة ولم تقاتل ، فذكر الزمخشري في كتابه في تفسير القرآن المعروف " بالكشاف " أن قوما أنكروا قتال الملائكة يوم بدر ؛ وقالوا : لو قاتل واحد من الملائكة جميع البشر لم يثبتوا له ولا ستأصلهم بأجمعهم ببعض قوته ، فإن جبرائيل عليه السلام رفع مدائن قوم لوط - كما جاء في الخبر - على خافقة من جناحه ،



حتى بلغ بها إلى السماء ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ، فما عسى أن يبلغ قوة ألف رجل من قريش ليحتاج في مقاومتها وحربها إلى ألف ملك من ملائكة السماء مضافين إلى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من بني آدم ! وجعل هؤلاء قوله تعالى : ﴿ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَغْنَاقِ ... ﴾ <sup>(١)</sup> أمرا للمسلمين لا أمرا للملائكة .

وردوا في نصرة قولهم روايات ، قالوا : وإنما كان نزول الملائكة ليكثرُوا سواد المسلمين في أعين المشركين ، فإنهم كانوا يرونهم في مبدأ الحال قليلين في أعينهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُقَالُ لَهُمْ ... ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ليطلع المشركون فيهم ويحترقوا على حربهم ، فلما نشبت الحرب كثرتهم الله تعالى بالملائكة في أعين المشركين ليفرّوا ولا يثبتوا . وأيضاً فإن الملائكة نزلت وتصوّرت بصور البشر الذين يعرفهم المسلمون ، وقالوا لهم ما جرت العادة أن يقال مثله من تثبيت القلوب يوم الحرب ، نحو قولهم : ليس المشركون بشيء ، لا قوة عندهم ، لا قلوب لهم ، لو حاتم عليهم لمزمتهم . . . وأمثال ذلك .

ولقائل أن يقول : إذا كان قادرا على أن يقتل ثلثمائة إنسان في أعين قريش حتى يظنّوهم مائة ، فهو قادر على أن يكثرهم في أعين قريش بعد التقاء حلقتي البطان ، فيظنّوهم ألفين وأكثر من غير حاجة إلى إنزال الملائكة .

فإن قلت : لعلّ في إنزالهم لطفًا للمكافين .

قلت : ولعلّ في محاربتهم لطفًا للمكافين ؛ وأما أصحاب المعاني فإنهم لم يحملوا الكلام على ظاهره ، ولهم في تأويله قول ليس هذا موضع ذكره .

\*\*\*

## القول فيما جرى في الغنيمة

### والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة

قال الواقدي : لما تصاف المشركون والمسلمون ، قال النبي صلى الله عليه وآله : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَمَنْ أَسْرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا » ، فلما انهزم المشركون كان الناس ثلاث فرق ؛ فرقة قامت عند خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله - وكان أبو بكر معه في الخيمة - وفرقة أغارت على النهب تنهب ، وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا ، فتكلم سعد بن معاذ - وكان ممن أقام على خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ، ما منعنا أن نطلب العدو زهادة في الأجر ، ولا جبن عن العدو ، ولكننا خفنا أن نمرى موضعك ، فيميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم ، وقد أقام عند خيمتك وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، والناس كثير ، ومتى تعطي هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء ، والقتلى والأسرى كثير ، والغنيمة قليلة ، فاختلقوا فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ... ﴾ الآية ، فرجع المسلمون ، وليس لهم من الغنيمة شيء ثم أنزل الله فيما بعد : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَالرَّسُولِ ... ﴾ <sup>(١)</sup> فقسمه عليهم بينهم .

قال الواقدي : وقد روى عبادة بن الوليد بن عبادة عن جده عبادة بن الصامت ، قال : سلمنا الأنفال يوم بدر لله وللرسول ، ولم يخمس رسول الله صلى الله عليه وآله بدرأ ، ونزلت بعد : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين



الخمس فيما كان من أول غنيمة بعد بدر .

قال الواقدي : وقد روى عن أبي أسيد الساعدي مثله .

وروى عكرمة ، قال : اختلف الناس في الغنائم يوم بدر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالغنائم أن ترد في المقسم ، فلم يبق منها شيء إلا رد . وظن أهل الشجاعة أنه صلى الله عليه وآله يخصصهم بها دون غيرهم من أهل الضعف ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقسم بينهم على سواء ، فقال سعد بن أبي وقاص : يا رسول الله تعطى فارس القوم الذي يحسبهم مثل مانع الضعيف ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « تكاثرك أمك ! وهل تنصرون إلا بضعفائكم ! » .

قال الواقدي : فروى محمد بن سهل بن خيثمة ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن ترد الأسرى والأسلاب ، وما أخذوا من المغنم ، ثم أقرع بينهم في الأسرى ، وقسم أسلاب المقتولين الذين يعرف قائلوهم بين قاتليهم ، وقسم ما وجدته في المعسكر بين جميع المسلمين عن فراق .

قال الواقدي : وحدثني عبد الحميد بن جعفر ، قال : سألت موسى بن سعد بن زيد ابن ثابت : كيف فعل النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر في الأسرى والأسلاب والأنفال ؟ فقال : نادى مناديه يومئذ : مَنْ قتل قتيلا فله سلبه ، ومن أسر أسيرا فهو له ، وأمر بما وجد في المعسكر وما أخذ بغير قتال ، فقسمه بينهم عن فراق . فقلت لعبد الحميد : فلمن أعطى سلب أبي جهل ! فقال : قد قيل : إنه أعطاه معاوية بن عمرو بن الجموح ، وقيل : أعطاه ابن مسعود .

قال : وأخذ علي عليه السلام درع الوليد بن عتبة وبيضته ومنفره ، وأخذ حمزة سلاح عتبة ، وأخذ عبيدة بن الحارث سلاح شيبة ، ثم صار إلى ورثته .

قال الواقدي : فكانت القسمة على ثمانمائة وسبعة عشر سهما ، لأن الرجال كانت ثمانمائة وثلاثة عشر رجلا ، وكان معهم فرسان لها أربعة أسهم ، وقسم أيضا فوق ذلك ثمانية أسهم ، لم يحضروا ، ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ، ثلاثة من المهاجرين لاختلاف فيهم ، وهم : عثمان بن عفان خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته رقية وماتت يوم قدم زيد بن حارثة بالديار إلى المدينة ، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وآله يتجسسان خبر العير . وخمسة من الأنصار هم : أبو لبابة بن عبد المنذر ، خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدي ، خلفه على قباء وأهل العالية ، والحارث بن حاطب أمره بأمر في بني عمرو بن عوف ، وخوات بن جبير كسر بالروحاء ، والحارث بن الصمة مثله ، فلا اختلاف في هؤلاء . واختلف في أربعة غيرهم ، فروى أنه ضرب لسعد بن عباد بسهمه وأجره ، وقال : لئن لم يشهدا لقد كان فيها رغباً ، وذلك أنه كان يحض الناس على الخروج إلى بدر ، فتش فتنه ذلك من الخروج .

وروى أنه ضرب لسعد بن مالك الساعدي بسهمه وأجره ، وكان تجهز إلى بدر ، فمرض بالمدينة ، فمات خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأوصى إليه عليه السلام .

وروى أنه ضرب لرجلين آخرين من الأنصار ولم يسمهما ، الواقدي وقال : هؤلاء الأربعة غير جمع عليهم كإجماعهم على الثانية .

قال : وقد اختلف : هل ضرب بسهم في الغنيمة لقتلي بدر ؟ فقال الأ كثرون : لم يضرب لهم ، وقال بعضهم : بل ضرب لهم ؛ حدثني ابن أبي سبرة ، عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب لشهداء بدر أربعة عشر رجلا . قال : وقد قال عبد الله ابن سعد بن خيثمة : أخذنا سهم أبي الذي ضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله حين



قسم الغنائم ، وحمله إلينا عويمر بن ساعدة . قال : وقد روى السائب بن أبي لبابة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله أسهم لمبشر بن عبد المنذر ، قال : وقد قدم بسهمه علينا معن بن عدي .

قال الواقدي : وكانت الإبل التي أصابوا يومئذ مائة وخمسين بعيراً ، وكان معه آدم كثير ، حملوه للتجارة ، فغنمه المسلمون يومئذ ، وكان فيما أصابوا قطيفة حمراء ، فقال بعضهم : مالنا لا نرى القطيفة ! ما نرى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أخذها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ <sup>(١)</sup> . وجاء رجل رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : يا رسول الله ، إن فلانا غلّ قطيفة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله الرجل ، فقال : لم أفعل ، فقال الدالّ : يا رسول الله ، احفروا هاهنا ، فحفرنا فاستخرجت القطيفة ، فقال قائل : يا رسول الله ، استغفر لفلان مرتين ؛ أو مرارا ، فقال عليه السلام : دعونا من أبي حرّ .

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

قال الواقدي : وأصاب المسلمون من خيولهم عشرة أفراس ، وكان جل أبي جهل فيما غنموه ، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله ، فلم يزل عنده يضرب في إبله ويغزو عليه حتى ساقه في هدي الحديبية ، فسأله يومئذ المشركون الجمل بمائة بعير ، فقال : لولا أنا سميّناه في الهدى لفعلنا .

قال الواقدي : وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله صفي <sup>(٢)</sup> من الغنيمة قبل القسمة ، فتغلّ سيفه ذا الفقار يومئذ ، كان لمنبه بن الحجاج . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد غزا إلى بدر بسيف وهبه له سعد بن عبادة يقال له العضب .

قال : وسمعت ابن أبي سبرة ، يقول : سمعت صالح بن كيسان ، يقول : خرج رسول

(١) سورة آل عمران ١٦١

(٢) الصفي من الغنيمة : نصيب الرئيس



الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ، وما معه سيف ، وكان أول سيف قلده سيف منبه بن الحجاج غنمه يوم بدر .

وقال البلاذري : كان ذو الفقار للعاص بن منبه بن الحجاج ، ويقال : لمنبه ، ويقال لشيبة ، والتثبت عندنا أنه كان للعاص بن منبه .

قال الواقدي : وكان أبو أسيد الساعدي إذا ذكر الأرقم بن أبي الأرقم ، يقول : ما يومى منه بواحد ، فيقال : ما هذا هو ؟ فيقول : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين أن يردوا يوم بدر ما فى أيديهم من الغنم ، فرددت سيف أبي عائد المخزومي - واسم السيف المرزبان ، وكان له قيمة وقدر - وأنا أطمع أن يرد إلى ، فسلم الأرقم رسول الله صلى الله عليه وآله فيه - وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمنع شيئاً يسأله - فأعطاه السيف . وخرج بنى له يفعة<sup>(١)</sup> ، فاحتمله الغول ، فذهبت به متوركة ظهرا ، فقيل لأبي أسيد : وكانت الغيلان فى ذلك الزمان ؟ فقال : نعم ، ولكنها قد هلكت ، فلقى بنى الأرقم بن أبي الأرقم ، فبهش<sup>(٢)</sup> إليه باكياً مستجيها به ، فقال : من أنت ؟ فأخبره ، فقالت الغول : أنا حاضنته ، فلها عنه والصبي يكذبها ، فلم يرج عليه حتى الساعة ، فخرج من دارى فرس لى ، فقطع رأسه ، فلقى الأرقم بالغابة فركبه ؛ حتى إذا دنا من المدينة أفلت منه فتعذر إلى أنه أفلت منى ، فلم أقدر عليه حتى الساعة .

قال : وروى عاصم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر سيف العاص بن منبه ، فأعطاه ، قال : وأخذ عليه السلام مماليك حضروا بدرأ ، ولم يسهم لهم وهم ثلاثة أعبد ، غلام لحاطب بن أبي بلتعة ، وغلام لعبد الرحمن بن

(١) غلام يفع ويفعة ، إذا كان مترعراً .

(٢) بهش إليه : خف إليه .



عوف ، و غلام لسعد بن معاذ ، واستعمل صلى الله عليه وآله شُقران غلامه على الأسرى ،  
فأخذوا من كل أسير ما لو كان حُرّاً ما أصابه في المقسم .

وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : رميتُ سهيل بن عمرو يوم بدر  
فقطعت نساءه ، فاتبعت أثر الدم حتى وجدته قد أخذه مالك بن الدخشم ، وهو ممسك  
بناصيته ، فقلت : أسيرى رميته ! فقال : أسيرى أخذته ! فأتينا رسول الله صلى الله عليه وآله  
فأخذه منا جميعاً ، وأفلت سهيل بالروحاء ، فصاح عليه السلام بالناس ، فخرجوا في طلبه ،  
فقال صلى الله عليه وآله : مَنْ وجدته فليقتله ، فوجدوه هو صلى الله عليه وآله فلم يقتله .

قال الواقدي : وأصاب أبو بردة بن نيار أسيراً من المشركين ، يقال له معبد  
ابن وهب ، من بني سعد بن ليث ، فلقبه عمر بن الخطاب وكان عمر يحض على قتل  
الأسرى ، لا يرى أحداً في يديه أسير إلا أمر بقتله ، وذلك قبل أن يتفرق الناس ، فلقبه  
معبد وهو أسير مع أبي بردة ، فقال : أترون يا عمر أنكم قد غلبتم ! كلاً واللات والعزى !  
فقال عمر : عباد الله المسلمين ، أتتكم وأنت أسير في أيدينا ! ثم أخذه من أبي بردة  
فضرب عنقه - ويقال : إن أبا بردة قتله .

قال الواقدي : وروى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، قال :  
قال النبي صلى الله عليه وآله يومئذ : « لا تخبروا سعداً بقتل أخيه فيقتل كل أسير  
في أيديكم » .

قال الواقدي : ولما جرى بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ ، فقال له رسول الله  
صلى الله عليه وآله : كأنه شق عليك أن يؤسروا ! قال : نعم يا رسول الله ، كانت أول

وقعة التقينا فيها بالمشركين فأحببت أن يُذَلَّهم الله ، وأن يشحن فيهم القتل .

قال الواقدي : وكان النضر بن الحارث أسره المقداد يومئذ ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر ، فكان الأُثَيْل عُرِض عليه الأسرى ، فنظر إلى النضر بن الحارث فأبده البصر ، فقال لرجل إلى جنبه : محمد والله قاتلي ! لقد نظر إلى بعينين فيهما الموت ! فقال الذي إلى جنبه : والله ما هذا منك إلا رعب ، فقال النضر لمصعب بن عمير : يا مصعب ، أنت أقرب من هاهنا بي رجاء ؛ كَلِّمْ صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي ، هو والله قاتلي إن لم تفعل . قال مصعب : إنك كنت تقول في كتاب الله كذا كذا ، وتقول في نبيه كذا وكذا ، قال : يا مصعب ؛ فليجعلني كأحد أصحابي . إن قتلوا قتلتي ، وإن من عليهم من علي . قال مصعب : إنك كنت تهذب أصحابه ، قال : أما والله لو أسرتك فريش ما قتلنا أبدا وأنا حي . قال مصعب : والله إني لأراك صادقا ، ولكن لست مثلك قطع الإسلام اليهود .

مركز تحقيق مكتبة البرهان

قال الواقدي : وعرضت الأسرى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فرأى النضر ابن الحارث ، فقال : اضربو عنقه ، فقال المقداد : أسيري يا رسول الله ! فقال اللهم أغن المقداد من فضلك ، قم يا علي فاضرب عنقه ، فقام علي فاضرب عنقه بالسيف صبرا ، وذلك بالأُثَيْل ، فقالت أخته <sup>(١)</sup> :

ياراكبا إن الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ      مِنْ صُبْحِ خَامِسةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ <sup>(٢)</sup>  
بَلَّغْ بِهِ مَيْتًا فَإِنْ تَحْيَاةٌ      مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا الرِّكَابُ تَحْفَقُ  
مَنَى إِلَيْهِ وَعَسْبَةٌ مَسْفُوحَةٌ      جَادَتْ لِمَا تُحِبُّ ، وَآخِرَى تَحْنُقُ

(١) واسمها قتيلة ، ذكرها التبريزي في الحماسة .

(٢) الأبيات في ديوان الحماسة ٣ : ١٧ - بشرح التبريزي



فليسمعن النضر إن ناديتُهُ      إن كان يسمع ميت أو ينطقُ  
 ظَلَّتْ سيوفُ بني أيبة تنوشُهُ      لله أرحامٌ هناك تمزقُ (١)  
 صبراً يقاد إلى المدينة راعماً      رَسَفَ المقيد وهو عانٍ مَوْثَقُ (٢)  
 أمحمدٌ ولأنتَ نَجَلُ نجيبة      في قومها، والفحلُ فحلٌ معرِقُ (٣)  
 ما كان ضرك لو مننتَ ورَبِّماً      منّ الفقى وهو المغيظُ المحنقُ  
 والنضر أقربُ من قتلتي وسيلةً      وأحقهم إن كان عتق يُعتَقُ

قال الواقدي : وروى أن النبي صلى الله عليه وآله لما وصل إليه شعرُهُ هَارِقٌ له ، وقال :  
 « لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته » .

قال الواقدي : ولما أسير سهيل بن عمرو ، قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، انزع  
 نيتيه يدلّع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :  
 « لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً ، ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه » . فقام سهيل بن  
 عمرو بمكة حين جاءه وفاة النبي صلى الله عليه وآله بخطبة أبي بكر بالمدينة ، كأنه كان  
 يسمعها ، فقال عمر حين بلغه كلام سهيل : أشهد أنك رسول الله - يريد قوله صلى الله  
 عليه وآله : « لعله يقوم مقاماً لا تكرهه » .

قال الواقدي : وكان على عليه السلام يحدث ، فيقول : أتى جبريل النبي صلى الله  
 عليه وآله يوم بدر ، فخيرته في الأسرى أن يضرب أعناقهم ، أو يأخذ منهم الفداء ،  
 ويستشهد من المسلمين في قابل عديتهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ، وقال :  
 هذا جبريل يختاركم في الأسرى ، بين أن تضرب أعناقهم أو تؤخذ منهم الفدية ويستشهد

(٢) لم يرد في رواية الحماسة .

(١) الحماسة : « تشقق »

(٣) في الحماسة : « صن كربة » قال في شرحه : « صن نجيبة » أي ولدها . ومعرق : له عرق في

الكرم .



منكم قابلاً عدّتهم . قالوا : بل نأخذ الفدية ونستعين بها ، ويستشهد منا من يدخل الجنة ، فقبل منهم الفداء وقتل من المسلمين قابلاً عدّتهم بأحد .

قلت : لو كان هذا الحديث صحيحاً لما عوتبوا ، فقيل لهم : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثم قال : ﴿ لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ... ﴾ <sup>(٢)</sup> ، لأنه إذا كان خيرهم ، فقد أباحهم أخذ الفداء ، وأخبرهم أنه حسن ، فلا يجوز فيما بعد أن ينكره عليهم ، ويقول إنه قبيح .

قال الواقدي : لما حبس الأسرى وجعل عليهم شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وآله طيمعوا في الحياة ، فقالوا : لو بعتنا إلى أبي بكر ! فإنه أوصل قريش لأرحامنا ! فبعثوا إلى أبي بكر ، فأتاهم فقالوا : يا أبا بكر ، إن فينا الآباء والأبناء والإخوان ، والعُصومة وبنو العم ، وأبعدنا قريب ، كلم صاحبك فليمن علينا ويفادنا ، فقال : نعم إن شاء الله ، لا آلوكم خيراً . ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . قالوا : وابعثوا إلى عمر بن الخطاب ، فإنه من قد علمتم ، ولا يؤمن أن يفسد عليكم لعله يكف عنكم ! فأرسلوا إليه ، فجاءهم فقالوا له مثل ما قالوا لأبي بكر ، فقال : لا آلوكم شراً ! ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فوجد أبا بكر عنده ، والناس حوله ، وأبو بكر يُلَيِّنُهُ وَيُنْشَاهُ ، ويقول : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! قومك فيهم الآباء والأبناء والعُصومة والإخوان وبنو العم ، وأبعدهم عنك قريب ! فامنن عليهم ، من الله عليك ، أوفادهم قوة للمسلمين ، فلعل الله يقبل بقلوبهم إليك ! ثم قام : فتنحى ناحية ، وسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجبه ، فجاء عمر فجلس مجلس أبي بكر ، فقال : يا رسول الله ، هم أعداء الله ، كذبوك



وقاتلوك وأخرجوك ، اضرب رقابهم ، فهم رؤوس الكفر وأئمة الضلالة ، يوطيء الله بهم الإسلام ، ويذل بهم الشرك ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يجبه ، وعاد أبو بكر إلى مقعده الأول ، فقال : بأبي أنت وأمي ! قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنو العم ، وأبعدهم منك قريب ! فامنن عليهم أوفادهم . هم عشيرتك وقومك لا تكن أول من يستأصلهم ، وأن يهديهم الله خير من أن يهلكهم . فسكت صلى الله عليه وآله عنه فلم يرد عليه شيئاً ، وقام ناحية . فقام عمر فجلس مجلسه ، فقال : يا رسول الله ، ما تنتظر بهم ! اضرب أعناقهم ، يوطيء الله بهم الإسلام ، ويذل أهل الشرك ، هم أعداء الله ، كذبوك وأخرجوك يا رسول الله ، اشف صدور المؤمنين ، لو قدرُوا منا على مثل هذا ما أقالونا أبداً . فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجبه ، فقام ناحية ، فجلس وعاد أبو بكر ، فكلّمه مثل كلامه الأول فلم يجبه ، ثم تنحى ، جاء عمر فكلّمه بمثل كلامه الأول فلم يجبه ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل قُبته ، فكث فيها ساعة ، ثم خرج ، والناس يخوضون في شأنهم ، يقول بعضهم : القول ما قال أبو بكر ، وآخرون يقولون : القول ما قال عمر . فلما خرج قال للناس : ماتقولون في صاحبيكم هذين ؟ دعوها فإنّ لهما مثلاً ، مثل أبي بكر في الملائكة كيكايل ينزل برضا الله وعفوه على عباده ، ومثله في الأنبياء كمثل إبراهيم كان ألين على قومه من العسل ، أوقد له قومه النار فطرحوه فيها ، فما زاد على أن قال : ﴿ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَقَلَّا تَعْتَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ بَرَّحِيمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> وكعيسى إذ يقول : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ <sup>(٣)</sup> . ومثل عمر في الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله ، ومثله في الأنبياء كمثل نوح ، كان أشدّ على قومه من الحجارة ، إذ يقول : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى

(١) سورة الأنبياء ٦٧ .

(٢) سورة إبراهيم ١٤ .

(٣) سورة المائدة ١١٨ .



الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١﴾ فدعا عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا ، ومثل موسى إذ يقول : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٢) وإن بكم عيلة ، فلا يفوتكم رجل من هؤلاء إلا بقداء أو ضربة عنق . فقال عبد الله بن مسعود : يا رسول الله ، ألا سهيل بن بيضاء .

قال الواقدي : هكذا روى ابن أبي حبيبة ، وهذا وهم ، سهيل بن بيضاء مسلم من مهاجرة الحبشة ، وشهد بدرًا ، وإنما هو أخ له . ويقال له سهيل . قال : قال عبد الله بن مسعود : فإني رأيتُه يُظهر الإسلام بمكة . قال : فسكت النبي صلى الله عليه وآله ، قال عبد الله : فما مرت على ساعة قط كانت أشد على من تلك الساعة ، جعلت أنظر إلى السماء أتخوف أن تسقط على الحجارة لتقدمي بين يدي الله ورسوله بالكلام ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه ، فقال : « إِيَاسُ سُهَيْلِ بْنِ بِيضَاء » ، قال : فما مرت على ساعة أقر لعيني منها ، إذ قالها رسول الله صلى الله عليه وآله . ثم قال : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَشْدُدَ الْقُبَابَ حَتَّى يَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَإِنَّهُ لَيُبَايِنُ الْقَلْبَ حَتَّى يَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ الزَّبَدِ » ، فقبل القداء ثم قال بعد : « لَوْ نَزَلَ عَذَابُ يَوْمِ بَدْرٍ لَمَا نَجَا مِنْهُ إِلَّا عَمْرٌ » ، كان يقول : اقتل ولا تأخذ القداء . وكان سعد بن معاذ يقول : اقتل ولا تأخذ القداء .

قلت : عندي في هذا كلام ، أما في أصل الحديث فلان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ، ومثله كعب بن كعب : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، وهذه الآية من المائدة والمائدة أنزلت في آخر عمره ، ولم ينزل بعدها إلا سورة براءة ، وبدر كانت في السنة الثانية من الهجرة ، فكيف هذا ! اللهم إلا أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلهَيْنِ ... ﴾ الآيات ، قد كانت أنزلت إما بمكة أو بالمدينة قبل بدر ،



فلما جمع عثمان القرآن ضمها إلى سورة المائدة ، فلعله قد كان ذلك فينبغي أن ننظر في هذا ، فهو مشكل !

وأما حديث سهيل بن بيضاء فإنه يؤهم مذهب موسى بن عمران في أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحكم في الوقائع بما يشاء ، لأنه قيل له : احكم بما تشاء ؛ فإنك لا تحكم إلا بالحق ، وهو مذهب متروك إلا أنه يمكن أن يقال : لعله لما سكت صلى الله عليه وآله عند ما قال ابن مسعود ذلك القول ، نزل عليه في تلك السكينة الوحي وقيل له : إلا سهيل ابن بيضاء ، فقال حينئذ : « إلا سهيل بن بيضاء » ، كما أوحى إليه .

وأما الحديث الذي فيه : « لو نزل عذاب لما نجا منه إلا عمر » ، فالواقدي وغيره من المحدثين اتفقوا على أن سعد بن معاذ كان يقول مثل ما قاله عمر ؛ بل هو المبتدئ بذلك الرأي ، ورسول الله صلى الله عليه وآله بعد في العرش ، والمشركون لم ينفض جمعهم كل ذلك الانقضاض ؛ فكيف خص عمر بالنجاة وحده دون سعد ! ويمكن أن يقال : إنه كان شديد التأليب والتحريض عليهم ، وكثير الإلحاح على رسول الله صلى الله عليه وآله في أمرهم ، فنسب ذلك الرأي إليه لاشتهاره به ، وإن شركه فيه غيره .

\*\*\*

قال الواقدي : وحدثنى معمر عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : « لو كان مطعم بن عدي حياً لو هبت له هواء النتنى »<sup>(١)</sup> . قال : وكانت لمطعم بن عدي عند النبي صلى الله عليه وآله يد أجاره حين رجع من الطائف .

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٤ : ١٢٤ : « يعني أسارى بدر » ، واحد هم تن ؛ كرمي وزمي ، سمعهم تنى لكفرهم ؛ كدوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال :  
 آمن رسول الله صلى الله عليه وآله من الأسرى يوم بدر أبا عزة عمرو بن عبد الله بن  
 عمير الجمحي ، وكان شاعرا ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال له : إن لي خمس  
 بنات ، ليس لمن شيء ، فتصدق بي عليهن يا محمد ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله  
 ذلك . وقال أبو عزة : أعطيك موثقا ألا أقاتلك ، ولا أكره عليك أبدا . فأرسله رسول الله  
 صلى الله عليه وآله ، فلما خرجت قريش إلى أحد ، جاء صفوان بن أمية ، فقال : اخرج  
 معنا ، قال : إني قد أعطيت محمدا موثقا ألا أقاتله ، ولا أكره عليه أبدا . وقد من علي  
 ولم يمن علي غيري حتى قتله أو أخذ منه الفداء . فضمن له صفوان أن يجعل بناته مع بناته  
 إن قتل ؛ وإن عاش أعطاه مالا كثيرا لا يأكله عياله . فخرج أبو عزة يدعو العرب  
 ومحشرها ، ثم خرج مع قريش يوم أحد ، فأسير ولم يؤسر غيره من قريش ، فقال :  
 يا محمد ، إنما خرجت كرها ولي بنات ، فامنن علي . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :  
 « أين ما أعطيتني من العهد والميثاق ! لا والله لا تمسح عارضيك بمسكة تقول : سخرت  
 بمحمد صريتين »<sup>(١)</sup> . فقتله .

قال : وروى سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ : « إن  
 المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، يا عاصم بن ثابت ، قدمه فاضرب عنقه » ، فقدّمه  
 عاصم فضرب عنقه .

قال الواقدي : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر بالقلب أن تغور<sup>(٢)</sup> ثم  
 أمر بالقتل ، فطرحوا فيها كلهم إلا أمية بن خلف فإنه كان مسيما<sup>(٣)</sup> انتفخ من يومه . فلما  
 أرادوا أن يلقوه تزايل<sup>(٤)</sup> له ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : اتركوه .

(٢) تغور : تعلق بالتراب .

(٤) مغازي الواقدي ١٠٦

(١) مغازي الواقدي ١٠٥

(١) المسنن : السنين خلقة .



وقال ابن إسحاق : انفتح أمية بن خلف في درعه حتى ملأها ؛ فلما ذهبوا يجر كونه  
تزايل ، فأقروا وألقوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عتبة بن ربيعة يجر إلى القليب -  
وكان رجلاً جسيماً ، وفي وجهه أثر الجذري - فتغير وجه ابنه أبي حذيفة بن عتبة ، فقال له :  
النبي صلى الله عليه وآله : مالك ! كأنك ساءك <sup>(٢)</sup> ما أصاب أباك ! قال : لا والله يا رسول الله ،  
ولكنني رأيت لأبي عقلاً وشرفاً ؛ كنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما أخطأه  
ذلك ، ورأيت ما أصابه غاظني . فقال أبو بكر : كان والله يا رسول الله أبقى في العشيرة من  
غيره ، ولقد كان كارهاً لوجهه ، ولكن الحين ومصارع السوء . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله  
عليه وآله : « الحمد لله الذي جعل خد أبي جهل الأسفل وصرعه وشفاناً منه » . فلما توافوا في  
القليب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطوف عليهم وهم مصرعون ، جعل أبو بكر  
يخبرهم رجلاً رجلاً ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحمد الله ويشكره ويقول : الحمد لله الذي  
أنجز لي ما وعدني ! فقد وعدني إحدى الطائفتين ، ثم وقف على أهل القليب فناداهم رجلاً  
رجلاً : « يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام !  
هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني بي حقاً ! بئس القوم كنتم لنبيكم !  
كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ،  
فقالوا : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد ماتوا ! فقال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » <sup>(٣)</sup> .  
وقال ابن إسحاق في كتاب « المغازي » : إن عائشة كانت تروي هذا الخبر ، وتقول :  
قال الناس يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « لقد سمعوا ما قلت لهم ،  
وليس كذلك ، إنما قال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » <sup>(٤)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٩ (٢) ابن هشام : « قد دخلك من أمر أهلك شيء »

(٣) مغازي الواقدي ١٠٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٢

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لما ناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله قال له المسلمون : يا رسول الله ؛ أتنادى قوما قد أمتنوا ! فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني » .

\*\*\*

قلت : لقائل أن يقول لعائشة : إذا جاز أن يعلموا وهم موتى ، جاز أن يسمعوا وهم موتى ! فإن قالت : ما أخبرت أن يعلموا وهم موتى ، ولكن تعود الأرواح إلى أبدانهم ، وهي في القليب ، ويرؤن العذاب ، فيعلمون أن ما وعدهم به الرسول حق ! قيل لها : ولا مانع من أن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهي في القليب ؛ فيسمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فإذا لا وجه لإنكارها ما يقوله الناس !

ويمكن أن ينتصر لقول عائشة على وجه حكى ، وهو أن الأنفس بعد المفارقة تعلم ولا تسمع ؛ لأن الإحساس إنما يكون بواسطة الآلة ، وبعد الموت تفقد الآلة ؛ فأما العلم فإنه لا يحتاج إلى الآلة ؛ لأن النفس تعلم بجوهرها فقط .

قال الواقدي : وكان انهزام قريش وتوليها حين زالت الشمس ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله بيدرا ، وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها وأمر نقر من أصحابه أن يعينوه ، فصلى العصر بيدرا ثم راح فمر بالأنثيل قبل غروب الشمس فنزل به ، وبات به وبأصحابه جراح ، وليست بالكثيرة ، وقال : من رجل يحفظنا الليلة ؟ فأسكت القوم ، فقام رجل فقال : من أنت ؟ قال : ذكوان بن عبد قيس ، قال : اجلس ، ثم أعاد القول الثانية ، فقام رجل ، فقال : من أنت ؟ قال : ابن عبد القيس ، فقال : اجلس ؛ ثم مكث ساعة وأعاد القول ؛ فقام رجل فقال : من أنت ؟ قال : أبو سبيع<sup>(٢)</sup> ، فسكت ثم

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

(٢) في الأصول : « سبيع » ، وصوابه ما في الواقدي ؛ وانظر ما في الاستيعاب .



مكث ساعة ، وقال : قوموا ثلاثكم . فقام ذكوان بن عبد قيس وحده ، فقال له :  
وأي أصحابك ؟ قال : يا رسول الله أنا الذي كنت أجيبك الليلة ، فقال رسول الله صلى  
الله عليه وآله : حفظك الله ! فبات ذكوان يحرس المسلمين تلك الليلة ، حتى كان آخر  
الليل فارتحل <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى العصر بالأثيل ، فلما  
صلى ركعة تبسم ، فلما سلم سئل عن تبسمه فقال : مرتبي ميكائيل وعلى جناحه النقع ، فتبسم  
إلى ، وقال : إني كنت في طلب القوم ، وأتاني جبريل على فرس أتى معقود الناصية ،  
قد عمّ ثنيتيه الغبار فقال : يا محمد إن ربي بعثنى إليك ، وأمرني ألا أفارقك حتى  
ترضى ، فهل رضيت ؟ فقلت : نعم <sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالأسرى ، حتى إذا كان بعرق  
الظبية أمر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أبي  
عمر بن أمية بن عبد شمس وكان أسره عبد الله بن سلمة العجلاني ، فجعل عقبة يقول :  
يا ويلي ! علام أقتل يا معشر قریش من بين من هاهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه  
وآله : لعداوتك لله ولرسوله ، فقال : يا محمد ، منك أفضل ، فاجعاني كرجل من قومي إن قتلتهم  
قتلتني ، وإن مننت عليهم مننت علي ، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم ، يا محمد ،  
من للصبية ؟ فقال : النار ، قدمه يا عاصم ، فاضرب عنقه ، فقدمه عاصم فاضرب عنقه ،  
فقال النبي صلى الله عليه وآله : بش الرجل كنت والله ما علمت كافرين بالله وبرسوله ،  
وبكتابه مؤذياً لنبيه ، فأحمد الله الذي قتلك وأقر عيني منك <sup>(٣)</sup> .

قال محمد بن إسحاق : وروى عكرمة مولى ابن عباس ، عن أبي رافع ، قال : كنت  
غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد فشا فينا أهل البيت ، فأسلم العباس ،

(٢) مغازي الواقدي ١٠٧

(١) مغازي الواقدي ١٠٧

(٣) مغازي الواقدي ١٠٧ ، ١٠٨



وأسلمت أم الفضل زوجته ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، فكان يكرم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثير متفرق في قومه ؛ وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً ، فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبتة (١) الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً .

قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل القِداح (٢) ، أنحتما في حُجرة زمزم ، فوالله إنني لجالس أنحت قِداحي ، وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرتنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجله بشرّ ، حتى جالس إلى حُطب (٣) الحِجْرَة ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قال للناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم - وكان شهيد مع المشركين بدرا - فقال أبو لهب : هلمّ يا ابن أخي فعندك والله الخبر ، قال : تجلس إليه والناس قيام حوله ، فقال : يا ابن أخي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : لا شيء ، والله إن هو إلا أن لقيناهم فنحنهم أكتافنا ، فقتلونا كيف شاءوا ، وأسرونا كيف شاءوا ، وإيم الله مع ذلك مالت الناس ، آتينا رجلاً بيضا على خيل بُلُق بين السماء والأرض . لا والله ما تبقى (٤) شيئاً ، ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت حُطْب الحِجْرَة ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ، قال : (٥) فرفع أبو لهب يده ، فضرب بي الأرض ثم برك على يضر بني (٥) ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود من حُجْد الحِجْرَة ، فأخذته فضربت به على (٦) رأسه ، فشجته شجرة منكرة ، وقالت : استضعفته إذ غاب

(١) كبتة الله : ذله وأخزاه .

(٢) حُطْب الحِجْرَة : طرفها .

(٣) ابن هشام : الأقباح .

(٤) ابن هشام : « ما تبق شيئاً » ، أي ما تبقى شيئاً .

(٥-٥) العبارة في ابن هشام : « فرفع أبو لهب يده ، فضرب بها وجهي ضربة شديدة » ، قال : وثأورته ، فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم برك على يضر بني . وثأورته ، أي وثبت إليه .

(٦) ابن هشام : « فضربه به ضربة قلفت في رأسه شجرة منكرة » ، وقلفت ، أي شقت .



سيده ، فقام موليا ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال ، حتى رماه الله بالعدسة (١) فقتلته (٢) .

ولقد تركه ابناء ليلتين أو ثلاثا وما يدفناه ، حتى أنن في بيته - وكانت قريش تتقى العدسة وعدواها ، كما يتقى الناس الطاعون - حتى قال لها رجل من قريش : ويحك ! ألا تستحيان أن أبا كما قد أنن في بيته لا تغيبانه ! قالا : إنا نخشى هذه القرحة ، قال : فانطلقا وأنا معكما ، فوالله ما غسلوه إلا قذفا عليه بالماء من بعيد ، ما يمسنه ؛ وأخرجوه فلقوه بأعلى مكة إلى كنان هناك ، وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه .

قال محمد بن إسحاق : فحضر العباس يدرا ، فأسير فيمن أسير ، وكان الذي أسره أبو اليسر كعب بن عمرو وأحد بني سلمة ، فلما أمسى القوم والأسارى محبوسون في الوثاق ، وبات رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ساهرا ، فقال له أصحابه : مالك لا تنام يارسول الله ؟ قال : « سمعت أبا العباس من وثاقه » ، فقاموا إليه فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله (٣) .

قال : وروى ابن عباس رحمه الله ، قال : كان أبو اليسر رجلاً مجموعاً ، وكان العباس طويلاً جسيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أبا اليسر ، كيف أسرْتَ العباس ؟ قال : يارسول الله ، لقد أعانني عليه رجل مارأيت من قبل ، من هيئته كذا ، قال صلى الله عليه وآله : « لقد أعانك عليه ملك كريم » .

قال محمد بن إسحاق : قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله في أول الواقعة ، فنهى أن يقتل أحد من بني هاشم ، قال : حدثني بذلك الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة حليف بني زهرة ، قال : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عباس رحمه الله ،

(١) العدسة ، قال أبو ذر الحثي : « هي قرحة فائلة كالطاعون ، وقد عدس الرجل ، إذا أصابه ذلك » .

(٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، ٢٩١

(٣) تاريخ الطبري ٢ : ٤٦٢ ( طبعة المعارف ) ، والأغانى ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ( طبعة دار الكتب )



قال : وقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه : إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لنا بقتلهم ، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مستكرها ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس ! والله لئن لقيته لألحنه <sup>(١)</sup> السيف ، فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص - يقول عمر : والله إنه لأوّل يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي حفص - أضرَبُ وجهُ عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ، قال : فكان أبو حذيفة يقول : والله ما أنا بأمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً لهذا إلا أن يكفرها الله عني بشهادة ، فقتل يوم النجاة شهيدا <sup>(٢)</sup> .

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأسارى ، غلظ عمر عليهم غلظة شديدة ، فقال : يا رسول الله أطعني فيما أشير به عليك ، فإني لا آلوك نصحاً ، قدّم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك ، وقدّم عقيلاً إلى عليّ أخيه يضرب عنقه ، وقدّم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله ، قال : فكروه رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ولم يعجبه .

قال محمد بن إسحاق : فلما قدم بالأسرى إلى المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

(١) لألحنه ، أي لأطعن لحنه بالسيف ، ولأخاطبته ، وقال ابن هشام : لألحنه بالسيف ، أي لأضربه

به في وجهه .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٤٥٠ طبعة المعارف ، وسيرة ابن هشام



أفد نفسك يا عباس وابني أخويك عَقِيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحليفك عُقَيْبَة بن عمرو ، فإنك ذو مال ، فقال العباس : يا رسول الله ، إني كفت مسلماً ، ولكن القوم استكروهوني ، فقال صلى الله عليه وآله : الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما قلت حقاً فإن الله يجزيك به ، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافتد نفسك ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ منه عشرين أوقية من ذهب أصابها معه حين أسير ، فقال العباس : يا رسول الله ، احسبها لي من فدائي ، فقال صلى الله عليه وآله : ذاك شيء أعطانا الله منك ، فقال : يا رسول الله ، فإنه ليس لي مال ، قال : فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند أم الفضل بنت الحارث ، وليس معك أحد ، ثم قلت : إن أصبت في سفرى هذا فلا فضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولعظم كذا وكذا ! فقال العباس : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، ما علم بهذا أحدٌ غيري وغيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله ، ثم فدى نفسه وابني أخويه وحليفه .

\*\*\*

قال الواقدي : قدم رسول الله صلى الله عليه وآله من الأثيل زيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة يبشران الناس بالمدينة فجاء يوم الأحد في الضحى ، وفارق عبد الله زيدا بالعقيق ، فجعل عبد الله ينادي عوالي المدينة : يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابناربيعة ، وابن الحجاج ، وأبو جهل ، وزمعة بن الأسود ، وأمّية بن خلف ، وأسير سهيل بن عمرو ذو الأنياب ؛ في أسرى كثير . قال عاصم بن عدي : فقصت إليه فنحوته ، فقلت : أحق ما تقول يا ابن رواحة ؟ قال : إي والله ، وغداً يقدم رسول الله إن شاء الله ، ومعه الأسرى مقرنين ، ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يبشرهم ، داراً داراً ، والصبيان يشتدون معه ، ويقولون : قتل أبو جهل الفاسق ، حتى انتهوا إلى

دُور بنى أمية بن زيد ، وقدم زيد بن حارثة على ناقة النبي صلى الله عليه وآله القصواء ،  
يُبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصطفى صاحب على راحلته : قَتَلَ عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا  
الحجاج وأبو جهل ، وأبو البختري وزمعة بن الأسود وأمية بن خلف ، وأسير سهيل بن  
عمر وذو الأنيا ب في أسرى كثيرة ، فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ، ويقولون :  
ما جاء زيد إلا قلاً ، حتى غاظ المسلمين ذلك ، وخافوا ، قال : وكان قدوم زيد حين سوتوا  
على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله التراب بالقيع ، فقال رجل من المنافقين  
لأسامة بن زيد : قتل أصحابكم ومن معه ، وقال رجل من المنافقين لأبي ألبابة بن عبد المنذر :  
قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون معه أبداً ، وقد قتل عتبة أصحابكم ، وقتل محمد ، وهذه  
ناقته نعرفها ، وهذا زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب ، وقد جاء قلاً ، فقال  
أبو ألبابة : كذب الله قولك ، وقالت يهود : ما جاء زيد إلا قلاً . قال أسامة بن زيد :  
جئت حتى خلوت بأبي ، فقلت : يا أباي ، أحق ما تقول ؟ فقال إبي والله حقا يا بني ،  
فقويت نفسي ، فرجعت إلى ذلك المنافق ، فقلت : أنت أترجف برسول الله وبالمسلمين !  
لمقدمك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قدم ، فليضربن عنقك ، فقال :  
يا أبا محمد ، إنما هو شيء سمعت الناس يقولونه .

قال الواقدي : فقدم بالأسرى وعليهم شُقران وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين  
أحصوا ، وهم سبعون في الأصل ، مجمع عليه لا شك فيه ؛ إلا أنهم لم يخص سائرهم ، ولقي الناس  
رسول الله صلى الله عليه وآله بالزُّوحاء يهنئونه بفتح الله عليه ، فلقى وجوه الخرج ،  
فقال سلامة بن سلامة بن وقش : ما الذي تهنئونه ؟ فوالله ما قتلنا إلا عجايز صُلعا ! فتبسم النبي  
صلى الله عليه وآله فقال : يا بن أخي ، أولئك الملائكة ، لو رأيتمهم لهبتهم ، ووأمروك لأطعتمهم ،  
ولو رأيتم فعالك مع فعالهم لاحتقرتها ! وبئس القوم كانوا على ذلك لنيبهم ! فقال سلامة :  
أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، إنك يا رسول الله لم تزل عني معرضاً منذ كنا بالزُّوحاء



في بدأتنا ، فقال صلى الله عليه وآله : أما ما قلت للأعرابي : وقعت على ناقتك فهي حبل منسك ، ففحشت وقات ما لا علم لك به ، وأما ما قلت في القوم ؛ فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تزهد بها ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ممذرته ، وكان من عليه أصحابه .

قال الواقدي : فرؤي الزهري ، قال : لقي أبو هند البياضي مولى فروة بن عمرو رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه حميت مملوءة حبيسا<sup>(١)</sup> أهداه له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنما أبو هند رجل من الأنصار فأنكحوه وأنكحوا إليه » .

قال الواقدي : ولقيه أسيد بن حضير ، فقال : يا رسول الله ، الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ، ما كان تخافني عن بدر وأنا أظن بك أنك تاتي عدوا ، ولكنني ظننت أنها العير ، ولو ظننت أنه عدو لما تخلفت ، فقال رسول الله : صدقت .

قال : ولقيه عبد الله ابن قيس بثربان ، فقال : يا رسول الله الحمد لله على سلامتك وظفرك ، كنت يا رسول الله ليالي خرجت مورودا - أي محموما - فلم تفارقني حتى كان بالأمس ، فأقبلت إليك ، فقال : أجرك الله .

قال الواقدي : وكان سهيل بن عمرو لما كان بتنوكة بين السقيا وملل ، كان مع مالك ابن الدخشم الذي أسره ، فقال له : خل سبيلي للغائط ، فقام معه ، فقال سهيل : إنني أحشم فاستأخر عني ، فاستأخر عنه ، ففضى سهيل على وجهه ، انتزع يده من القران ، ومضى ، فلما أبطأ سهيل على مالك بن الدخشم ، أقبل فصاح في الناس ، فخرجوا في طلبه ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله في طلبه بنفسه ، وقال : من وجدته فليقتله ، فوجده رسول الله

(١) الحميت : الزق يجعل فيه السن والعل والزيت . والحيس : تمر يخلط بسن وأقط فيعجن وبذلك شديدا حتى يخرج ، ثم يندر فواء ، وقد يجعل فيه سويق .

صلى الله عليه وآله بنفسه أخفى نفسه بين شجرات ، فأمر به فربطت يده إلى عنقه ، ثم قرنه إلى راحلته ، فلم يركب سهيل خطوة حتى قدم المدينة<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : حدثني إسحاق بن حازم بن عبد الله بن مقسم ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته القصوى ، فأجلسه بين يديه وسهيل بن عمرو محبوب ، ويده إلى عنقه ، فلما نظر إلى سهيل قالوا : يا رسول الله ، أبو يزيد ! قال : نعم ، هذا الذي كان يطعم الخبز بمكة .

\*\*\*

وقال البلاذري : قال أسامة - وهو يومئذ غلام - يا رسول الله ، هذا الذي كان يطعم الناس بمكة السريد - يعني الثريد<sup>(٢)</sup> .

قلت : هذه لغة مقلوبة ، لأن الألف يدل السين ثاء ، وهذا أبدل الثاء سينا ، ومن الناس من يرويها : « هذا الذي كان يطعم الناس بمكة الشريد » بالشين المعجمة .

قال البلاذري : وحدثني مذهب بن عبد الله الزبيري ، عن أشياخه أن أسامة رأى سهيلاً يومئذ ، فقال : يا رسول الله هذا الذي كان يطعم السريد بمكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « هذا أبو يزيد الذي يطعم الطعام ، ولكنه سعى في إطفاء نور الله ، فأمكن الله منه » .

قال : وفيه يقول أمية بن أبي الصلت الثقي :

يا أبا يزيد رأيت سيبك واسماً وساء جودك تسهل فتمطر

(١) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٣ ( طبعة المعارف ) .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٤ .



قال : وفيه يقول مالك بن الدخشم<sup>(١)</sup> ، وهو الذي أسره يوم بدر :

أسرتُ سهيلاً فلا أبقي به غيرَه من جميع الأمم  
وخندف تعلم أن الفتى سهيلاً فتأها إذا تظلم  
ضربت بذي الشفر حتى اثني وأكرهت نفسي على ذي العلم

أي على ذي العلم بسكون اللام ، ولكنه حرّكه للضرورة .

وكان سهيل أعلم مشقوق الشفة العليا ، فكانت أنيابه بادية ، فاذلك قالوا : ذوالأنياب .

\*\*\*

قال الواقدي : ولما قدم بالأسرى كانت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وآله عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب ، قالت سودة : فأتينا فقبل لنا : هؤلاء الأسرى قد أتى بهم ، فخرجت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، وإذا أبو يزيد مجموعة يدها إلى عنقه في ناحية البيت ، فوالله ما ملكت نفسي حين رأيته مجموعة يدها إلى عنقه أن قلت : أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ! ألا تم كراما ، فوالله ما راعني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وآله من البيت : « يا سودة ، أعل الله وعلى رسوله » ، فقلت : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق إني ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يدها إلى عنقه أن قلت ما قلت .

\*\*\*

قال الواقدي : وحدثني خالد بن الياس ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي جهم ، قال : دخل يومئذ خالد بن هشام بن المغيرة وأمّية بن أبي حذيفة منزل أم سلمة وأم سلمة في مناحة آل عفراء ، فقيل لها : أتى بالأسرى ، فخرجت فدخلت عليهم فلم تكلمهم حتى

(١) البلاذري : « مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضعة بن غنم - وهو قوقل - بن عوف ابن الحزرج .

رجعت ، فتجد رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت عائشة ، فقالت : يا رسول الله ، إن بني عمي طلبوا أن يدخل بهم عليّ فأضيفهم ، وأدهن رءوسهم وألم من شعهم ، ولم أحب أن أفعل شيئاً من ذلك حتى استأمرَكَ ، فقال صلى الله عليه وآله : « لست أكره شيئاً من ذلك ، فافعلي من هذا ما بدا لك » . قال الواقدي : وحدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، قال : قال أبو العاص بن الربيع : كنت مستأصراً مع رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً ، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز ، وأكلوا التمر ، والخبز عندهم قليل والتمر زادهم ، حتى إن الرجل لتقع في يده الكسرة فيدفعها إليّ ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد . قال : وكانوا يحملوننا ويمشون .

وقال محمد بن إسحاق في كتابه : كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن رسول الله صلى الله عليه وآله زوج ابنته زينب ، وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة ، وكان ابناً لهالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكان الربيع بن عبد المزى بعل هذه ، فكانت خديجة خالته ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يزوجه زينب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخالف خديجة ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي ، فزوجه إياها ، فكان أبو العاص من خديجة بمنزلة ولدها ، فلما أكرم الله رسوله بنبوته آمنت به خديجة وبناته كلهن وصدقته وشهدن أن ما جاء به حق ، ودين بدينه ، وثبت أبو العاص على شركه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد زوج عتبة بن أبي لهب إحدى ابنتيه رقية أو أم كلثوم ، وذلك من قبل أن ينزل عليه ، فلما أنزل عليه الوحي ونادى قومه بأمر الله باعدوه ، فقال بعضهم لبعض : إنكم قد فرغتم محمداً من همه ، أخذتم عنه بناته وأخرجتموهن من عياله ، فردوا عليه بناته ، فاشغلوه بهن ، فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا : فارق صاحبك بنت محمد ، ونحن نزوجك أياً



امرأة شئت من قریش ، فقال : لاها الله ! إذن لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن ألى بها امرأة من قریش ! فكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكره يُثنى عليه خيرا فى صهره ، ثم مشوا إلى الفاسق عتبة بن أبي لهب ، فقالوا له : طلق بنت محمد ، ونحن نكحك أى امرأة شئت من قریش ، فقال : إن أنتم زوجتمونى ابنة أبان بن سعيد ابن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتهما ، فزوجوه ابنة سعيد بن العاص ، ففارقها ولم يكن دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له ثم خلف عليها عثمان ابن عفان بعده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله مغلوبا على أمره بمكة لا يُحل ولا يُحرم ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب وأبي العاص ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يقدر وهو بمكة أن يفرّق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شرّ كه ، حتى جبر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وبقيت زينب بمكة مع أبي العاص ، فلما سارت قریش إلى بدر سار أبو العاص معهم ، فأصيب فى الأسرى يوم بدر ، فأتى به النبی صلى الله عليه وآله ، فكان عنده مع الأسارى ، فلما بعث أهل مكة فى فداء أسرارهم ، بعثت زينب فى فداء أبي العاص بعلمها بمال ، وكان فيما بعثت به قلادة كانت خديجة أمها أدخلها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله رقى لها رقّة شديدة ، وقال للمسلمين : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها ما بعثت به من الفداء فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله ؛ نفديك بأنفسنا وأموالنا فردّوا عليها ما بعثت به ، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء (١) .

\*\*\*

قلت : قرأت على النقيب أبي جعفر محيى بن أبي زيد البصرى العلوى رحمه الله هذا الخبر ، فقال : أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد ! أما كان يقتضى التكریم والإحسان

أن يطيب قلب فاطمة بفدك ، ويستوهب لها من المسلمين ، أتقصر منزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله عن منزلة زينب أختها وهي سيدة نساء العالمين ! هذا إذا لم يثبت لها حق ، لا بالنحلة ولا بالإرث ، فقلت له : فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقاً من حقوق المسلمين ، فلم يجز له أن يأخذ منهم ، فقال : وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقاً من حقوق المسلمين ، وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله منهم ، فقلت : رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الشريعة ، والحكم حكاه ، وليس أبو بكر كذلك ، فقال : ما قلت هلاً أخذ أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلى فاطمة ، وإنما قلت : هلاً استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها كما استوهب رسول الله صلى الله عليه وآله من المسلمين فداء أبي العاص ! أترأه لو قال : هذه بنت نبيكم قد حضرت تطلب هذه النخلات ، أفنطيطون عنها نفسا ، أكانوا منعوها ذلك ! فقلت له : قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو هذا ، قال : إسماعيل لم يأتي بحسن في شرع التكرم ، وإن كان ما أتياه حسناً في الدين .

\*\*\*

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لما أطلق سبيل أبي العاص أخذ عليه فيما نرى أو شرط عليه في إطلاقه ، أو أن أبا العاص وعد رسول الله صلى الله عليه وآله ابتداء بأن يحمل زينب إليه إلى المدينة ، ولم يظهر ذلك من أبي العاص ؛ ولا من رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنه لما خلى سبيله ، وخرج إلى مكة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعده زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ، فقال لهما : كونا بمكان كذا<sup>(١)</sup> حتى تمر بكما زينب فتصحبانها حتى تأتيا بي بها ، فخرجا نحو مكة ، وذلك بعد بدر بشهر

(١) سيرة ابن هشام : « كونا بطن بأجج » ، وأجج : اسم مكانين : أحدهما على ثمانية أميال من مكة ، والثانيهما أبعد منه ، وفيه بني مسجد الشجرة ، وبينه وبين مسجد النعم ميلان .



[أو شيعه] <sup>(١)</sup> فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللاحوق بأبيها ، فأخذت تتجهز <sup>(٢)</sup> .

قال محمد بن إسحاق : فحدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهز لللاحوق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : ألم يبلغني يا بنت محمد أنك تريدن اللاحوق بأبيك ، فقلت : ما أردت ذلك ، فقالت أي بنت عم لا تفعلين إن كانت لك حاجة في متاع أو فيا يرفق بك في سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك ، فلا تضطني <sup>(٣)</sup> مني ، فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال ، قالت : وإيم الله ، إني لأظنها حينئذ صادقة ، ما أظنها قالت حينئذ إلا لتفعل ، ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك .  
قالت : وتجهزت حتى فرغت من جهازي ، فحملني أخو بعلي وهو كنانة بن الربيع .

قال محمد بن إسحاق : قدم لها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكفاته ، وخرج بها نهراً يقود بعيرها ، وهي في هودج لها ، وتحدث بذلك الرجال من قريش والنساء ، وتلاومت في ذلك ، وأشفقت أن تخرج ابنة محمد من بينهم على تلك الحال ، فخرجوا في طلبها سراعاً حتى أدركوها بنى طوى ؛ فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، ونافع بن عبد القيس الفهري ، فرواها هبار بالرمح وهي في الهودج ، وكانت حاملاً ، فلما رجعت طرحت ما في بطنها ، وقد كانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج ، فلذلك أباح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة دم هبار ابن الأسود <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

(١) من سيرة ابن هشام . وشيعه أي قريب منه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٣) تضطني ، أي تستحي ، ومنه قول الطرماح :

إذا ذكرت مساماة والده اضطاني ولا يضطني من شتم أهل الفضائل

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

قلت : وهذا الخبر أيضا قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله ، فقال : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب فألقت ذا بطنها ، فظهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها . فقلت : أروى عنك ما يقوله قوم أن فاطمة روّعت فألقت المحسن<sup>(١)</sup> ، فقال : لا ترويه عني ولا ترويه عني بطلانه ، فإني متوقف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه .

قال الواقدي : فبرك نحوها كنانة بن الربيع ، ونثله<sup>(٢)</sup> كنانته بين يديه ، ثم أخذ منها سهماً فوضعه في كبد قوسه ، وقال : أحلف بالله لا يدنو اليوم منها رجل إلا وضعت فيه سهماً ، فتكرر<sup>(٣)</sup> الناس عنه .

قال : وجاء أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش ، فقال : أيها الرجل ، اكفف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف . فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تحسن ولم تصب ، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية جهارا ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد أبيها ، فيظن الناس إذا أنت خرجت بابتنته إليه جهارا أن ذلك عن ذل أصابنا ، وأن ذلك منا وهن ، ولعمري مالنا في حبسها عن أبيها من حاجة ، وما فيها من ثار ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هذأت الأصوات ، وتحدث الناس بردها سلاً خفياً ، فألحقها بأبيها . فردها كنانة بن الربيع إلى مكة ، فأقامت بها ليالى حتى إذا هذأ الصوت عنها حملها على بعيرها ، وخرج بها ليلا حتى سلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمها بها على رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

قال محمد بن إسحاق : فروى سليمان بن يسار ، عن أبي إسحاق الدؤسي ، عن أبي

(٢) ثل كنانته : أخرج ما فيها .

(١) ١ : « عناً » .

(٣) تكرر عنه ، أي ترجع ، وفي ابن هشام : « فتكرر الناس عنه » .

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٩



هريرة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية أنا فيها إلى غير لقريش ، فيها متاع لهم وناس منهم ، فقال : إن ظفرتم بهبار بن الأسود ونافع بن عبد قيس ، فحرقوها بالنار ، حتى إذا كانت الغد بعث فقال لنا : « إني كنت قد أمرتكم بتحريق الرجلين إن أخذتموها ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله تعالى ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما ولا تحرقوهما » (١) .

قلت : لقائل من الخبر أن يقول : أليس هذا نسخ الشيء قبل تقضي (٢) وقت فعله ، وأهل العدل لا يحيزون ذلك ! وهذا السؤال مشكل ، ولا جواب عنه إلا بدفع الخبر إما بتضعيف أحد من رواه ، أو بإبطال الاحتجاج به لكونه خبر واحد ، أو بوجه آخر ؛ وهو أن نجيز للنبي الاجتهاد في الأحكام الشرعية كما يذهب إليه كثير من شيوختنا ، وهو مذهب القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، ومثل هذا الخبر حديث براءة وإنفاذها مع أبي بكر ، وبعث على عليه السلام ، فأخذها منه في الطريق ، وقرأها على أهل مكة بعد أن كان أبو بكر هو المأمور بقراءتها عليهم .

فأما البلاذري فإنه روى أن هبار بن الأسود كان ممن عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حين حلت من مكة إلى المدينة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر سراياه إن ظفروا به أن يحرقوه بالنار ، ثم قال (٣) : لا يعذب بالنار إلا رب النار ، وأمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه ؛ فلم يظفروا به ، حتى إذا كان يوم الفتح هرب هبار ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ويقال : أتاه بالجرانة حين فرغ من أمر حنين ، فمثل بين يديه ، وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقبل إسلامه وأمر ألا يعرض له ، وخرجت سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله

فقلت : لا أنعم الله بك علينا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مهلاً ، فقد مجأ الإسلام ما قبله » ١

قال البلاذري : فقال الزبير بن العوام : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد غلظته على هبار بن الأسود يطأطأ رأسه استحياء منه ، وهبار يعتذر إليه ، وهو يعتذر إلى هبار أيضاً (١) .

\*\*\*

قال محمد بن إسحاق : فأقام أبو العاص بمكة على شركه ، وأقامت زينب عند أبيها صلى الله عليه وآله بالمدينة ، قد فرق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبل الفتح ، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بماله ، وأموال لقريش أبضعوا (٢) بها معه ، وكان رجلاً مأموناً فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فأصابوا ما معه وأعجزهم هو هاربا ، فخرجت السرية بما أصابت من ماله ؛ حتى قدمت به على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرج أبو العاص تحت الليل ، حتى دخل على زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله منزلها ، فاستجار بها فأجارته ، وإنما جاء في طلب ماله الذي أصابته تلك السرية ، فلما كبر رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاة الصبح ، وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صفّة النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس الصبح ، فلما سلم من الصلاة ، أقبل عليهم فقال : « أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ » ، قالوا : نعم ، قال : « أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعتم ، إنه يجير على الناس أديانهم » . ثم انصرف ودخل على ابنته زينب ، فقال : « أي بنتي ، أكرمي مثواه ، وأحسني قراءه ، ولا يصلن إليك ، فإنك

(١) أنساب الأشراف ١ : ٣٩٨ مع اختلاف في الرواية

(٢) ١ : « أبضعوها معه » .



لا تحلين له . ثم بعث إلى تلك السرية الذين كانوا أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منا بحيث علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وترددوا عليه الذي له ، فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو في الله الذي أفاء عليكم ، وأنتم أحق به . فقالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه ، فردوا عليه ماله ومتاعه ، حتى إن الرجل كان يأتي بالحبل<sup>(١)</sup> ، ويأتي الآخر بالشنة<sup>(٢)</sup> ، ويأتي الآخر بالإداوة<sup>(٣)</sup> ، والآخر بالشظاظ<sup>(٤)</sup> ، حتى ردوا ماله ومتاعه بأسره من عند آخره ولم يفقد منه شيئاً . ثم احتمل إلى مكة ، فلما قدمها أدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع معه بشيء ، حتى إذا فرغ من ذلك ، قال لهم : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال ، لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً ، لقد وجدناك وفياً كريماً ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله مامعني من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أنني أردت أن آكل أموالكم ، وأذهب بها فإذا سلمها الله لكم ، وأذاها إليكم ؛ فإني أشهدكم أنني قد أسلمت واتبعت دين محمد ، ثم خرج سريعاً حتى قدم على رسول الله المدينة<sup>(٥)</sup> .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله ردّ زينب بعد ست سنين على أبي العاص بالتكاح الأول لم يحدث شيئاً<sup>(٦)</sup> .

\*\*\*

قال الواقدي : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من أمر الأسارى ، وفرق الله عز وجل بيد بين الكفر والإيمان ، أذلّ رقاب المشركين والمنافقين واليهود ، ولم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضعت عنقه .

(١) ابن هشام : « بالدلو »

(٢) الشنة : السقاء البالي .

(٣) الإداوة : المطهرة التي يتوضأ بها .

(٤) الشظاظ : عود يشدّ به فم الفرارة

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ ، ٣٠٤

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٤ .

وقال قوم من المنافقين : ليتنا خرجنا معه حتى نصيب غنيمة . وقالت يهود فيما بينها : هو الذي نجد نعمته في كتبنا ، والله لا ترفع له راية بعد اليوم إلا ظهرت .

وقال كعب بن الأشرف : بطن الأرض اليوم خير من ظهرها ، هؤلاء أشرف الناس وساداتهم ، وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أصيبوا . وخرج إلى مكة ، فنزل على أبي وداعة بن ضبيرة ، وجعله يرسل هجاء المسلمين ، ورثى قتلى بدر من المشركين ، فقال :

طَحَنَتْ رَحًا بِدِرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ      وَلِمِثْلِ بَدْرٍ يُسْتَهْلَ وَيُدْمَعُ<sup>(١)</sup>

قُتِلَتْ سِرَاةُ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاظِهِ      لَا تَبْعَدُوا إِنَّ لِلْمَلُوكِ نُصْرَعُ<sup>(٢)</sup>

وَيَقُولُ أَقْوَامٌ أَذِلَّ بَعْزُهُمْ<sup>(٣)</sup> :      إِنْ ابْنُ أَشْرَفٍ ظَلَّ كَعْبًا يَجْزَعُ

صَدَقُوا فَلَيْتَ الْأَرْضَ سَاعَةً قَتَلُوا      ظَلَّتْ نَسِخٌ بِأَهْلِهَا وَتَصَدَّعُ<sup>(٤)</sup>

نَبُتَتْ أَنْ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِهِمْ      فِي النَّاسِ بَيْنِي الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ<sup>(٥)</sup>

لِيَزُورَ يَثْرِبَ بِالْجُمُوعِ وَإِنَّمَا      يَسْعَى عَلَى الْحَسْبِ الْقَدِيمِ الْأَرْوَعُ<sup>(٦)</sup>

قال الواقدي : أملاها عليّ عبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح وابن أبي الزناد . فلما أرسل كعب هذه الأبيات أخذها الناس بمكة عنه ، وأظهروا المرائي - وقد كانوا حرّموها كيلا يشتم المسلمون بهم - وجعل الصبيان والجواري ينشدونها بمكة ، ففاحت بها قريش

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٤٣١ ، ٤٣٢ ، وأنساب الأشراف ١ : ٢٨٤ ، والبيان الأخيران في نسب قريش ٣٠١ .

(٢) سيرة الناس : خيارهم .

(٣) البلاذري : « غوى أمرهم » ، ابن هشام : « أسر بسخطهم » . الواقدي : « أذل بسخطهم » .

(٤) بعده في ابن هشام :

صَارَ الَّذِي أَثَرَ الْحَدِيثِ بَطْعَنَةً      أَوْ عَاشَ أَعْمَى مَرَعَشًا لَا يَسْمَعُ  
نَبُتَتْ أَنْ بَنِي الْمَغِيرَةِ كُلُّهُمْ      خَشَعُوا لِقَتْلِ أَبِي الْحَكِيمِ وَجُدُّعُوا  
وَابْنَا رَبِيعَةَ عِنْدَهُ وَمُنْبَهُ      مَا نَالَ مِثْلَ الْهَالِكِينَ وَتَبَعُ

(٥) نسب قريش : « بيني الكرامات » :

(٦) نسب قريش : « ليزور أثرب » ، وأثرب لغة في يثرب .



على قتلاها شهراً ، ولم تبق دار بمكة إلا فيها النوح - وجزّ النساء شعورهن ، وكان يؤتى  
براحلة الرجل منهم أو بفرسه ، فتوقّف بين أظهرهم ، فينوحون حولها ، وخرجن إلى  
التكك ، وضربن الستور في الأزقة ، [وقطعن]<sup>(١)</sup> فخرجن إليها ينفخن ، وصدق أهل مكة  
رؤيا عائكة وجهيم بن الصلت<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وكان الذين قدموا من قريش في فداء الأسرى أربعة عشر رجلاً ،  
وقيل خمسة عشر رجلاً ، وكان أول من قدم المطلب بن أبي وداعة ، ثم قدم الباقر بعده  
بثلاث ليال .

قال : فحدثني إسحاق بن يحيى ، قال : سألت نافع بن جبير : كيف كان الفداء ؟ قال :  
أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف ، إلا قوما لا مال لهم من عليهم  
رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في أبي وداعة : إن له بمكة ابناً  
كيساً له مال ، وهو مقل فداءه ، فلما قدم افتداه بأربعة آلاف ، وكان أول أسير افتدى ؛  
وذلك أن قريشا قالت لابن المطلب بن أبي وداعة - ورأته يتجهز - يخرج إلى أبيه - : لا تعجل ؛  
فإننا نخاف أن تفسد علينا في أسرارنا ، ويرى محمد تهالكنا فيغفل علينا القدية ، فإن كنت  
تجد فإن كل قومك لا يجدون من السعة ما تجد . فقال : لا أخرج حتى تخرجوا ، فخذعهم  
حتى إذا غفلوا خرج من الليل على راحلته ، فسار أربعة ليال إلى المدينة ، فافتدى أباه  
بأربعة آلاف ، فلامه قريش في ذلك ، فقال : ما كنت لأترك أبي أسيراً في أيدي القوم  
وأتم مضجعون ، فقال أبو سفيان بن حرب : إن هذا غلام حدث يعجب بنفسه  
وبرأيه ، وهو مفسد عليكم ، إني والله غير مفتدٍ عمرو بن أبي سفيان ، ولو مكث سنة

أويرسله محمد : والله ما أنا بأعوزكم ، ولكني أكره أن أدخل عليكم ما يشق عليكم ، ولكن يكون عمرو كأسيونكم .

\*\*\*

قال الواقدي : فأما أسماء القوم الذين قدموا في الأمري ، فإنه قدم من بني عبد شمس الوليد بن عتبة بن أبي مغيط ، وعمرو بن الربيع أخو أبي العاص بن الربيع . ومن بني نوفل ابن عبد مناف جبير بن مطعم : ومن بني عبد الدار بن قصي طلحة بن أبي طلحة ، ومن بني أسد ابن عبد العزى بن قصي عثمان بن أبي حبيش . ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي ربيعة وخالد بن الوليد وهشام بن الوليد بن المغيرة وفروة بن السائب وعكرمة بن أبي جهل . ومن بني جحج أبي بن خلف وعمر بن وهب . ومن بني سهم المطلب بن أبي وداعة وعمرو بن قيس . ومن بني مالك بن حنبل مكرز بن حفص بن الأحنف ، كل هؤلاء قدموا المدينة في فداء أهلهم وعشائهم . وكان جبير بن مطعم يقول : دخل الإسلام في قلبي منذ قدمت المدينة في الفداء ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ في صلاة المغرب : ﴿ وَالطُّورِ ﴾ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ ، فاستمعت قراءته ، فدخل الإسلام في قلبي منذ ذلك اليوم <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

### القول في تفصيل أسماء أسارى بدر ومن أسره

قال الواقدي : أسير من بني هاشم العباس بن عبد المطلب ، أسره أبو اليسر كعب ابن عمرو ، وعقيل بن أبي طالب أسره عبيد <sup>(٢)</sup> بن أوس الظفري ، ونوفل بن الحارث

(١) انظر مغازي الواقدي ١٣٣ - ١٤١

(٢) « عبيد » ، والصواب ما أثبتته من الواقدي وابن هشام .



ابن عبد المطلب أسره جبّار بن صخر؛ وأمر حليف لبني هاشم من بني فهر، اسمه عتبة فهولاء أربعة .

ومن بني المطلب بن عبد مناف السائب بن عبيد، وعبيد بن عمرو<sup>(١)</sup> بن علقمة، رجُلان أسرها سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلي .

قال الواقدي : حدثني بذلك ابن أبي حبيبة ، قال : ولم يقدم لهما أحد ، وكانا لا مال لهما ، فكفّ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما بغير فدية .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف عتبة بن أبي مُعيط المقتول صبراً<sup>(٢)</sup> ، على يد عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بأمر رسول الله ، أسره عبد الله بن أبي سلمة العجلاني ، والحارث بن أبي وحرّة ابن أبي عمرو بن أمية ، أسره سعد بن أبي وقاص ، فقدم في فدائه الوليد بن عتبة بن أبي مُعيط فافتداه بأربعة آلاف .

قال الواقدي : وقد كان الحارث هذا لما أمر النبي صلى الله عليه وآله برّد الأسارى ، ثم أقرع بين أصحابه عليهم ، وقع في سهم سعد بن وقاص الذي كان أسره أوّل مرة - وعمرو ابن أبي سفيان ، أسره عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وصار بالقرعة في سهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأطلقه بغير فدية ، أطلقه بسعد بن النعمان بن أكال من بني معاوية ، خرج معتمراً ، فحبس بمكة ، فلم يطلقه المشركون حتى أطلق رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن أبي سفيان .

وروى محمد بن إسحاق في كتاب "المغازي" : أن عمرو بن أبي سفيان أسره عليّ عليه السلام يوم بدر ، وكانت أمّه ابنة عتبة بن أبي مُعيط ، فكث في يد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقيل لأبي سفيان : ألا تفندي ابنك عمراً ؟ قال : أجمع عليّ دمي ومالي اقتلوه حفظاً وأفتدي عمراً ! دعوه في أيديهم فأي مسكوه ما بدا لهم . فبينما هو محبوس بالمدينة ، خرج

(١) كذا في الأصول والواقدي ، وأنساب الأشراف ، وفي ابن هشام : « نعمان بن عمرو » .

(٢) الواقدي : « قتل صبراً » .

سعد بن النعمان بن أكتال أخو بني عمرو بن عوف معتمراً ، ومعه امرأة<sup>(١)</sup> له ، وكان شيخاً كبيراً لا يخشى ما صنع<sup>(٢)</sup> به أبو سفيان ، وقد عهد قريشاً ألا يعرض لحاج ولا معتمر<sup>(٣)</sup> ، فعداً عليه أبو سفيان ، فحبسه بمكة بابنه عمرو بن أبي سفيان ، وأرسل إلى قوم بالمدينة هذا الشعر :

أرھط ابن أكتال أجيئوا دعاءه تعاقدتم لا تسلوا السَّيدَ الكَهْلاً  
فإن بني عمرو لثمام أذلةً لأن لم يفكوا عن أسيرهم الكَبْلاً

فخشي بنو عمرو بن عوف حين بلغهم الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخبروه بذلك ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان ليفكوا به صاحبهم ، فأعطاهم إياه ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلّى سبيل سعد . وقال حسان بن ثابت يحيب أبا سفيان :

ولو كان سعدٌ يوم مكة مطلقاً لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتل  
بعضي حُسام أو بصفراء نبتة تمن إذا ما أنبضت تحفر القبلاً<sup>(٤)</sup>

وأبو العاص بن الربيع ، أسره خراش بن الصمة ؛ فقدم في فدائه عمرو بن أبي الربيع أخوه ، وحليف لهم ، يقال له أبو ريشة افتداه عمرو بن الربيع أيضاً . وعمرو بن الأزرق افتكه عمرو بن الربيع أيضاً ، وكان قد صار في سهم تميم مولى خراش بن الصمة ، وعقبة بن الحارث الحضرمي أسره عمار بن حزم ، فصار في القرعة لأبي بن كعب ، افتداه عمرو بن أبي سفيان ابن أمية ، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس ، أسره عمار بن ياسر قدم في فدائه ابن عمه ، فهؤلاء ثمانية .

(١) ابن هشام : « مربة » .

(٢) ابن هشام : « ما صنع به » .

(٣) ابن هشام : « لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير » .

(٤) العضب : السيف الفاطم ، وكذلك الحسام . وصفراء أراد بها قوساً . والنبتة : شجرة تنبت بالجبال ؛ تصنع منها القسي . وتمن : تصوت . وأنبضت : مد وترها . والأنباض : أن يحرك وتر القوس ويعد . والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .



ومن بنى نوفل بن عبد مناف عدى بن الخيار ، أسره خراش بن الصمة ، وعثمان ابن عبد شمس ، ابن أخى عتبة بن غزوان ، حليفهم<sup>(١)</sup> ، أسره حارثة بن النعمان ، وأبو ثور ، أسره أبو مرثد الغنوى ، فهؤلاء ثلاثة افتداهم جبير بن مطعم .

ومن بنى عبد الدار بن قصي أبو عزيز بن عمير ، أسره أبو اليسر ، ثم صار بالقرعة لحرز ابن نضلة - قال الواقدي : أبو عزيز هذا هو أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه ، وقال مصعب لحرز بن نضلة : اشد يدريك به ؟ فإن له أماً بمكة كثيرة المال ، فقال له أبو عزيز : هذه وصاتك بي يا أخى ! فقال مصعب : إنه أخى دونك ، فبعثت فيه أمة أربعة آلاف ، وذلك بعد أن سألت : ما أغلى ما تُفادى به قریش ؟ فقبل لها : أربعة آلاف - والأسود بن عامر ابن الحارث بن السباق ، أسره حمزة بن عبد المطلب ، فهذان اثنان قدم في فدائهما طلحة ابن أبي طلحة .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي ؛ السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى ، أسره عبد الرحمن بن عوف . وعثمان بن الحويرث بن عثمان بن أسد بن عبد العزى ، أسره حاطب بن أبي بلتعة ، وسالم بن شماس أسره سعد بن أبي وقاص ؛ فهؤلاء ثلاثة قدم في فدائهم عثمان بن أبي حبيش ، بأربعة آلاف لكل رجل منهم .

ومن بنى تميم بن مرة ، مالك بن عبد الله بن عثمان ، أسره قطبة بن عامر بن حديدة ، فأتى في المدينة أسيراً .

ومن بنى مخزوم خالد بن هشام بن المغيرة ، أسره سواد بن غزيرة . وأمّية بن أبي حذيفة ابن المغيرة ، أسره بلال . وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وكان أفلت يوم نخلة ، أسره واقد بن عبد الله التميمي يوم بدر ، فقال له : الحمد لله الذى أمكنى منك ، فقد كنت أفلت يوم نخلة - وقدم في فداء هؤلاء الثلاثة عبد الله بن أبي ربيعة ، افتدى كل واحد منهم بأربعة آلاف - والوليد بن الوليدة بن المغيرة ، أسره عبد الله بن جحش ،

(١) الواقدي : « حليف لهم » .



فقدِم في فدائه أخواه خالد بن الوليد وهشام بن الوليد ، فتمنَّع عبد الله بن جحش حتى  
افتسكاه بأربعة آلاف ، فجعل هشام بن الوليد يريد ألا يبلغ ذلك - يريد ثلاثة آلاف -  
فقال خالد لهشام : إنه ليس بابن أمك ، والله لو أبي فيه إلا كذا وكذا لفعلت ، فلما  
افتدياه خرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة ، فأفلت ، فأثى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم ،  
فقيل : ألا أسلت قبل أن تفتدى ! قال : كرهت أن أسلم حتى أكون أسوة بقومي .  
- قال الواقدي : ويقال إن الذي أسر الوليد بن الوليد سليط بن قيس المازني - وقيس  
ابن السائب ؛ أسره عبدة بن الحبحاس ، فحبسه عنده حيناً ، وهو يظن أن له مالاً ،  
ثم قدم في فدائه أخوه قروة بن السائب ، فأقام أيضاً حيناً ، ثم افتداه بأربعة آلاف  
فيها عروض .

ومن بني أبي رفاعه ، صيفي بن أبي رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ،  
وكان لا مال له ، أسره رجل من المسلمين ، فمكث عندهم ، ثم أرسله . وأبو المنذر بن  
أبي رفاعه بن عائذ افتدى بألفين - ولم يذكر الواقدي من أسره - وعبد الله ، وهو أبو عطاء  
ابن السائب بن عائذ بن عبد الله ، افتدى بألف درهم ، أسره سعد بن أبي وقاص ،  
والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمير بن مخزوم ، أسره أبو أيوب الأنصاري -  
ولم يكن له مال فأرسله بعد حين - وخالد بن الأعمى العقيلي ، حليف لبني مخزوم ، وهو  
الذي يقول :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا (١)

(١) رواية ابن هشام ٢ : ٣٦٥ :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَذْيَارِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقَطَّرُ الدَّمُ



وقال محمد بن إسحاق : روى أنه كان أول المنهزمين <sup>(١)</sup> ، أسره الخبّاب بن المنذر بن الجُمُوح ، وقدم في فدائه عكرمة بن أبي جهل ، فهؤلاء عشرة .

ومن بني جُحج عبد الله بن أبيّ بن خلف ، أسره فَرْوة بن أبي عمرو البياضى ، قدم في فدائه أبوه أبيّ بن خَلَف فتمنّع به فروة حيناً . وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن وهب ، أطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله بغير فِدْيَةٍ ، وكان شاعراً خبيث اللسان ، ثم قتله يوم أُحُد ، بعد أن أسره - ولم يذكر الواقدي الذي أسره يوم بدر - ووهب بن عمير بن وهب ، أسره رفاعه بن رافع الزرقى ، وقدم أبوه عمير بن وهب في فدائه ، فأسلم فأرسل النبي صلى الله عليه وآله له ابنه بغير فداء ، وربيعه بن درّاج بن العنيس بن وهبان <sup>(٢)</sup> ابن وهب بن حُذَاقَة بن جُحج ، وكان لا مال له ، فأخذ منه بشيء يسير ، وأرسل به - ولم يذكر الواقدي مَنْ أسره - والفاكه مولى أميّة بن خلف ، أسره سعد بن أبي وقاص ، فهؤلاء خمسة .

مركز تحقيق تكملة تاريخ طبرستان

ومن بني سَهْم بن عمرو أبو وداعة بن ضُبيرة ، وكان أول أسير افتدى ، قدم في فدائه ابنه المطلب ، فافتداه بأربعة آلاف - ولم يذكر الواقدي مَنْ أسره - وفَرْوة بن قَيْس بن عدى بن حذافة بن سعيد بن سهم ، أسره ثابت بن أقرم ، وقدم في فدائه عمرو ابن قيس ، افتداه بأربعة آلاف ، وحنظلة بن قبيصة بن حُذَاقَة بن سعد ، أسره عثمان ابن مظعون . والحجاج بن الحارث بن قيس بن سعد بن سَهْم ، أسره عبد الرحمن بن عوف ، فأفلت ، فأخذه أبو داود المازنى . فهؤلاء أربعة .

ومن بني مالك بن حِثْل سُهَيْل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ؛ أسره مالك بن الدّخشم ، وقدم في فدائه مكرز بن حَفْص بن الأحنف ، وانهى في فدائه إلى إرضائهم بأربعة آلاف ، فقالوا : هات المال ، فقال : نعم ، اجعلوا رجلاً مكان رجل ؛

(١) ابن هشام : « أول من ولى فاراً منهزماً » . (٢) ابن هشام : « أهبان » .



وقوم يروونها : « رجلاً مكان رجل » ، فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرز بن حفص عندهم ، حتى بعث سهيل بالمال من مكة . وعبد الله بن زمعة بن قيس بن نصر بن مالك ، أسره عمير بن عوف ، مولى سهيل بن عمرو . وعبد العزى بن مشنوء بن وقدان بن قيس ابن عبد شمس بن عبد ود سماء رسول الله صلى الله عليه وآله بعد إسلامه عبد الرحمن ، أسره النعمان بن مالك . فهؤلاء ثلاثة .

ومن بنى فيهم الطفيل بن أبي قنيس ، فهؤلاء ستة وأربعون<sup>(١)</sup> أسيرا . وفي كتاب الواقدي أنه كان الأسارى الذين أحصوا وعرفوا تسعة وأربعين ، ولم نجد التفصيل يلحق هذه الجملة<sup>(٢)</sup> .

وروى الواقدي عن سعيد بن المسيب ، قال : كانت الأسارى سبعين ، وإن القتل كانت زيادة على سبعين إلا أن المعروفين من الأسرى هم الذين ذكرناهم ، والباقيون لم يذكر المؤرخون أسماءهم .

\*\*\*

### القول في المطعمين في بدر من المشركين

قال الواقدي : المتفق عليه ولا خلاف بينهم فيه تسعة ؛ فمن بنى عبد مناف الحارث ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس . ومن بنى أسد بن عبد العزى ، زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، ونوفل بن خويلد المعروف بابن العدوثة .

ومن بنى مخزوم ، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة .

ومن بنى جهم ، أمية بن خلف .

(١) عدتهم في ابن هشام « ثلاثة وأربعون » . (٢) مفازي الواقدي ١٣٣ - ١٣٩ ، وانظر

أنساب الأشراف ١ : ٣٠١ - ٣٠٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٤ - ٣٦٧ .



ومن بنى ستم نبيه ومنبه ابنا الحجاج .  
فهؤلاء تسعة .

قال الواقدي : وكان سعيد بن المسيب يقول : ما أطمع أحد بيدر إلا قتل .  
قال الواقدي : قد ذكروا عدة من المطعمين ، اختلف<sup>(١)</sup> فيهم ، كسهيل بن عمرو  
وأبي البختري وغيرهما<sup>(٢)</sup> .

قال : حدثني إسماعيل بن إبراهيم ، عن موسى بن عتبة ، قال : أول من نحر لهم  
أبو جهل بن أمية بن خلف بعسفان تسعا ، ثم سهيل بن عمرو بقديد  
عشرا ، ثم مالوا إلى مياه من نحو البحر ضلوا الطريق ، فأقاموا بها يوما ، فنحر لهم شيبة  
ابن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس الجمحي تسعا ، ثم نحر عتبة عشرا ،  
ونحر لهم الحارث بن عمر وتسعا ، ثم نحر لهم أبو البختري على ماء بدر عشرا ونحر لهم مقيس  
ابن ضبابة على ماء بدر تسعا ، ثم شغلهم الحرب .  
قال الواقدي : وقد كان ابن أبي الزناد يقول : والله ما أظن مقيسا كان يقدر على  
قلوص واحدة .

قال الواقدي : وأما أنا فلا أعرف قيسا الجمحي . قال : وقد روت أم بكر ، عن  
السور بن مخرمة ابنها ، قال : كان النفر يشتركون في الإطعام ، فينسب إلى الرجل الواحد  
ويسكت عن سائرهم<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وروى محمد بن إسحاق أن العباس بن عبد المطلب كان من المطعمين في بدر ، وكذلك  
طعيمة بن عدي بن نوفل ، كان يعتقب هو وحكيم والحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو البختري  
يعتقب هو وحكيم بن حزام في الإطعام ، وكان النضر بن والحارث بن كilde بن علقمة بن  
عبد مناف بن عبد الدار من المطعمين . قال : وكان النبي صلى الله عليه وآله يكره قتل

(١) ومغازي الواقدي : « وقد اختلف علينا فيهم » (٢) مغازي الواقدي : « وغيرهم »

(٣) مغازي الواقدي ١٢٣ ، ١٢٤



الحارث بن عاصم ، قال يوم بدر : « مَنْ ظفر به منكم فليتركه لأيتام بنى نوفل » ، فقتل في المعركة <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

### القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر

قال الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر ، قال : سألت الزهري كم استشهد من المسلمين ببدر ؟ قال : أربعة عشر <sup>(٢)</sup> ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

قال : فمن بنى المطلب بن عبد مناف عبيدة بن الحارث ، قتله شيبة بن ربيعة .

وفي رواية الواقدي قتله عتبة ، فدفنه النبي صلى الله عليه وآله بالصفراء .

ومن بنى زهرة عمير بن أبي وقاص ، قتله عمرو بن عبد ود ، فارس الأحزاب ، وعمير بن

عبد ود ذو الشمالين ، حليف لبني زهرة بن خزاعة ، قتله أبو أسامة الجشمي .

ومن بنى عدى بن كعب عاقل بن أبي البكير ، حليف لهم من بنى سعد بن بكر ، قتله

مالك بن زهير الجشمي ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، قتله عاصم بن الحضرمي ؛ ويقال :

إن مهجما أول من قتل من المهاجرين .

ومن بنى الحارث بن فهر صفوان بن بيضاء ، قتله طعيمة بن عدى .

وهؤلاء الستة من المهاجرين .

ومن الأنصار ، ثم من بنى عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد المنذر ، قتله أبو ثور . وسعد

ابن خيثمة ، قتله عمرو بن عبدود - ويقال طعيمة بن عدى - ومن بنى عدى بن النجار

حارثة بن سراقة رماء حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته ، فقتله .

ومن بنى مالك بن النجار ، عوف وسود ابنا عفراء ؛ قتلها أبو جهل .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١١ .

(٢) في مغازي الواقدي : « ثم عددهم على ، فهم هؤلاء الذين سميت » .



ومن بني سليمة بن حرام عمير بن الحمام بن الجموح ، قتله خالد بن الأعلم العقيلي - ويقال إن عمير بن الحمام أول قتيل قتل من الأنصار، وقد روى أن أول قتيل منهم حارث ابن سراقه .

ومن بني زريق ، رافع بن المَعَلَى ، قتله عكرمة بن أبي جهل .

ومن بني الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث بن قسح<sup>(١)</sup> ، قتله نوفل بن معاوية الديلي .  
فهؤلاء الثمانية من الأنصار .

قال الواقدي : وقد روى عن عكرمة ، عن ابن عباس أن أنسة مولى النبي صلى الله عليه وآله قتل ببدر .

وروى [ أن ]<sup>(٢)</sup> معاذ بن ماعص جرح ببدر ، فمات من جراحته بالمدينة ، وأن عبيد بن السكن جرح فاشتكى جرحه ، فمات منه حين قدم<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

### القول فيمن قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم

قال الواقدي : فمن بني عبد شمس بن عبد مناف حنظلة بن أبي سفيان بن حرب ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، والحارث بن الحضرمي قتله عمار بن ياسر ، وعامر بن الحضرمي قتله عاصم ابن ثابت بن أبي الأفلح ، وعمير بن أبي عمير وابنه ، موليان لهم ؛ قتل سالم مولى أبي حذيفة منهم عمير بن أبي عمير - ولم يذكر الواقدي من قتل ابنه - وعبيدة بن سعيد بن العاص ، قتله الزبير بن العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعقبة بن أبي معيط ، قتله عاصم بن ثابت صبرا بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) الواقدي : « يسحج » .

(٢) من الواقدي .

(٣) مغازي الواقدي ١٤٢ ، ١٤٣ .

وروى البلاذري أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلبه بعد قتله ؛ فكان أول مصلوب في الإسلام. قال : وفيه يقول ضرار بن الخطاب :

عين بكى لعقبة بن أبانٍ فرع فهر وفارس الفرسان<sup>(١)</sup>

وعتبة بن ربيعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . وشيبة بن ربيعة ، قتله عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي ، الثلاثة اشتركوا في قتله . والوليد بن عتبة بن ربيعة ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام . وعامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله سعد بن معاذ ، فهؤلاء اثنا عشر .

ومن بني نوفل بن عبد مناف الحارث بن نوفل ، قتله خبيب بن يساف<sup>(٢)</sup> ، وطعيمة ابن عدي ، ويكنى أبا الريان ، قتله حمزة بن عبد المطلب في رواية الواقدي ، وقتله علي بن أبي طالب عليه السلام في رواية محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> . وروى البلاذري رواية غريبة ، أن طعيمة بن عدي أسر يوم بدر ، فقتله النبي صلى الله عليه وآله صبراً على يد حمزة ، فهؤلاء اثنان .

ومن بني أسد بن عبد العزى زمعة بن الأسود ، قتله أبو دجانة<sup>(٤)</sup> ، وقيل : قتله ثابت بن الجذع<sup>(٥)</sup> ، والحارث بن زمعة بن الأسود ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام . وعقيل بن الأسود بن المطلب ، قتله علي وحمزة ، شركاً في قتله . قال الواقدي : وحدثني أبو معشر ، قال : قتله علي بن أبي طالب عليه السلام وحده ، وقيل : قتله أبو داود المازني وحده . وأبو البختري ، وهو العاص بن هشام ، قتله المجذر بن

(١) أنساب الأشراف ١ : ٢٩٧ ، وفيه : « عين فابكي » .

(٢) في ابن هشام : « إساف » بهمة مكسورة ، قال ابن حجر في الإصابة : « وقد تبدل

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧ .

تحتاينه » .

(٤) الإصابة : الجذع .

(٥) دجانة ، كناية : سماك بن خرشة .



زياد ، وقيل : قتله أبو اليسر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ؛ وهو ابن العدوية ، قتله على عليه السلام ؛ فهؤلاء خمسة .

ومن بنى عبد الدار بن قصي ، النضر بن الحارث بن كلدة ؛ قتله على بن أبي طالب عليه السلام صبراً بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان الذي أمره المقداد بن عمرو ، فوعد المقداد - إن استنقذه - بفداء جليل ، فلما قدم ليقتل ، قال المقداد : يا رسول الله ، إني ذو عيال ، وأحب الدين ، فقال : اللهم أغنِ المقداد من فضلك ! يا علي ، قم فاضرب عنقه . وزيد بن مئيص مولى عمرو بن هاشم بن عبد مناف ، من عبد الدار ، قتله على بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله بلال . فهؤلاء اثنان .

ومن بنى تيم بن مرة عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، قتله على بن أبي طالب عليه السلام . وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان ، قتله صهيب ، فهؤلاء اثنان - ولم يذكر البلاذري عثمان بن مالك .

ومن بنى مخزوم بن يقظة ثم من بنى المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، وذقف<sup>(١)</sup> عليه عبد الله بن مسعود . والعاص بن هاشم بن المغيرة ، خال عمر بن الخطاب ، قتله عمرو بن يزيد بن تميم التميمي ، حليف لهم ، قتله عمار بن ياسر ، وقيل : قتله على عليه السلام .

ومن بنى الوليد بن المغيرة ، أبو قيس بن الوليد بن الوليد ؛ أخو خالد بن الوليد ، قتله على ابن أبي طالب عليه السلام .

ومن بنى الفاكه بن المغيرة أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وقيل : قتله الحباب بن المنذر .

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١ : ٢٩٧ . (٢) ذفب عليه : أجهز .

ومن بني أمية بن المغيرة مسمود بن أبي أمية ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام .  
ومن بني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم من بني رفاعه ، أمية بن عائذ بن رفاعه بن أبي رفاعه ، قتله سعد بن الربيع . وأبو المنذر بن أبي رفاعه ، قتله معن بن عدي العجلاني . وعبد الله بن أبي رفاعه ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام . وزهير بن أبي رفاعه ، قتله أبواسيد الساعدي . والسائب بن أبي رفاعه ، قتله عبد الرحمن بن عوف .  
ومن بني أبي السائب المخزومي - وهو صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - السائب بن السائب ، قتله الزبير بن العوام . والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة بن عبد المطلب . وحليف لهم من طيء ، وهو عمرو بن شيبان<sup>(١)</sup> ، قتله يزيد بن قيس . وحليف آخر ، وهو جبار بن سفيان ، أخو عمرو بن سفيان المقدم ذكره ، قتله أبو بردة بن نيار .  
ومن بني عمران بن مخزوم حاجز<sup>(٢)</sup> بن السائب بن عويمر بن عائذ ، قتله علي عليه السلام .

وروي البلاذري أن حاجزاً هذا وأخاه عويمر بن السائب بن عويمر ، قتلها علي ابن أبي طالب عليه السلام<sup>(٣)</sup> - وعويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ؛ قتله النعمان بن أبي مالك ؛ فهؤلاء تسعة عشر .  
ومن بني جحج بن عمرو بن هصيص ، أمية بن خاف ، قتله خبيب بن يساف وبلال ، شريكاً فيه .

قال الواقدي : وكان معاذ بن رفاعه بن رافع يقول : بل قتله أبو رفاعه بن رافع .

(٢) في البلاذري : « جابر » .

(١) الواقدي : « سفيان » .

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٠ .



وعلى بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر . وأوس بن المغيرة بن لؤذان ، قتله على عليه السلام ، وعثمان بن مظعون ، شريكاً فيه ؛ فهؤلاء ثلاثة .

ومن بني سهم ، منبه بن الحجاج ، قتله على بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله أبو أسيد الساعدي . ونبيه بن الحجاج قتله على بن أبي طالب عليه السلام . والعاص بن منبه بن الحجاج ، قتله على عليه السلام . وأبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد ابن سهم ، قتله أبو دجانة - قال الواقدي : وحديثي أبو معشر عن أصحابه ، قالوا : قتله على عليه السلام - وعاص بن أبي عوف بن صبيحة بن سعيد بن سعد ، قتله أبو دجانة ، فهؤلاء خمسة .

ومن بني عامر بن لؤي ، ثم من بني مالك بن حسل ، معاوية بن عبد قيس حليف لهم ، قتله عكاشة بن محصن . ومعيد بن وهب ، حليف لهم من كلب ، قتله أبو دجانة فهؤلاء اثنان .

فجميع من قتل بيدرو في رواية الواقدي من المشركين في الحرب وصبرا ، اثنان وخمسون رجلاً ، قتل على عليه السلام منهم مع الذين شارك في قتلهم أربعة وعشرين رجلاً . وقد كثرت الرواية أن المقتولين بيدرو كانوا سبعين ، ولكن الذين عرفوا وحفظت أسماؤهم من ذكرناه ، وفي رواية الشيعة أن زمعة بن الأسود بن المطلب قتله على ، والأشهر في الرواية أنه قتله الحارث بن زمعة ، وأن زمعة قتله أبو دجانة<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

### القول فيمن شهد بدرًا من المسلمين

قال الواقدي : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً مع القوم الذين ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بسهامهم وهم غائبون وعدتهم ثمانية . قال : وهذا هو الأغلب في الرواية ،

(١) انظر نسبية من قتل من المشركين بيدرو في الواقدي ١٤٣ - ١٥١ .

قال : ولم يشهد بدرا من المسلمين إلا قرشيّ أو حليف لقرشيّ أو أنصاريّ أو حليف لأنصاريّ أو مولى واحد منهما ، وهكذا من جانب المشركين ، فإنه لم يشهدا إلا قرشيّ أو حليف لقرشيّ أو مولى لهم .

قال : فكانت قريش ومواليها وحلفاؤها ستة وثمانين رجلا ، وكانت الأنصار ومواليها وحلفاؤها مائتين وسبعة وعشرين رجلا<sup>(١)</sup> .

فأما تفصيل أسماء من شهدا من المسلمين فله موضع في كتب المحدثين أملك به من هذا الموضع .

\*\*\*

### [ قصة غزوة أحد ]

الفصل الرابع : في شرح قصة غزاة أحد . ونحن نذكر ذلك من كتاب الواقدي<sup>(٢)</sup> رحمه الله على عادتنا في ذكر غزاة بدر ، ونضيف إليه من الزيادات التي ذكرها ابن إسحاق والبلاذري ما يقتضي الحال ذكره .

قال الواقدي : لما رجع من حضر بدرا من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة ، وكذلك كانوا يصنعون ، فلم يحرّكها أبو سفيان ولم يفرّقها لعيبه أهل العير ، ومشت أشراف قريش إلى أبي سفيان : الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وجُبَيْر بن مطعم ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، وحويطب بن عبد العزّي ؛ فقالوا : يا أبا سفيان ، انظر هذه العير التي قدّمت بها فاحتبسها<sup>(٣)</sup> ، فقد عرفت أنها أموال أهل مكة ولطيمة<sup>(٤)</sup> قريش ، وهم طيّبوا الأنفس ، يجهّزون بهذه العير جيشا كثيفا إلى محمد ، فقد

(١) مغازي الواقدي ١٥١ ، ١٥٢

(٢) أخبار غزوة أحد في مغازي الواقدي ص ١٩٧ وما بعدها .

(٣) اللطيمة : العير تحمل الطيب وبز التجار .

(٤) الواقدي : « فاحتبسها » .



تري مَنْ قَتَلَ مِنْ آبَائِنَا وَأَبْنَائِنَا وَعَشَائِرِنَا . فقال أبو سفيان : وقد طابت أنفس قريش بذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي ، فأنا والله الموتور والثائر<sup>(١)</sup> ، وقد قتل ابني حنظلة بيدر وأشراف قومي . فلم تزل العير موقوفة حتى تجهزوا للخروج ، فباعوها فصارت ذهباً عينا ، ويقال : إنما قالوا : يا أبا سفيان ، بسم العير ثم أعزل أرباحها ، فكانت العير ألف بعير ، وكان المال خمسين ألف دينار ؛ وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً ، وكان متجرهم من الشام غزاة ، لا يعدونها إلى غيرها ، وكان أبو سفيان ، قد حبس عير بني زهرة ، لأنهم رجعوا من طريق بدر ، وسلم ما كان لحرمة بن نوفل ولبنى أبيه وبني عبد مناف بن زهرة ، فأبى محرمة أن يقبل عيره حتى يسلم إلى بني زهرة جميعاً<sup>(٢)</sup> ، وتكلم الأخنس ، فقال : وما لعير بني زهرة من بين عيرات قريش ! قال أبو سفيان : لأنهم رجعوا عن قريش ، قال الأخنس : أنت أرسلت إلى قريش أن ارجعوا فقد أحرزنا المير ؛ لا تخرجوا في غير شيء ، فرجعنا ، فأخذت بنو زهرة غيرها وأخذ أقوام من أهل مكة أهل ضعف لا عشائر لهم ولا منعة ؛ كل ما كان لهم في العير .

قال الواقدي : وهذا يبين أنه إنما أخرج القوم أرباح العير . قال : وفيهم أنزل<sup>(٣)</sup> : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ الآية .

قال : فلما أجمعوا على المسير ، قالوا : نسير في العرب فنستنصرهم ؛ فإن عبدة مذاة غير متخلفين عنا ، هم أوصل العرب لأرحامنا ومن اتبعنا من الأحابيش ، فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يسرون في العرب ، يدعونهم إلى نصرهم ؛ فبعثوا عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب وابن الزبيري وأباعرزة الجمحي ، فأبى أبو عزة أن يسير<sup>(٤)</sup> وقال : من

(١) الثائر : الذي يقوم بالثار

(٢) ١ : « جمعا » .

(٣) ١ : « أنزلت »

(٤) في الواقدي : « فأطاع النفر وأبى أبو عزة » .

على محمد يوم بدر ، وحلفت ألا أظهار<sup>(١)</sup> عليه عدوا أبدا . فمشى إليه صفوان بن أمية فقال : اخرج ، فأبى ، وقال : عاهدتُ محمدا يوم بدر ألا أظهار عليه عدوا أبدا ، وأنا أفى له بما عاهدته عليه<sup>(٢)</sup> ، من عليّ ولم يمن عليّ غيري حتى قتله أو أخذ منه الفداء . فقال صفوان : اخرج معنا ، فإن تسلم أعطتك من المال ما شئت ، وإن تقتل تكن عيالك مع عيالي . فأبى أبو عزة ، حتى كان الغد ، وانصرف عنه صفوان بن أمية آيسا منه ؛ فلما كان الغد جاءه صفوان وجبير بن مطعم ، فقال له صفوان الكلام الأول فأبى ، فقال جبير : ما كنت أظن أنى أعيش حتى يمشى إليك أبو وهب في أمر تأبى عليه ! فأحفظه ، فقال : أنا أخرج ، قال : فخرج إلى العرب يجمعها ، ويقول :

إني بني عبد مناة الرزّام<sup>(٣)</sup> أنتم حماة وأبوكم حام  
لا تسليوني لا يحلّ إسلامي لا يمدوني نصركم بعد العام<sup>(٤)</sup>

وخرج النفر مع أبي عزة ، فالتبوا العرب وجمعوا ، وبلغوا نقيفا فأوعبوا<sup>(٥)</sup> . فلما أجمعوا المسير وتآلب من كان معهم من العرب وحضروا ، واختلفت قريش في إخراج الظعن معهم ، قال صفوان بن أمية : اخرجوا بالظعن<sup>(٦)</sup> فأنا أول من فعل ، فإنه أقن أن يحفظنكم ويذكرنكم قتلى بدر ، فإن العهد حديث ، ونحن قوم مورتزون مستميتون ، لا نريد أن نرجع إلى ديارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه . فقال عكرمة بن أبي جهل : أنا أول من أجاب إلى ما دعوت إليه ، وقال عمرو بن العاص مثل ذلك ، فمشى في ذلك

(١) الواقدي : « لا أظهار » (٢) من الواقدي .

(٣) ابن هشام ٣ : ٤ : « إني بني عبد مناة » . والرزّام : جمع رازم ؛ وهو الذي يثبت في مكانه لا يبرحه ، تقول : رزم البعير ، إذا ثبت في مكانه .

(٤) ابن هشام : « لا تعدوني » .

(٥) ب : « أرغبوا » ، وأثبت ما في الواقدي ، وأوعبوا ، أي خرجوا لافرو .

(٦) الظعن : جمع ظعينة ؛ وهي المرأة في اليهودج ؛ وأصل الظعينة اليهودج ، سميت المرأة به اقربها منه في السفر ؛ وقيل : سميت ظعينة لأنها تظعن مع زوجها .



نوفل بن معاوية الدَّيْلِيّ ، فقال : يامعشر قريش ، هذا ليس برأى ، أن تعرضوا حُرَمَكُمْ لعدوكم ؛ ولا آمن أن تكون الدَّيْرَةُ<sup>(١)</sup> لهم فتفتضحوا في نساءكم . فقال صفوان : لا كان غير هذا أبدا ! فجاء نوفل إلى أبي سفيان بن حرب فقال له تلك المقالة ، فصاحت هند بنت عتبة : إنك والله سلّمت يوم بدر ، فرجعت إلى نساءك ؛ نعم نخرج فنشهد القتال ، فقد رُدَّت القيان من الحبيفة في سفرهم إلى بدر ، فقتلت الأحبة يومئذ . فقال أبو سفيان : لست أخالف قريشا ، أنا رجلٌ منها ؛ ما فعلتُ فمِلْتُ ، فخرجوا بالظُّعُن ، فخرج أبو سفيان بن حرب بامراتين : هند بنت عتبة بن ربيعة وأميمة بنت سعد بن وهب بن أشيم بن كنانة ، وخرج صفوان بن أمية بامراتين : برزة بنت مسعود الثقفي وهي أم عبد الله الأكبر والبقوم بنت المعدل من كنانة ، وهي أم عبد الله الأصغر ، وخرج طلحة بن أبي طلحة بامراته سُلَافَة بنت سعد بن شهيد ، وهي من الأوس ، وهي أم بنيه : مسافع ، والحارث ، وكلاب والجلال بن أبي طلحة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بامراته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بامراته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج عمرو بن العاص بامراته هند بنت منبّه بن الحجاج ، وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص - وقال محمد بن إسحاق اسمها : رِبْطَة - وخرجت خُناص بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بني مالك بن حنّس مع ابنها أبي عزيز بن عجير ، أخى مُضْعَب بن عجير من بني عبد الدار ، وخرج الحارث بن سفيان بن عبد الأسد بامراته رَمْلَة بنت طارق بن علقمة الكنانية ، وخرج كنانة بن عليّ بن ربيعة بن عبد العزّزيّ بن عبد شمس بن عبد مناف بامراته أم حكيم بنت طارق ، وخرج سفيان بن عوف بامراته قُتَيْلَة بنت عمرو بن هلال ، وخرج النعمان بن عمرو وجابر مسك الذئب أخوه ؛ بأمهما

(١) الدَّيْرَةُ : العاقبة .

(٢) من أ والواقدي .

الدُّغْنِيَّة ، وخرج غراب بن سفيان بن عوف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية ، وهي التي رفعت لواء قريش حيث سقط حتى تراجعت قريش إلى لوائها ، وفيها يقول حسان :

ولولا لواء الحارثيَّة أصبحوا يباعون في الأسواق بالثمن البَخْس  
قالوا : وخرج سفيان بن عوف بعشرة من ولده ، وحشدت بنو كنانة . وكانت الألوية يومَ خرجوا من مكة ثلاثة عقدوها في دار الندوة ؛ لواء يحمله سفيان بن عوف لبني كنانة ، ولواء الأحابيش يحمله رجل منهم ، ولواء لقريش يحمله <sup>(١)</sup> طلحة بن أبي طلحة .

قال الواقدي : ويقال خرجت قريش ولها <sup>(٢)</sup> كلهم ؛ من كنانة والأحابيش وغيرهم على لواء واحد ، يحمله طلحة بن أبي طلحة . وهو الأثبت عندنا .

قال : وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى <sup>(٣)</sup> إليها ، وكان فيهم من ثقيف مائة رجل ، وخرجوا بعمدة وسلاح كثير ، وقادوا مائتي فرس ، وكان فيهم سبعمائة دراع وثلاثة آلاف بعير . فلما أجمعوا على المسير كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً ، وختمه ، واستأجر رجلاً من بني غفار ، وشرط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره أن قريشاً قد اجتمعت <sup>(٤)</sup> للمسير إليك ؛ فما كنت صانعاً إذا خلوا <sup>(٥)</sup> بك فاصنعه . وقد وجهوا وهم ثلاثة آلاف ، وقادوا مائتي فرس ، وفيهم سبعمائة دراع ، وثلاثة آلاف بعير ، وقد أوعبوا من السلاح . فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ، وجده بقباء ، فخرج حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وآله على باب مسجد قباء يركب

(١) ب : « يحمله » ، وأثبت ما في ا والواقدي .

(٢) لها ، أي من اجتمع إليها من القبائل .

(٣) ضوى إليها : انضم إليها ، وفي ا والواقدي : « انضم » .

(٤) ا : « أجمعت المسير » . (٥) ب : « خلوا » وأثبت ما في ا والواقدي .



حماره ، فدفن إليه الكتاب ، فقرأه عليه أبي بن كعب ، واستكنتم أيًا مافيه ، ودخل منزل سعد بن الربيع ، فقال : أفي البيت أحد ؟ فقال سعد : لا ، فتكلم بحاجتك ، فأخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب ، فجعل سعد يقول : يا رسول الله ، والله إنني لأرجو أن يكون في ذلك خير ، وأرجفت <sup>(١)</sup> يهود المدينة والمنافقون ، وقالوا : ما جاء محمدًا شيء يحبه ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وقد استكنتم سعد بن الربيع الخبر . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من منزله ، خرجت امرأة سعد بن الربيع إليه ، فقالت : ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مالك ولذاك ، لا أم لك ! قالت : كنت أستمع عليكم ، وأخبرت سعدًا الخبر ، فاسترجع سعد ، وقال : لا أراك تستمعين علينا وأنا أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تكلم بحاجتك ! ثم أخذ يجمع لقماتها <sup>(٢)</sup> ، ثم خرج يمدو بها حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله بالجسر ، وقد بلّحت ، فقال : يا رسول الله ، إن امرأتى سألتني عما قلت فكتمتها ، فقالت : قد سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاءت بالحديث كله - فخشيت يا رسول الله أن يظهر من ذلك شيء فتظن أنني أفشيت سرّك ، فقال صلى الله عليه وسلم : خلّ سبيلها . وشاع الخبر بين الناس عمير قريش . وقدم عمرو بن سالم الخزاعي في نفر من خزاعة ، ساروا من مكة أربعة ، فوافوا قريشا وقد عسكروا بذي طوى ، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر ، ثم انصرفوا واتوا قريشا بيطن رابع ، وهو أربع ليال من المدينة ، فنكبوا عن قريش .

قال الواقدي : فلما أصبح أبو سفيان بالأبواء أخبر أن عمرو بن سالم وأصحابه راحوا أمس عشرين إلى مكة ، فقال أبو سفيان : أحلف بالله أنهم جاءوا محمدًا فخبروه بمسيرنا وعددنا <sup>(٣)</sup> ، وحذروه منا ، فهم الآن يلزمون صياصيتهم ، فما أرانا نصيب منهم شيئًا في وجهنا . فقال صفوان بن أمية : إن لم يصحروا <sup>(٤)</sup> لنا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه ،

(١) الواقدي : « وقد أرجفت » ،

(٢) « لبنها »

(٣) الواقدي : « فأخبروه بعددنا » .

(٤) أصحروا : خرجوا إلى الصحراء ؛ وهو الفضاء



فتركناهم ولا أموال لهم ، فلا يختارونها أبداً ، وإن أصبحوا لنا فعدونا أكثر من عددهم ، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ، ولنا خيل ولا خيل معهم ، ونحن نقاتل على وتر عندهم ولا وتر لهم عندنا .

قال الواقدي : وكان أبو عامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلاً من الأوس ، حتى قدم بهم مكة حين قدم النبي صلى الله عليه وآله يحرثها ويعلمها أنها على الحق ، وما جاء به محمد باطل ، فسارت قريش إلى بدر ، ولم يسر معها ، فلما خرجت قريش إلى أحد سار معها ، وكان يقول لقريش : إني لو قدمت على قومي لم يختلف عليكم منهم اثنان ، وهؤلاء معي نفر منهم خمسون رجلاً . فصدقوه بما قال ، وطمعوها في نصره .

قال الواقدي : وخرج النساء معهن الدفوف يحرثن الرجال ويذكرونهم قتلى بدر في كل منزل ، وجعلت قريش تنزل كل منهل ، يفتحون ما يحروا من الجزر مما كانوا جمعوا من العين ، ويتقوون به في مسيرهم ، ويأكلون من أزوادهم مما جمعوا من الأموال .

قال الواقدي : وكانت قريش لما مرت بالأبواء ، قالت : إنكم قد خرجتم بالطعن معكم ونحن نخاف على نساءنا فمالوا تنبش قبر أم محمد ، فإن النساء عورة ، فإن يصب من نساءكم أحداً قاتم هذه رمة أمك ، فإن كان برأ بأمه - كما يزعم - فلعمري لنفادينهم برمة أمه ، وإن لم يظفر بأحد من نساءكم فلعمري ليفدين رمة أمه بما لكثير إن كان بها برأ . فاستشار أبو سفيان بن حرب أهل الرأي من قريش في ذلك ، فقالوا : لا تذكر من هذا شيئاً ، فلو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا .

قال الواقدي : وكانت قريش بذى الحليفة يوم الخميس صبيحة عشر من محرم من مكة ؛ وذلك خمس ليال مضين من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة ، فلما



أصبحوا بذى الخليفة خرج فرسان منهم فأنزلوهم الوطاء<sup>(١)</sup> ، وبعث النبي صلى الله عليه وآله عيين له . آنسا ومؤنسا ابني فضالة ليلة الخميس ، فاعترضا لقريش بالعقيق ، فسارا معهم ، حتى نزلوا الوطاء ، وأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبراه ، وكان المسلمون قد ازدرعوا العرض<sup>(٢)</sup> - والعرض ما بين الوطاء بأحد إلى الجرف إلى العرضة ، عرضة البقل اليوم ، وكان أهله بنو سلمة وحارثة وظفر وعبد الأشهل ، وكانت المساء يومئذ بالجرف نشطة لا يرم سائق الناضح مجلسا واحدا ينقل الجمل في ساعته ، حتى ذهبت بمياهه عيون الغابة التي حفرها معاوية بن أبي سفيان<sup>(٣)</sup> ، وكان المسلمون قد أدخلوا آلة زرعهم ليلة الخميس المدينة ، فقدم المشركون على زرعهم فخلوا فيه إبلهم وخيولهم ، وكان لأسيد بن حضير في العرض عشرون ناضحا تسقى شعيرا ، وكان المسلمون قد حذروا على جهالم وعمالم وآلة حرثهم ، وكان المشركون يرعون يوم الخميس ، فلما أمسوا جمعوا الإبل وقصلوا عليها القصيل ، وقصلوا على خيولهم ليلة الجمعة ، فلما أصبحوا يوم الجمعة خلوا ظهرهم في الزرع وخیلهم ، حتى تركوا العرض ليس به خضراء .

قال الواقدي : فلما نزلوا وحلوا العقدة ، واطمأنوا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الحباب بن المنذر بن الجوح إلى القوم ، فدخل فيهم وحزر ونظر إلى جميع ما يريد ، وكان قد بعثه سرا ، وقال له : إذا رجعت فلا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى في القوم قلة ، فرجع إليه فأخبره خاليا ، وقال له : رأيت عددا حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، والخيول مائتي فرس ، ورأيت دروعا ظاهرة حزرتها سبعمائة درع . قال : هل رأيت ظمنا ؟ قال : نعم رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار - وهي الطبول - فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أردن أن يحرضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر ، هكذا

(١) الوطاء : ما انخفض من الأرض . (٢) العرض : الوادي .

(٣) كذا وردت العبارة في الأصول وفي الواقدي وفيها غموض .

جاءني خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفاً ، حسبنا الله ونعم الوكيل ! اللهم بك أحول ،  
وبك أصول !

قال الواقدي : وخرج سلمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة ، حتى إذا كان بأدنى العرض  
إذا طبيعة خيل المشركين عشرة أفراس ركضوا في أثره ، فوقف لهم على نثر<sup>(١)</sup> من  
الحرة ، فرشقهم بالنبل مرة ، وبالحجارة أخرى حتى انكشفوا عنه ، فلما ولوا جاء إلى  
مزرعته بأدنى العرض ، فاستخرج سيفاً كان له ، ودرع حديد كان له ، دفنا في  
ناحية المزرعة ، وخرج بهما يعدو ، حتى أتى بني عبد الأشهل ، فخبّر قومه  
بما لقي .

قال الواقدي : وكان مقدم قريش يوم الخميس لحس خلون من شوال ، وكانت الوقعة  
يوم السبت لسبع خلون من شوال ، وباتت وجوه الأوس والخزرج : سعد بن معاذ وأسيد  
ابن حضير ، وسعد بن عباد ، في عدة منهم ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد يباب  
النبي صلى الله عليه وآله خوفاً من تبليت المشركين ، وحُرست المدينة تلك الليلة ، حتى  
أصبحوا ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله رؤيا ليلة الجمعة ، فلما أصبح واجتمع  
المسلمون خطبهم .

قال الواقدي : فحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن  
ليد ، قال : ظهر النبي صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ،  
إني رأيتُ في منامي رؤيا ؛ رأيتُ كأنني في درع حصينة ، ورأيتُ كأن سيوف الفقار  
انقسم<sup>(٢)</sup> من عند ظبته ، ورأيتُ بقرا تذبح ، ورأيتُ كأنني مردف كبشا ، فقال الناس :  
يا رسول الله ، فما أولتها ؟ قال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، وأما

(١) ب : « نثرة »

(٢) أ والواقدي : « انقسم » .



انقسام<sup>(١)</sup> سيفي عند طَبَّتِه فصيبة في نفسى ، وأما البقر المذبح فقتل في أصحابي ؛ وأما أنى مردف<sup>(٢)</sup> كبشا فكش الكتيبة نقتله إن شاء الله .

قال الواقدي : وروى عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « أما انقسام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي » .

قال الواقدي : وروى المسور بن مخرمة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : ورأيت في سيفي كَفْلاً فكرهته ، هو الذى أصاب وجهه عليه السلام .

قال الواقدي : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشيروا علىّ ، ورأى صلى الله عليه وآله ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحب أن يوافق على مثل ما رأى ؛ وعلى ما عثر عليه الرؤيا ، فقام عبد الله بن أبيّ ؛ فقال : يا رسول الله ، كنّا نقاتل في الجاهلية في هذه المدينة ، ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي ، ونجعل معهم الحجارة ، والله لربما مكث الولدان شهرا ينقلون الحجارة ، إعداداً لعدونا ، ونشيك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية ، وترى المرأة والصبي من فوق الصياصي والآطام ، ونقاتل بأسياقنا في السكك . يا رسول الله إن مدينتنا عذراء ما فُضت علينا قط ، وما خرجنا إلى عدوّ قطّ منها إلا أصاب منا ، وما دخل علينا قطّ إلا أصبناه ، فدعهم يا رسول الله ، فإنهم إن أقاموا أقاموا بشرّ محبس ، وإن رجعوا رجعوا خاسرين مغلوبين ، لم ينالوا خيراً . يا رسول الله ، أطلعني في هذا الأمر ، واعلم أنى ورثتُ هذا الرأى من أكابر قومي وأهل الرأى منهم ، فهم كانوا أهل الحرب والتجربة .

قال الواقدي : فكان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مع رأى ابن أبيّ ، وكان ذلك رأى الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : امكثوا في المدينة ، واجعلوا النساء والذراري في  
الآطام ، فإن دُخِل علينا قاتلناهم في الأزقة ، فنحن أعلمُ بها منهم ، ورُمُوا من فوق الصياصي  
والآطام - وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، فهي كالحصن - فقال فتیان  
أحداث لم يشهدوا بدرا ، وطلبوا من رسول الله الخروج إلى عدوهم ، ورغبوا في الشهادة ،  
وأحبوا لقاء العدو ، وقالوا : اخرج بنا إلى عدونا ، وقال رجال من أهل النّبه<sup>(١)</sup> وأهل  
السّن ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن عباد ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة وغيرهم من  
الأوس والخزرج : إنا نخشى يا رسول الله ، أن يظنّ عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جُبْنًا  
عن لقاءهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر في ثلثمائة رجل ، فظفرك الله  
بهم ، ونحن اليوم بشر كثير ، وكنا نتمنى هذا اليوم ، وندعو الله به ، فقد ساقه الله إلينا  
في ساحتنا هذه - ورسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى من إلحاحهم كاره ، وقد لبسوا  
السلّاح يخطرون بسيوفهم ، يتساوّمون كئُتهم الفحول . وقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد  
الخدريّ : يا رسول الله ، نحن والله بين إحدى الحسينين ، إما يظفّرنا الله بهم ، فهذا الذي  
نريد ، فيذلهم الله لنا ، فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم إلا الشريد ،  
والأخرى يا رسول الله يرزقنا الله الشهادة ، والله يا رسول الله ، ما نبالي أيهما كان ، إن كلاً  
لفيه الخير . فلم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله رجع إليه قولا ، وسكت . وقال حمزة بن  
عبد المطلب : والذي أنزل عليه الكتاب ، لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي  
خارجاً من المدينة ، وكان يقال : كان حمزة يوم الجمعة صائماً ، ويوم السبت ، فلاقاهم  
وهو صائم .

وقال النعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بني سالم : يا رسول الله ، أنا أشهد أن البقر  
المذبح قتلى من أصحابك ، وأنت منهم ، فلم تحرمنا الجنة ؟ فوالله الذي لا إله إلا هو



لأَدْخُلْنَهَا . قال رسول الله : بم ؟ قال : إني أحب الله ورسوله ، ولا أفرُّ يوم الزحف . فقال : صدقت ، فاستشهد يومئذ .

وقال أياس بن أوس بن عتيك : يا رسول الله ، نحن بنو عبد الأشهل من البقر المذبح ، نرجو يا رسول الله أن نذبح في القوم ، ويُذبح فينا ، فنصير إلى الجنة ، وبصيرون إلى النار ، مع أني يا رسول الله لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها ، فتقول : حصرنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها ، فتكون هذه جرأة لقريش ، وقد وطئوا سقفنا ؛ فإذا لم نذب عن عرضنا ، فلم نذرع ؟ وقد كُنَّا يا رسول الله في جاهليتنا ، والعرب يأتوننا ، فلا يطعمون بهذا منا حتى نخرج إليهم بأسيا فنفذبهم عنا ، فنحن اليوم أحقُّ إذ أمدنا الله بك ، وعرفنا مصيرنا ، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا .

وقام خيشمة ، أبو سعد بن خيشمة فقال : يا رسول الله ، إن قريشا مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومن اتبعها من أحايishها ثم جاءونا قد قادروا الخيل ، واعتلوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا ، فيحسرونا في بيوتنا وصياصينا ، ثم يرجعون وافر ين لم يكلموا ، فيجرحهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا ، ويصيبوا أطلالنا ويضعوا العيون والأرصاد علينا ، مع ما قد صنعوا بحروثنا ، ويجترى علينا العرب حولنا حتى يطعموا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم ، فنذبهم عن حريمنا ، وعسى الله أن يظفرننا بهم ، فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الأخرى ، فهي الشهادة . لقد أخطأتني وقعة بدر ، وقد كنت عليها حريصاً ؛ لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج ، فخرج سهمه ، فرزق الشهادة وقد كنت حريصاً على الشهادة ، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ، وهو يقول الحق بنا تراقبنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة ، وقد كبرت سني ، ودق عظمي ، وأحببت

ثُمَّ رَجَى ، فَادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ ، وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ ؛ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِذَلِكَ ، فَتَمَثَّلَ بِأَحَدٍ شَهِيداً .

قَالَ أَنَسُ بْنُ قَتَادَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ هِيَ إِحْسَادِي الْحُسَيْنِيِّينَ ، إِمَّا الشَّهَادَةَ وَإِمَّا الْغَنِيمَةَ وَالْظَّفَرَ بِقَتْلِهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْهَزِيمَةَ .

فَلَمَّا أُبَيِّنُوا إِلَى الْخُرُوجِ وَالْجِهَادِ ، صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدَّةِ وَالْاجْتِهَادِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوا ؛ فَقَرَحَ النَّاسُ حَيْثُ أَعْلَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالشُّخُوصِ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَكَرِهَ ذَلِكَ الْخُرُوجَ بِشَرِّ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ لِعَدُوِّهِمْ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ بِالنَّاسِ ، وَقَدْ حَشَّدَ النَّاسَ وَحَضَرَ أَهْلُ الْعَوَالِي ، وَرَفَعُوا النِّسَاءَ إِلَى الْأَطَامِ ، فَخَضِرَتْ بَنُو عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ بِإِفْهَاءِهَا ، وَالتَّبَيُّتُ وَانْتِهَاءُهَا ؛ وَتَلَبَّسُوا السَّلَاحَ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْتَهُ ، وَدَخَلَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَعَمَّمَاهُ وَلِبَاسَهُ وَصَفَّ [النَّاسَ] <sup>(١)</sup> لَهُ مَا بَيْنَ حَجْرَتِهِ إِلَى مَنْبَرِهِ ؛ يَنْتَظِرُونَ <sup>(٢)</sup> خُرُوجَهُ ، فَجَاءَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، فَقَالَا لَهُمْ : قُلْتُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا قُلْتُمْ ، وَاسْتَكْرَهْتُمُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ ، وَالْأَمْرُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ ، فَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَيْهِ ، فَمَا أَمَرَكُمْ فافْعَلُوهُ ، وَمَا رَأَيْتُمْ فِيهِ [نَه] <sup>(١)</sup> هَوًى أَوْ أَدْبًا فَاطِيعُوهُ . فَبَيْنَا <sup>(٢)</sup> الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَقُولُ : الْقَوْلُ مَا قَالَ سَعْدٌ ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى الْبَصِيرَةِ عَلَى الشُّخُوصِ ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ كَارَهُ ؛ إِذْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ لَبَسَ لِأُمَّتِهِ ، وَقَدْ لَبَسَ الدَّرْعَ فَأُظْهِرَهَا ، وَحَزَمَ وَسْطَهَا بِمِنْطَقَةٍ مِنْ حِمَائِلِ سَيْفٍ مِنْ أَدَمٍ كَانَتْ بَعْدَ عِنْدِ آلِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاعْتَمَ ، وَتَقَلَّدَ السَّيْفَ . فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَدَمُوا جَمِيعاً

(٢) كَذَا فِي الْوَاقِدِيِّ ، وَفِي ب « يَنْتَظِرُونَ » .

(١) مِنَ الْوَاقِدِيِّ .

(٣) ١ : « فَبَيْنَا » ، وَهِيَ رَوَايَةُ الْوَاقِدِيِّ .



على ما صنعوا ، وقال الذين يلحقون على رسول الله صلى عليه وآله : ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك ، فقال : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأيتتم ، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . قال : وكانت الأنبياء قبله إذا لبس النبي لأمته لم يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . ثم قال لهم : انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله ؛ فلكم النصر ما صبرتم .

\*\*\*

قلت : فمن تأمل أحوال المسلمين في هذه الغزاة ، من فشلهم وخوارهم واختلافهم في الخروج من المدينة والمقام بها ؛ وكرهه النبي صلى الله عليه وآله للخروج ، ثم خروجه على مضض ، ثم ندم القوم الذين أشاروا بالخروج ، ثم انحزال طائفة كثيرة من الجيش عن الحرب ، ورجوعهم إلى المدينة ، علم أنه لا انتصار لهم على العدو أصلاً ، فإن النصر معروف بالعزم والجد والبصيرة في الحرب ، واتفاق السكامة . ومن تأمل أيضاً هذه الأحوال ؛ علم أنها ضد الأحوال التي كانت في غزاة بدر ، وأن أحوال قريش لما خرجت إلى بدر كانت مماثلة لأحوال المسلمين لما خرجوا إلى أحد ؛ ولذلك كانت الدبرة في بدر على قريش .

قال الواقدي : وكان مالك بن عمرو النجاري مات يوم الجمعة ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فلبس لأمته وخرج وهو موضوع عند موضع الجنازة صلى<sup>(١)</sup> عليه ، ثم دعا بدابته ، فركب إلى أحد .

\*\*\*

قال الواقدي : وجاء جعيل بن سُرَاقَة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى أحد ، فقال : يا رسول الله ، قيل لي : إنك تقتل غداً - وهو يتنفس مكروباً - ف ضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده إلى صدره ، وقال : أليس الدهر كله غداً ! قال : ثم دعا بثلاثة أرماح ، فعقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ، ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر بن الجموح - ويقال إلى سعد بن عباد - ودفع لواء المهاجرين

(١) ب : « فصل » ، والصواب ما أثبتته من ١ والواقدي .

إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام - ويقال إلى مصعب بن عمير - ثم دعا بفروسه، فركبه؛  
وتقلّد القوس وأخذ بيده قنّاة - زجّ الرّمح يومئذ من شبه - والمسلّون متلبّسون السلاح،  
قد أظهروا الدروع، فهم مائة دارع؛ فلما ركب صلى الله عليه وآله خرج السّقدان أمامه  
يعدّوان: سعد بن معاذ وسعد بن عباد؛ كلّ واحدٍ منهما دارع، والناس عن يمينه وشماله  
حتى ملّك على البدائع، ثم زقاق الحسّى، حتى أتى الشّيعين - وهما أطمان كانا في الجاهلية  
فيهما شيخ أعشى وعجوز عمياء يتحدّثان، فسَمّى الأطمان الشّيعين - فلما انتهى إلى رأس  
الغنيّة، التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل<sup>(١)</sup> خلفه، فقال: ما هذه؟ قال: هذه حلفاء<sup>(٢)</sup>  
ابن أبيّ من اليهود، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا نستنصر بأهل الشّرك على  
أهل الشّرك. ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وعرض عسكره بالشّيعين، فعرض  
عليه غلمان، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والنّعمان  
ابن بشير، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأسيّد بن ظهير، وعرابة بن أوس،  
وأبو سعيد الخدريّ، وسُمرة بن جندب، ورافع بن خديج.

قال الواقديّ: فردّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال رافع بن خديج: فقال  
ظهير بن رافع: يا رسول الله، إنه رامّ يعينني. قال: وجعلتُ أنطاول، وعليّ خفّان لي،  
فأجازني رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أجازني قال سُمرة بن جندب لمريّ بن سنان  
الحارثيّ - وهو زوج أمّه: يا أبايّه، أجاز رسول الله صلى الله عليه وآله رافع بن خديج، وردّني  
وأنا أصرع رافعا! فقال مريّ: يا رسول الله، ردّدت ابني، وأجزت رافع بن خديج  
وابني يصرعه! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تصارعا، فصرع سُمرة رافعا، فأجازه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الواقديّ: وأقبل ابن أبيّ، فنزل ناحية العسكر، فجعل حلفاؤه ومن معه<sup>(٣)</sup> من  
المنافقين يقولون لابن أبيّ: أشرت عليه بالرأي، ونصحتّه وأخبرته أنّ هذا رأي من

(١) الزجل، بحركة: رفع الصوت والجلبة (٢) ب: «حلفاء».

(٣) كذا في ١ والواقدي وفي ب: «زعة».



مضى من آبائك ، وكان ذلك رأيه مع رأيك ؛ فأبى أن يقبله ، وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه . قال : فصادفوا من ابن أبي نفاقا وغشاً ، فبات رسول الله صلى الله عليه وآله بالشيخين ، وبات ابن أبي في أصحابه ، وفرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من عرض من عرض ، وغابت الشمس ، فأذن بلال بالمغرب ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ، ثم أذن بالعشاء ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله نازل في بني النجار ، واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطيفون بالسكر ، حتى أدلج<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان المشركون قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أدلج ، ونزل بالشيخين ، فجمعوا خيلهم وظهرهم ، واستعملوا على حرسهم عكرمة بن أبي جهل في خيل من المشركين ؛ وباتت صاهلة خيلهم لا تهدأ ، تدنو طلائعهم ؛ حتى تلتصق بالحرّة ، فلا تصعد فيها حتى ترجع خيلهم ، ويهابون موضع الحرّة ، ومحمد بن مسلمة مركزتهن كغيره من رسله

قال الواقدي : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين صلى العشاء : من يحفظنا الليلة ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله فقال : من أنت ؟ قال : ذكوان بن عبد القيس ، فقال : اجلس ، ثم قال ثانية : من رجل يحفظنا الليلة ؟ فقال رجل ، فقال : من أنت ؟ قال : أبو سبيع ، قال : اجلس ، ثم قال ثالثة مثل ذلك ، فقال رجل ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا ابن عبد قيس ؛ فكث رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة ، ثم قال : قوموا ثلاثكم ، فقال ذكوان بن عبد قيس ، فقال رسول الله : وأين صاحبك ؟ فقال ذكوان : أنا الذي كنت أجيبك الليلة ؛ قال : فاذهب حفظك الله .

\*\*\*

قلت : قد تقدم هذا الحديث بذاته في غزوة بدر ، وظاهر الحال أنه مكرّر ،

(١) الادلاج : السير في آخر الليل .

وأنه إنما كان في غزاة واحدة ، ويجوز أن يكون قد وقع في الغزاتين ، ولكن على بعد .  
قال الواقدي : فليس ذكوان درعه ، وأخذ درّقه ، فكان يطوف على العسكر تلك الليلة ، ويقال : كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله لم يفارقه .

قال : ونام رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ادّج ، فلما كان في السحر ، قال رسول الله : أين الأدلاء ؟ من رجل يدلّنا على الطريق ، ويخرجنا على القوم من كئيب ؟ فقام أبو خزيمة الحارثي ، فقال : أنا يا رسول الله ، ويقال : أوس بن قيثي ويقال : محيصة .

قال الواقدي : وأثبت ذلك عندنا أبو خزيمة ، فخرج برسول الله صلى الله عليه وآله ، وركب فرسه ، فسلك به في بني حارثة ، ثم أخذ في الأموال حتى مرّ بمحائط مريع بن قيثي ؛ وكان أعمى البصر منافقا ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله حائطه ، قام يحثي التراب في وجوه المسلمين ، ويقول : إن كنت رسول الله فلا تدخل حائطي ، فلا أحله لك .

قال محمد بن إسحاق : وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب ، وقال : والله لو أعلم أني لأصيب غيرك يا محمد لضربت بها وجهك <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : فضربه سعد بن زيد الأشملي بقوس في يده فشجّه في رأسه ، فنزل الدم ، فغضب له بعض بني حارثة ممن هو على مثل رأيه ، فقال : <sup>(٢)</sup> هي على عداوتكم يا بني عبد الأشهل ، لاتدعونها أبداً لنا <sup>(٣)</sup> . فقال أسيد بن حضير : لا والله ، ولكن نفاقكم ، والله لو لا أني لا أدري ما يوافق النبي صلى الله عليه وآله لضربت عنقه وعنق من هو على مثل رأيه .

قال : ونهاهم النبي صلى الله عليه وآله عن الكلام فأسكتوا .

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩ .

(٢ - ٣) الواقدي : « هي عداوتكم يا بني عبد الأشهل لا تدعوها أبداً » .



وقال محمد بن إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : دعوه ، فإنه أعمى البصر ، أعمى القلب . يعنى مربع بن قبيط<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فبينما هو في مسيره إذ ذب فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كلاب سيفه ، فسل سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا صاحب السيف ، شيم<sup>(٢)</sup> سيفك ، فأتى أخال السيوف سنبل اليوم فيكثرة سلبها . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب الغنم ، ويكره الظيرة ، قال : ولبس رسول الله صلى الله عليه وآله من الشيخين درعاً واحدة ، حتى انتهى إلى أحد ، فلبس درعاً أخرى ، ومغفراً ، وبيضة فوق المغفر ، فلما نهض رسول الله صلى الله عليه وآله من الشيخين ، زحف المشركون على نعبية حتى انتهوا إلى موضع أرض ابن عامر اليوم ، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع القنطرة اليوم جاءه ، وقد حانت الصلاة ، وهو يرى المشركين ، أمر بلالاً فأذن ، وأقام وصلى بأصحابه الصبح صفوفاً ، وانخزل عبد الله بن أبي من ذلك المكان في كتيفته ، كأنه هقيق<sup>(٣)</sup> تقدّمهم ، فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : أذكركم الله ودينكم ونبيكم ، وما شرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم ! فقال ابن أبي : ما أرى أنه يكون بينهم قتال ، وإن أظعني يا أبا جابر لترجعن ، فإن أهل الرأي والحجى قد رجعوا ، ونحن ناصروه في مدينتنا ، وقد خالفنا ، وأشرت عليه بالرأى فأتى إلا طواغية الغلمان . فلما أبى على عبد الله بن عمرو أن يرجع ، ودخل هو وأصحابه أزقة المدينة ، قال لهم أبو جابر : أبعدم الله ! إن الله سيفي النبي والمؤمنين عن نصركم . فانصرف ابن أبي ، وهو يقول : أبصيني ويطيع الولدان ! وانصرف عبد الله بن عمرو يعدو حتى لحق رسول الله وهو يسوي الصفوف ، فلما أصيب أصحاب

(٢) شيم سيفك ، أي انمده .

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩

(٣) الهيق : ذكر النعام .



رسول الله صلى الله عليه وآله سُرى ابنُ أبيّ ، وأظهر الشّمانة ، وقال : عصاني وأطاع مَنْ لا رأى له !

قال الواقدي : وجعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله يصف أصحابه ، وجعل الرّماة خمسين رجلاً على عينين ، عليهم عبد الله بن جُبَيْر ، ويقال : سعد بن أبي وقاص - والشّدت أنه عبد الله بن جُبَيْر - قال : وجعل أحداً خُلف ظهره ، واستقبل المدينة ، وجعل عينين عن يساره ، وأقبل المشركون ، واستدبروا المدينة في الوادي ، واستقبلوا أحداً ، ويقال : جعل عينين خُلف ظهره ، واستدبر الشمس ، واستقبلها المشركون .

قال : والقول الأول أثبت عندنا ، أنّ أحداً كان خُلف ظهره ، وهو عليه السلام مستقبل المدينة .

قال : ونهى أن يقاتل أحدٌ حتى يأمرهم بالقتال ، فقال عُمارَةُ بن يزيد بن السكّن : أنّي نغير على زرع بني قيلة ولما نصارب ! وأقبل المشركون قد صفّوا صفوفهم ، واستعملوا على اليمين خالد بن الوليد ، وعلى اليسرة عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مجذبتان ، مائتا فرس ، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية - ويقال عمرو بن العاص - وعلى الرّماة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائة رامٍ ، ودفعوا اللّواء إلى طلحة بن أبي طلحة - واسم أبي طلحة عبدالله<sup>(١)</sup> ابن عبد العزّي بن عثمان بن عبد الدّار بن قصي - وصاح أبو سفيان يومئذ : يا بني عبد الدّار ! نحن نعرف أنكم أحقّ باللّواء منا ، وأنا إنّما أتينا يوم بدر من اللّواء ، وإنّما يؤنّي القوم من قبيل لوائهم ، فالزموا اللّواءكم ، وحافظوا عليه ، وخلّوا بيننا وبينه ، فإنّا قوم مستميتون موتورون ، نطلب ثأراً حديث العهد . وجعل يقول : إذا زالت الألوية ، فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها ! فضربت بنو عبد الدّار ، وقالوا : نحن نسلم لواءنا ! لا كان هذا أبداً ! وأمّا المحافظة<sup>(٢)</sup> عليه فستري . ثم أسعدوا الرّماح إليه ، وأحدثت به بنو عبد الدّار ،

(١) في الواقدي : « عبد العزّي بن عثمان » .

(٢) في الواقدي : « فأما المحافظة عليه » .



وأغلظوا لأبي سفيان بعضَ الإغلاظ ، فقال أبو سفيان : فنجعل لواء آخر ؟ قالوا : نعم ، ولا يحمّله إلا رجل من بني عبد الدار ، لا كان غير ذلك أبدا !

قال الواقدي : وجعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله يمشي على رجله ، يسوي تلك الصفوف ، ويبوي أصحابه مقاعد للقتال ، يقول : تقدّم يافلان ، وتأخر يافلان ، حتى إنه يرى منكب الرجل خارجا فيؤخّره ، فهو يقوّمهم ، كأنما يقوم القِداح ، حتى إذا استوت الصفوف ، سأل : مَنْ يحمل لواء المشركين ؟ قيل : عبد الدار ، قال : نحن أحقّ بالوفاء منهم ، أين مُصعب بن عمير ؟ قال : ها أنذا ؛ قال : خذ اللواء ، فأخذه مصعب فتقدّم به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال البلاذري : أخذه من عليّ عليه السلام ، فدفعه إلى مصعب بن عمير ، لأنه من بني عبد الدار <sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : ثمّ قام عليه السلام ، فخطب الناس ، فقال صلى الله عليه وسلم : أيّها الناس ، أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته ، والتناهي عن محارمه ، ثمّ إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين والجِدّة والنشاط ، فإنّ جهاد العدو شديد كربه ، قليل مَنْ يصير عليه ، إلا مَنْ عزم له على رشده . إنّ الله مع مَنْ أطاعه ، وإنّ الشيطان مع مَنْ عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي أمركم به ، فإنّي حريص على رشدكم . إنّ الاختلاف والتنازع والتبليط من أمر العجز والضعف ، وهو مما لا يحبّه الله ولا يعطى عليه النصر والظفر . أيّها الناس إنه قدّف في قلبي أنّ مَنْ كان على حرام فرغ عنه ابتغاء ما عند الله غفر الله له ذنبه ، ومن صلى على محمد <sup>(٢)</sup> صلى الله عليه وملائكته

(١) أسباب الأشراف ١ : ٣١٧ .

(٢) ١ ، والواقدي : « ومن صلى على » .



عشرا ، وَمَنْ أَحْسَنَ؟ مَنْ مُسْلِمٌ أَوْ كَافِرٌ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ أَوْ فِي آجِلِ آخِرَتِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، إِلَّا صَبِيًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ مَرِيضًا أَوْ عَبْدًا مَمْلُوكًا ، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنْهَا اسْتَغْنَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ غَنِيًّا حَمِيدٌ . مَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يَقْرَبُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يَقْرَبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ نَفَثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقِهَا ، لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنَّ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ، وَأَجْلُوا فِي حَلِّبِ الرِّزْقِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاؤُهُ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ، قَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، غَيْرَ أَنَّ بَيْنَهُمَا شُكًّا مِنَ الْأَمْرِ لَمْ يَعْلَمْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ ، فَمَنْ تَرَكَهَا حَفِظَ عِرْضَهُ وَدِينَهُ ، وَمَنْ وَقَعَ فِيهَا كَانَ كَالرَّاعِي إِلَى جَنْبِ الْحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ وَيَفْعَلَهُ ، وَلَيْسَ مَلِكٌ إِلَّا وَلَهُ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ ، وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَدِّ ، إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى إِلَيْهِ سَائِرُ جَسَدِهِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

قال الواقدي : لَخَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ رَبَاحٍ ، عَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَنْشَبَ الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ أَبُو عَامِرٍ ، طَلَعَ فِي خَمْسِينَ مِنْ قَوْمِهِ ، مَعَهُ عُبَيْدٌ قُرَيْشِيٌّ فَنَادَى أَبُو عَامِرٍ - وَاسْمُهُ عَبْدُ عَمْرٍو - يَا لَلْأَوْسِ : أَنَا أَبُو عَامِرٍ ، قَالُوا : لَا مَرْحَبًا بِكَ ، وَلَا أَهْلًا ؛ يَا فَاسِقَ ! فَقَالَ : لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ . قَالَ : وَمَعَهُ عُبَيْدٌ أَهْلُ مَكَّةَ ، فَتَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ هُمُ وَالْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى تَرَضَخُوا بِهَا سَاعَةً إِلَى أَنْ وَلَّى أَبُو عَامِرٍ وَأَصْحَابُهُ ؛ وَيُقَالُ : إِنْ الْعَبِيدُ لَمْ يَقَاتِلُوا ، وَإِنَّهُمْ أَمْرُوهُمْ بِحِفْظِ عَسْكَرِهِمْ .

قال الواقدي : وَجَعَلَ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ الْجَمْعَانِ أَمَامَ صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ يَضْرِبْنَ بِالْأَكْبَارِ<sup>(١)</sup> وَالْدِّقَافِ وَالْفَرَائِيلِ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ يَرْجِعْنَ فَيَكُنَّ إِلَى مُؤَخَّرِ الصَّفِّ ؛ حَتَّى

(١) الْأَكْبَارُ : جَمْعُ كَبَرٍ ، يَفْتَحَتَيْنِ ، وَهُوَ الطُّبْلُ ، مَرْبُوبٌ .

(٢) الْفَرَائِيلُ : جَمْعُ غَرِبَالٍ ، وَهُوَ هَذَا الدِّقَافُ .



إذا دنوا من المسلمين تأخر النساء ، فقمن خلف الصفوف ، وجعل كلن ولي رجل حرّضنه ، وذكرنه قتلى بدر .

وقال الواقدي : وكان قرمان من المنافقين ، وكان قد تخلف عن أحد ، فلما أصبح غيره نساء بني ظفر ، فقلن : يا قرمان ، قد خرج الرجال و بقيت ! استحي يا قرمان ، ألا تستحي مما صنعت ! ما أنت إلا امرأة ، خرج قومك و بقيت في الدار ! فأحفظنه ، فدخل بيته ، فأخرج قوسه وجعبته وسيفه - وكان يعرف بالشجاعة - وخرج يعدو ، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يسوي صفوف المسلمين ، فجاء من خلف الصف ، حتى انتهى إلى الصف الأول ، فكان فيه ، وكان أول من رمى بسهم من المسلمين ، جعل يرسل نبالاً كأنها الرماح ، وإنه لم يكت كتبت<sup>(١)</sup> الجمل ثم صار إلى السيف ، ففعل الأفاعيل ، حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله إذا ذكره قال : من أهل النار . قال : فلما انكشف المسلمون ، كسر جفن سيفه وجعل يقول : الموت أحسن من الفرار . ياللاؤس ! قاتلوا على الأحساب ، واصنعوا مثل ما أصنع . قال : فدخل بالسيف وسط المشركين ، حتى يقال : قد قتل ، ثم يطعم فيقول : أنا الغلام الظفري ، حتى قتل منهم سبعة ، وأصابته الجراحة ، وكثرت فيه ، فوقع فمراً به قتادة بن النعمان ، فقال له : أبا العيذاق ، قال قرمان : لبيك ! قال : هنياً لك الشهادة ! قال قرمان : إني والله ما قاتلتُ يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفظ ، أن تسير قریش إلينا فتطأ سعننا ، قال : فأذته الجراحة فقتل نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر<sup>(٢)</sup> » .

(١) الكتبت : صياح الجمل .

(٢) في ابن هشام ٣ : ٣٧ عن ابن إسحاق : « حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أتى لا يدري من هو ؟ يقال له قرمان ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له : « إنه لمن أهل النار » ، قال : « فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة ، فأحتمل إلى دار بني ظفر . قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قرمان فأبصر ، قال : بماذا أبصر ؟ فوالله إن قاتلت إلا على أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته ، فقتل به نفسه » .



قال الواقدي : وتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرماة ، فقال : احموا انما ظهورنا ، فإنا نخاف أن نوثى من ورائنا ، والزموا مكانكم ، لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم ؛ وإن رأيتمونا تقتل ؛ فلا تعينونا ، ولا تدفعوا عنا . اللهم إني أشهدك عليهم ، ارشقوا<sup>(١)</sup> خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، وكان للمشركين مجنبتان : ميمنة عليها خالد بن الوليد ، وميسرة عليها عكرمة بن أبي جهل .

قال الواقدي : وعمل رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه ميمنة وميسرة ، ودفع اللواء الأعظم إلى مصعب بن عمير ، ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ، ولواء الخزرج إلى سعد ابن عباد - وقيل : إلى الحباب بن المنذر - فجعلت الرماة تحمي ظهور المسلمين ، وترشق خيل المشركين بالنبل ، فولت هاربة ، قال بعض المسلمين<sup>(٢)</sup> : والله لقد رمقت نبلنا يومئذ ، مارأيت سهما واحدا مما يرعى به خيلهم يقع في الأرض ، إنا في فرس أوفى رجل ؛ ودنا القوم بعضهم من بعض ، وقدّموا طلحة بن أبي طلحة صاحب لوائهم ، وصفوا صفوفهم ، وأقاموا النساء خاف الرجال يضربن بين أكتافهم بالأكبار والدقوف ، وهند وصواحبها يحرطن ويذمرن<sup>(٣)</sup> الرجال ، ويذكرن من أصيب ببدر ، ويقلن :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق  
إن تقبلوا نمارق أو تدبروا نمارق

\* فراق غير وامق \*

قال الواقدي : وبرز طلحة ، فصاح : من يبارز؟ فقال علي عليه السلام له : هل لك في مبارزتي ؟ قال : نعم ، فبرزوا بين الصفين ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس تحت

(١) أرشق الراى : رى وجها ، أى أطلق السهم إلى المكان المواجه له .

(٢) يذمرن الرجال : يحضونهم على القتال .

(٣) الواقدي : « الرماة » .



الرّاية ، عليه درعان ومغفر وبيضته ، فالتقيا ، فبدره على عليه السلام <sup>(١)</sup> بضربة على رأسه ، فمضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوق ، وانصرف على عليه السلام ، فقيل له : هلاّ ذفّفت <sup>(٢)</sup> عليه ! قال : إنه لما صرع استقبلني بعورته ؛ فمطقتني عليه الرّاحم ؛ وقد علمت أن الله سيقتله ؛ هو كبش الكتيبة .

قال الواقديّ : وروى أن طلحة حمل على عليّ عليه السلام ؛ فضربه بالسيف ، فاتقاء بالدّرقة ، فلم يصنع شيئا ، وحمل عليّ عليه السلام وعلى طلحة درع ومغفر ، فضربه بالسيف ، فقطع ساقه ، ثم أراد أن يذفّف عليه ؛ فسأله طلحة بالرّاحم ألا يفعل ؛ فتركه ولم يذفّف عليه .

قال الواقديّ : ويقال : إن عليا عليه السلام ذفّف عليه ؛ ويقال : إن بعض المسلمين مرّ به في المعركة فذفّف عليه . قال : فلما قتل طلحة سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكبر تكبيرا عاليا وكبر المسلمون ؛ ثم شدّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على كتائب المشركين ؛ فجعلوا يضربون وجوههم ، حتى انتقضت صفوفهم ؛ ولم يقتل إلا طلحة ابن أبي طلحة وحده .

قال الواقديّ : ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة ، وهو أبو شيبة ، فارتجز وقال :

إِنَّ عَلِيَّ رَبَّ اللّوَاءِ حَقًّا أَنْ تُخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَذُقَّا

فتقدّم باللواء والنسوة خلفه ، يحرّضن ويضربن بالدقوف ، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله ، فضربه بالسيف على كاهله ، فقطع يده وكتفه ، حتى انتهى إلى

(١) ب : « فبرزه » تحريف ، والصواب ما في أ ، والواقدي .

(٢) ذففت عليه : أجهز

مُؤْتَزِرِهِ فَبَدَا سَحْرُهُ <sup>(١)</sup> ، وَرَجَعَ ، فَقَالَ : أَنَا ابْنُ سَاقِي الْحَبِيجِ ؛ ثُمَّ حَمَلَ اللَّوَاءَ أَخُوهُمَا  
أَبُو سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، فَرَمَاهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَأَصَابَ حَنْجَرَتَهُ - وَكَانَ دِرَاعًا ، وَعَلَيْهِ  
مَغْفَرٌ لَا رُفْرَفَ عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup> ، وَعَلَى رَأْسِهِ بَيْضَتُهُ فَأَدْلَعَ لِسَانَهُ <sup>(٣)</sup> إِدْلَاعَ الْكَلْبِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَقَدْ رَوَى أَنَّ أَبَا سَعْدٍ لَمَّا حَمَلَ اللَّوَاءَ ، قَامَ النِّسَاءُ خَلْفَهُ يَقْلُنَ :

ضَرْبًا بَنَى عَبْدَ الدَّارِ ضَرْبًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ

« ضَرْبًا بِكُلِّ بَنَارٍ »

قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ : فَأَحْمَلَ عَلَيْهِ فَأَقَطَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى ، فَأَخَذَ اللَّوَاءَ بِالْيَدِ الْيُسْرَى ،  
فَأَضْرَبَهُ عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى ؛ فَقَطَعْتُهَا ، فَأَخَذَ اللَّوَاءَ بِذِرَاعَيْهِ جَمِيعًا وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ ، وَحَنَى  
عَلَيْهِ ظَهْرَهُ . قَالَ سَعْدُ : فَأَدْخِلْ سِيَةَ الْقَوْسِ بَيْنَ الدَّرْعِ وَالْمَغْفَرِ ، فَأَقْلَعَ <sup>(٤)</sup> الْمَغْفَرَ ، فَأَرْمَى بِهِ  
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ ضَرَبَتْهُ حَتَّى قَتَلَتْهُ ، وَأَخَذَتْ أَسْلِبَهُ دِرْعَهُ ، فَتَهَضَّ إِلَى سُبَيْعِ بْنِ عَبْدِ  
عُوفٍ وَتَقَرَّ مَعَهُ فَمَنَعُونِي ، سَلَبَهُ وَكَانَ سَلَبُهُ أَجْوَدَ سَلَبِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : دِرْعٌ  
فَضْفَاضَةٌ ، وَمَغْفَرٌ وَسَيْفٌ جَيِّدٌ ، وَلَكِنْ حَمَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَهَذَا أَثَبَّتَ الْقَوَالِينَ .

\*\*\*

قُلْتُ : شَتَّانَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَسَعْدٍ ! هَذَا يَجَاحِشُ عَلَى السَّلْبِ وَيَتَأَسَفُ عَلَى قَوَاتِهِ ، وَذَلِكَ  
يَقْتُلُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدَّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وَهُوَ فَارِسٌ قَرِيشٌ وَصَنْدِيدُهَا وَمُبَارِزُهُ ، فَيَعْرِضُ عَنْ  
سَلَبِهِ ، فَيَقَالُ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ سَلَبَهُ وَهُوَ أَنْفُسُ سَلْبٍ ؟ فَيَقُولُ : كَرِهْتُ أَنْ أَبْرَأَ السَّيِّئِ  
ثِيَابَهُ ، فَكَأَنَّ حَبِيبًا عَنَاهُ يَقُولُهُ :

(٢) الْوَاقِدِيُّ : « لَهُ » .

(٤) الْوَاقِدِيُّ : « فَأَقْلَعَ » .

(١) الْحَرْهَنَةُ : الرَّئِثَةُ

(٣) أَدْلَعَ لِسَانَهُ : أَخْرَجَهُ :



إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَلُوبِ لَا السَّلْبِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قال الواقدي : ثم حمل لواء المشركين بعد أبي سعد بن أبي طلحة مسافع بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتله ، فحمل إلى أمه سلافة بنت سعد بن الشهيد ، وهي مع النساء بأحد ، فقالت : من أصابك ؟ قال : لا أدري ، سمعته يقول : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَفْلَحِ ، فقالت : أَفَلَحِيَّ وَاللَّهِ ! أَيُّهُوَ مِنْ رَهْطِي - وَكَانَتْ مِنَ الْأَوْسِ .

قال الواقدي : وروى أَنَّ عاصمًا لما رماه ، قال له : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ كَسْرَةٍ ، وَكَانُوا يُقَالُ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : بَنُو كَسْرٍ الذَّهَبِ ، فَقَالَ لَأُمِّي : لَا أُدْرِي ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ كَسْرَةٍ ، فقالت سُلَافَةُ : أَوْسَى وَاللَّهِ ! كَسْرِي ، أَيُّ أَنَّهُ مَنَّا فَيَوْمَئِذٍ نَذَرْتُ سُلَافَةُ أَنْ تَشْرَبَ فِي فَحْفٍ رَأْسِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ الْخَمْرِ ، وَجَعَلْتُ لِمَنْ جَاءَهَا بِهِ مَاءَهُ مِنَ الْإِبِلِ .

\*\*\*

قلت : فلما قتل المشركون في يوم الرَّجِيمِ أَرَادُوا أَنْ يَأْخُذُوا رَأْسَهُ ، فَيَبْذُلُوهُ إِلَى سُلَافَةَ فَخَمَّتْهُ الدَّبْرُ<sup>(٢)</sup> يَوْمَهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ قَضَوْا أَنَّ الدَّبْرَ لَا تَحْمِيهِ لَيْلًا ، جَاءَ الْوَادِي بِسَيْلٍ عَظِيمٍ ، فَذَهَبَ بِرَأْسِهِ وَبَدَنِهِ . اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى ذَلِكَ .

\*\*\*

قال الواقدي : ثم حمل اللواء بعد الحارث أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، ثُمَّ حَمَلَهُ أَخُوهُ الْجَلَّاسُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، فقتله طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ حَمَلَهُ أَرْطَاةُ بْنُ عَبْدِ شُرَّحْبِيلٍ ، فقتله عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ حَمَلَهُ شَرِيحُ بْنُ

(١) حيوانه ١ : ٧١ ، وروايته : « إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْقَيْلِ » .

(٢) الدبر : جماعة النحل أو الزناير .



قَانِط<sup>(١)</sup> ، فَمَتَّلَ لَا يُدْرِي مَنْ قَتَلَهُ ، ثُمَّ حَمَلَهُ صُوبَ ، غَلَامِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، فَاخْتَلَفَ فِي قَاتِلِهِ فَتَقَبَّلَ : قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقِيلَ : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، وَقِيلَ : قُزْمَانُ ، وَهُوَ أَثْبَتُ الْأَقْوَالِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : انْتَهَى قُزْمَانُ إِلَى صُوبَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَقَطَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى ، فَاحْتَمَلَ اللِّوَاءَ بِالْيَسْرَى فَقَطَعَ الْيَسْرَى ، فَاحْتَضَنَ اللِّوَاءَ بِذَارِعِيهِ وَعَضْدِيهِ ، وَحَنَى عَلَيْهِ ظَهْرَهُ ، وَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، هَلْ اعْتَذَرْتُ ؟ فَحَمَلَ عَلَيْهِ قُزْمَانُ فَمَتَّلَهُ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَقَالُوا : مَا ظَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ فِي مَوْطِنٍ قَطَّ مَا ظَفَرَهُ وَأَصْحَابَهُ يَوْمَ أَحُدَ ، حَتَّى عَصَوْا الرُّسُولَ ، وَتَنَازَعُوا فِي الْأَمْرِ ، لَقَدْ قَتَلَ أَصْحَابُ اللِّوَاءِ وَانْكَشَفَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُمْ لَا يَلُوُونَ ، وَنَسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ بَعْدَ ضَرْبِ الدِّفَافِ وَالْفَرَحِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَقَدْ رَوَى كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ شَهِدَ أَحُدًا ، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى هِنْدَ وَصَوَاحِبِهَا مِنْهَرَمَاتٍ ، مَا دُونَ أَخِذْهَنْ شَيْئًا لِمَنْ أَرَادَهُ ؛ وَلَكِنْ لَا مَرَدَّ لِقَضَاءِ اللَّهِ . قَالُوا : وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَالِيدِ كَلَّمَائِي مِنْ قَبْلِ مَيْسِرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِيَجُوزَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ مِنْ قَبْلِ السَّفْحِ ؛ تَرَدَّ الرُّمَاهُ حَتَّى فَعَلَ وَفَعَلُوا ذَلِكَ مَرَارًا ، وَلَكِنْ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا مِنْ قَبْلِ الرَّمَاةِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْعَزَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : قَوْمُوا عَلَى مِصَافِكُمْ هَذِهِ فَاحْمُوا ظَهْرَنَا ، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تَشْرِكُونَا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا . فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَضَعُونَ السَّلَاحَ فِيهِمْ حَيْثُ شَاءُوا حَتَّى أَجْهَزُوهُمْ عَنِ الْمَعْسَكِ ، وَوَقَعُوا يَنْتَهَبُونَهُ . قَالَ بَعْضُ الرَّمَاةِ لِبَعْضٍ : لَمْ تَقِيمُوا هَاهُنَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ ! قَدْ هَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ ؛ وَهَؤُلَاءِ إِخْوَانُكُمْ يَنْتَهَبُونَ عَسْكَرَهُمْ ، فَادْخُلُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ ، فَاعْنَمُوا مَعَ إِخْوَانِكُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَكُمْ : « اَحْمُوا ظَهْرَنَا ، وَإِنْ غَنِمْنَا فَلَا تَشْرِكُونَا ! » ،



فقال الآخرون : لم يُرَدِّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم هذا ، وقد أذلَّ الله المشركين وهزمهم ، فادخلوا المعسكر ، فانتهبوا مع إخوانكم . فلما اختلفوا خطبتهم أميرُهم عبد الله ابن جُبَيْر ، وكان يومئذ معلماً بتياب بيض ، فحمد الله وأمرهم بطاعة رسوله ، وألا يخالف أمره ، فمضوا ، وانطلقوا فلم يبقَ معه إلا نُفَيْرٌ ما يبلغون العشرة ، منهم الحارث بن أنس ابن رافع ، يقول : يا قوم ، اذكروا عهد نبيكم إليكم ، وأطيعوا أميركم . فأبوا ، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون وخلوا الجبل<sup>(١)</sup> ، وانتقضت صفوف المشركين ، واستدارت رحالهم ، ودارت<sup>(٢)</sup> الريح - وكانت إلى أن انتقض صفُّهم صَباً ، فصارت دُبوراً - فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله ، ففكر بالخيل ، وتبعه عكرمة بالخيل ، فانطلقا إلى موضع الرماة ، فحملوا عليهم ؛ فرامهم القوم حتى أصيبوا ، ورمى عبد الله ابن جُبَيْر حتى فنيته ثبله ، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ؛ ثم كسر جفن سيفه ؛ فقاتل حتى قتل ، وأفلت جُعَيْل بن سراقه وأبو بُرْدَة بن نيار بعد أن شاهدا قتل عبد الله ابن جُبَيْر ، وكان آخر من انصرف من الخيل ، فلاحقا بالمسلمين .

قال الواقدي : فروى رافع بن خديج ، قال : لما قتل خالد الرماة أقبل بالخيل وعكرمة ابن أبي جهل يتلوه ، فخالطنا وقد انتقضت صفوفنا ، ونادى إبليس - وتصور في صورة جُعَيْل بن سراقه : إنَّ محمداً قد قُتِلَ ! ثلاث صرخات ، فابتلي يومئذ جُعَيْل بن سراقه ببليّة عظيمة حين تصوّر إبليس في صورته ، وإن جُعَيْلا ليقاتل مع المسلمين أشدَّ القتال ، وإنه إلى جنب أبي بُرْدَة بن نيار وخوات بن جُبَيْر . قال رافع بن خديج : فوالله ما رأينا دولةً كانت أسرع من دولة المشركين علينا ، وأقبل المسلمون على جُعَيْل بن سراقه يريدون قتله ، يقولون : هذا الذي صاح أنَّ محمداً قد قُتِلَ ، فشهد له خوات بن جُبَيْر وأبو بُرْدَة ، أنه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح ، وأنَّ الصائح غيره .

(١) الواقدي : « عينين » ، وهو الجبل (٢) الواقدي : « وحال » .

قال الواقدي : فروى رافع ، قال : أتينا من قبل أنفسنا ، ومعصية نبيينا ، واختلط المسلمون ، وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا ، وما يشعرون بما يصنعون من الدهش والعجل ، وقد جرح يومئذ أسيد بن حضير جرحين ، ضربه أحدهما أبو بردة بن نيار ، وما يدري ، يقول : خذها وأنا الغلام الأنصاري ، وكرّ أبو زعنة في حومة القتال : فضرب أبا بردة ضربتين ، ما يشعر أنه هو ، يقول : خذها وأنا أبو زعنة ، حتى عرفه بعد ، فكان إذا لقيه ، قال : انظر ما صنعت بي ، فيقول أبو زعنة : وأنت فقد ضربت أسيد بن حضير ولا تشعرا ! ولكن هذا الجرح في سبيل الله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : هو في سبيل الله يا أبا بردة ، لك أجره ، حتى كأنك ضربك أحد المشركين ، ومن قُتل فهو شهيد .

قال الواقدي : وكان الشيخان : حُسيل بن جابر ورفاعة بن وقش شيخين كبيرين ، قد رفعوا في الآطام مع النساء ، فقال أحدهما لصاحبه : لا أبالك ! ما نستقي من أنفسنا ! فوالله ما نحن إلا هامة اليوم أو غد ، وما بقي من أجلنا قدر ظم<sup>(١)</sup> دابة ، فلو أخذنا أسيافنا فلحقنا رسول الله صلى الله عليه وآله لعل الله يرزقنا الشهادة ! قال : فلحقا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأما رفاعة فقتله المشركون ، وأما حُسيل بن جابر فالتفت عليه سيوف المسلمين ، وهم لا يعرفونه حين اختلطوا ، وابنه حذيفة يقول : أبي أبي ! حتى قتل ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ؛ ما صنعتُم ! فزاد به عند رسول الله صلى الله عليه وآله خيرا ، وأمر رسول الله بديته أن تخرج ، ويقال : إن الذي أصابه عتبة بن مسعود ، فتصدق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين .

قال الواقدي : وأقبل يومئذ الحباب بن المنذر بن الجموح بصيح : يا آل سلمة اذقوا

(١) يقال : ما بقي منه إلا ظم دابة ؛ أي لم يبق من عمره إلا اليسير .



عُنُقًا<sup>(١)</sup> واحدا : لَبَّيْكَ داعي الله ، لَبَّيْكَ داعي الله ! فيضرب يومئذ جَبَّار بن صخر ضربة في رأسه مثقلة وما يدرى ، حتى أظفروا الشعار بينهم ، فحملوا يصيحون : أَمِتْ أَمِتْ ! فكف بعضهم عن بعض .

قال الواقدي : وكان نسطاس مولى ضرار بن أمية ممن حضر أحداً مع المشركين ، ثم أسلم بعد ، وحسن إسلامه ، فكان يحدث ، قال : قد كنت ممن خلف في العسكر يومئذ ، ولم يقاتل معهم عبد إلا وحشي وصواب غلام بني عبد الدار ، فكان أبو سفيان صاحب فيهم : يامعشر قريش ، خأؤا<sup>(٢)</sup> غلمانكم على متاعكم يكونوا هم الذين يقومون على رجالكم ، فجمعنا بعضها إلى بعض ، وعقنا الإبل ، وانطلق القوم على تعبيتهم ، ميمنة وميسرة وألبسنا الرجال الأنطاع ، ودنا القوم بعضهم من بعض ، فافتتلوا ساعة ، وإذا أصحابنا منهزمون ، فدخل المسلمون معسكرنا ، ونحن في الرجال ، فأحدقوا<sup>(٣)</sup> بنا ، فكنت فيمن أسروا ، واتهموا المعسكر أفتيح استهاب ، حتى إن رجلاً منهم قال : أين مال صفوان بن أمية ؟ فقلت : ما حل إلا نفقة في الرجل ، فخرج يسوقني حتى أخرجتها من العيبة خمسين ومائة مثقال ذهب ، وقد ولي أصحابنا وألبسنا منهم ! وانعاش النساء ، فهن في حُجْرهن سلَّم من أرادهن ، فصار الذهب في أيدي المسلمين .

قال نسطاس : فإننا ألقى ما نحن عليه من الاستسلام ، ونظرت إلى الجبل ، فإذا خيل مقبلة تركض ، فدخلوا المعسكر ، فلم يكن أحد يردهم ، قد ضيعت الثغور التي كان بها الرماة وجاءوا إلى النهب والرماة يتهمون ، وأنا أنظر إليهم متأبطي قسيهم وجعابهم ، كل واحد منهم في يديه أو حضنه شيء ، قد أخذه ، فلما دخلت خيانتا دخلت على قوم غارين آمنين ، فوضعوا فيهم السيوف ، فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، وتفرق المسلمون في كل وجه ،

(١) العنق : الجماعة من الناس . (٢) الواقدي : « خلفوا » .

(٣) الواقدي : « فدخل أصحاب محمد في الرجال ، فأحدقوا بنا » .

وتركوا ما اتهموا ، وأجلوا عن عسكرنا ، فارتجعنا متعاضداً بعد ، لم نلق منه شيئاً ، وخنوا  
أسرانا ، ووجدنا الذهب في المعركة ، ولقد رأيت يومئذ رجلاً من المسلمين ضمّ صفوان  
ابن أمية إليه ضمةً ظننت أنه سيموت ، حتى أدركته وبه رمق ، فوجأت<sup>(١)</sup> ذلك المسلم  
بخنجر معي ، فوقع ، فسالت عنه ، فقيل : رجل من بني ساعدة . ثم هداني الله  
بعد للإسلام .

قال الواقدي : لحدثني ابن أبي سبرة ؛ عن إسحاق بن عبد الله ، عن عمر بن الحكم ،  
قال : ما علمنا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أغاروا على النهب  
فأخذوا ما أخذوا من الذهب بقي معه من ذلك شيء يرجع به حيث غشينا المشركون ،  
واختلفوا إلا رجائين : أحدهما عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، جاء بمنطقة وجدها في  
العسكر ، فيها خمسون ديناراً ، فشدّها على حقويه من تحت ثيابه ، وجاء عباد بن بشر  
بصورة فيها ثلاثة عشر مثقالاً أنقأها في جيب قميصه ، وفوقها الدرع وقد حزم وسطه ،  
فأتيا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يحميه ونقدهما إياه .

قال الواقدي : وروى يعقوب بن أبي صعصعة ، عن موسى بن خنزة ، عن أبيه ،  
قال : لما صاح الشيطان أرباً<sup>(٢)</sup> العقبة ، أن محمداً قد قتل لما أراد الله عز وجل من  
من ذلك ، سقط في أيدي المسلمين ، وتفرقوا في كل وجه ، وأصعدوا في الجبل ، فكان  
أول من بشرهم بكون رسول الله صلى الله عليه وآله سائماً كعب بن مالك . قال كعب :  
عرفته ، فجعلت أصيح : هذا رسول الله ، وهو يشير إني بإصبعه على فيه : أن اسكت .

قال الواقدي : وروى عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيها ، قالت :  
قال أبي لما انكشف الناس : كنت أزل من عرف رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) وجأته ؛ أي ضربته .

(٢) أرباً : عقبة ؛ اسم للشيطان معروف ذكر في حديث العقبة . انظر القاموس .



و بشرت به المسلمين حيًا سويًا ، عرفت عينيه من تحت المغفر ؛ فناديت : يامعشر الأنصار !  
أبشروا ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن  
اصحمت : قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله بكعب ، فلبس لأمته ، وألبس كعبا  
لأمة نفسه ، وقاتل كعب يومئذ قتالا شديدا ، جرح سبعة عشر جرحا .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي سبرة عن خالد بن رباح ، عن الأعرج ، قال :  
لما صاح الشيطان إن محمدا قد قُتل ؛ قال أبو سفيان بن حرب : يامعشر قريش ، أياكم قتل  
محمدا ؟ قال ابن قتيبة : أنا قتلته . قال : نسورك<sup>(١)</sup> كما تفعل الأعاجم بأبطالها ، وجعل أبو سفيان  
يطوف بأبي عامر الفاسق في المعركة ؛ هل يرى محمدا بين القتلى ! فرمى بخارجه بن زيد بن  
أبي زهير ، فقال : يا أبا سفيان ، هل تدري من هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا خارجه بن زيد  
هذا أسيد بن الحارث بن الخزرج ؛ ومر بعباس بن عباد بن نضلة إلى جنبه ، قال : أتعرفه ؟ قال :  
لا ، قال : هذا ابن قوقل ؛ هذا الشريف في بيت الشريف ، ثم مر بذكوان بن عبد قيس ،  
فقال : وهذا من ساداتهم ، ثم مر بابنه حنظلة بن أبي عامر ، فوقف عليه ، فقال أبو سفيان :  
من هذا ؟ قال : هذا أعز من هاهنا علي ، هذا ابني حنظلة . قال أبو سفيان : ما نرى  
مصرع محمد ؛ ولو كان قتل لرأيناه ، كذب ابن قتيبة ! ولقي خالد بن الوليد ، فقال : هل تبين  
عندك قتل محمد ؟ قال : لا ، رأيته أقبل في نفر من أصحابه مصعبين في الجبل ، فقال أبو سفيان :  
هذا حق ، كذب ابن قتيبة ، زعم أنه قتله !

\*\*\*

قلت : قرأت على النقيب أبي يزيد رحمه الله هذه الغزاة من كتاب الواقدي ،  
وقلت له : كيف جرى هؤلاء في هذه الواقعة ؟ فإني أستمع ما جرى ! فقال : وفي ذلك !  
ما أستمعته سخل قلب المسلمين من بعد قتل أصحاب الألوية على قلوب المشركين ، فكسره

(١) نسورك : تلبسك السوار ، وهذا مما كانت تفعله الأعاجم بلوكهم .

فلو ثبتت محبتتا رسول الله اللتان فيهما أسيد بن حضير وألحباب بن المنذر بإزاء محبتتي المشركين ، لم ينكسر عسكر الإسلام ؛ ولكن محبتتا المسلمين أطبقت إطباقا واحدا على قلب المشركين ، مضافا إلى قلب المسلمين ، فصار عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله قلباً واحداً ، وكتيبة واحدة ، فخطمه قلب قريش حطمة شديدة ، فلما رأت محبتتا قريش أنه ليس بإزائها أحدٌ ، استدارت المحبتتان من وراء عسكر المسلمين ، وصمد كثير منهم للرماة الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين ، فقتلوه عن آخرهم ، لأنهم لم يكونوا ممن يقومون لخالد وعكرمة ، وهما في ألفي رجل ، وإنما كانوا خمسين رجلاً ، لاسيما وقد ترك كثير منهم مركزه وشره إلى الغنيمة ، فأكب على النهب .

قال رحمه الله : والذي كسر المسلمين يومئذ ، ونال كل منال خالد بن الوليد ، وكان فارساً شجاعاً ، ومعه خيل كثيرة ، ورجال أبطال موتورون ، واستدار خلف الجبل ؛ فدخل من الثغرة التي كان الرماة عليها ، فأناه من وراء المسلمين ، وتراجع قلب المشركين بعد الهزيمة ، فصار المسلمون بينهم في مثل الحلقة المستديرة ، واختلط الناس ، فلم يعرف المسلمون بعضهم بعضاً ، وضرب الرجل منهم أخاه وأباه بالسيف وهو لا يعرفه لشدة النقع والغبار ، ولما اعتراهم من الدهش والمجلة والخوف ؛ فكانت الدبرة عليهم ، بعد أن كانت لهم ، ومثل هذا يجري دائماً في الحرب .

فقلت له رحمه الله : فلما انكشف المسلمون ، وفرّ منهم من فرّ ، ما كانت حال رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : ثبت في نفر يسير من أصحابه يحامون عنه .  
فقلت : ثم ماذا ، قال : ثم ثابت إليه الأنصار ، وردت إليه عنقا واحدا بعد فرارهم وتفرقهم ، وامتاز المسلمون عن المشركين وكانوا ناحية ، ثم التحمت الحرب ، واصطدم الفيئتان<sup>(١)</sup> .

(١) الفلق ، كصيق الحيت .



قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : لم يزل المسلمون يحامون عن رسول الله صلى الله عليه وآله ،  
والمشركون يتكاثرون عليهم ، ويقتلون فيهم حتى لم يبقَ من النهار إلا القليل ،  
والدّولة للمشركين .

قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : ثمّ علم الذين بقوا من المسلمين أنّه لا طاقة لهم بالمشرّكين ،  
فأصعدوا في الجبل فاعتصموا به .

فقلت له : فرسول الله صلى الله عليه وآله ما الذي صنع ؟ فقال : صعد في الجبال .

قلت له : أفيجوز أن يقال : إنه فرّ ؟ فقال : إنّما يكون الفرار ممن أمعن في الحرب  
في الصحراء والبيداء ، فأما من الجبل مطلق عليه وهو في سفحه ؛ فلما رأى مالا يعجبه  
أصعد في الجبل ؛ فإنه لا يسمى قارّاً . ثمّ سكّت رحمه الله ساعة ، ثمّ قال : هكذا وقعت  
الحال ؛ فإنّ ثلث أن تسمى ذلك فراراً فسمّه ، فقد خرج من مكة يوم الهجرة قارّاً من  
المشرّكين ، ولا وصمة عليه في ذلك .

فقدت له : قد روى الواقدي عن بعض الصحابة ، قال : لم يبرح رسولُ الله صلى  
الله عليه وآله ذلك اليوم شبراً واحداً ، حتى تحاجرت الفئتان ! فقال : دع صاحب هذه  
الرواية فليقل ما شاء ، فالصحيح ما ذكرته لك ، ثمّ قال : كيف يقال : لم يزل واقفاً  
حتى تحاجرت الفئتان ؟ وإنّما تحاجزا بعد أن ناداه أبو سفيان ، وهو في أعلى الجبل بما ناداه ،  
فلما عرف أنّه حيٌّ وأنه في أعلى الجبل ، وأن الخيل لا تستطيع الصعود إليه ، وأنّ القوم  
إن صعدوا إليه رجالة لم يثقوا بالظفر به ؛ لأنّ معه أكثر أصحابه ، وهم مستميتون إن  
صعد القوم إليهم ، وأنهم لا يقتلون منهم واحداً حتى يقتلوا منهم اثنين أو ثلاثة ، لأنهم  
لا سبيل لهم إلى الهرب ، لكونهم محصورين في ذرّ واحد ، فالرجل منهم يحامي عن  
خيّط رقبته . كفّوا عن الصعود وقنعوا بما وصلوا إليه من قتل من قتلوه في الحرب ، وأمّلوا

يوماً ثانياً يكون لهم فيه الظفر الكلى بالنبي صلى الله عليه وآله ، فرجوا عنهم وطلبوا مكة .

وروى الواقدي عن أبي سبرة! عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً ، فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في وسطها كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري ، يقول يومئذ : ذلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجاً ! وإن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جنبه ، مامعه أحد ، ثم جاوزه ، ولقي عبد الله بن شهاب صفوان بن أمية ، فقال له صفوان : ترحت <sup>(١)</sup> ! هلا ضربت محمداً ، فقطعت هذه الشفة ، فقد أمكنتك الله منه ! قال ابن شهاب : وهل رأيت ؟ قال : نعم أنت إلى جنبه ، قال : والله ما رأيت ، أخاف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة تماهدنا واتفقنا على قتله ، فلم نخلص إلى ذلك .

قال الواقدي : فروى ثمة بن أبي ثمة - واسم أبي ثمة عبد الله بن معاذ ، وكان أبوه معاذ أخا البراء بن معرور لأمه - قال : لما انكشف المسلمون ذلك اليوم نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وما معه أحد إلا نذير قد أخذ قوايه من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فانطلقوا به إلى الشعب ، وما للمسلمين لواء قائم ، ولا فئة ، ولا جمع ، وإن كتاب المشركين لتحوشهم مقبلة ومذبرة في الوادي ، يلتقون ويفترقون ما يرون أحدا يردهم .

قال الواقدي : وحدثني إبراهيم بن محمد بن ثرحبيل العبدري ، عن أبيه ، قال : حمل مصعب اللواء ، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب قبل ابن قتيبة ، وهو فارس فضرب يده مصعب فقطعها ، فقال مصعب : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ وأخذ اللواء بيده اليسرى ، وحشي عليه ، فضربه فقطع اليسرى ، فوضعه بعضديه إلى صدره ،



وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه ، واندق الرمح ، ووقع مُصْعَب وسقط اللواء ، وابتدره رجلان من بني عبد الدار سويبط بن حرملة وأبو الرُّوم ، فأخذه أبو الرُّوم ، فلم يزل بيده حتى دخل به المدينة ، حيث انصرف المسلمون .

قال الواقدي : وقالوا : إن رسول الله لما لحه القتال ، وخلص إليه وذب عنه مصعب ابن عمير وأبو دُجانة ، حتى كثرت به الجراحة ، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ ؟ » فوثب فئة من الأنصار خمسة ، منهم عُمارة بن زياد بن السَّكَن ، فقاتل حتى أُثْبِت ، وقامت فئة من المسلمين حتى أجهضوا أعداء الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعُمارة بن زياد : اذْنُ مَنِي ، حتى وسَّده رسول الله صلى الله عليه وآله قدمه ، وإنَّ به لأربعة عشر جرحاً حتى مات ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يذمر النَّاس ويحضرهم على القتال ، وكان رجالٌ من المشركين قد أَذْلَقُوا<sup>(١)</sup> المسلمين بالرمي : منهم حيان ابن العرقة ، وأبو أسامة الجُشَمي ، فجعل النبي صلى الله عليه وآله يقول لسعد : « ارم فداك أبي وأُمِّي ! » فرمى حيان بن العرقة بسهم فأصاب ذَيْلَ أُمِّ أَيْمَن ، وكانت جاءت يومئذ تسقى الجرحى ، فقلبها ، وانكشف ذَيْلُهَا عنها ، فاستغرب حيان بن العرقة ضحكاً ، وشقَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصلَ له ، وقال : ارم به ، فرمى فوضع السهم في ثغرة نحر حيان ، فوقع مستلقياً ، وبدت عورته . قال سعد : فرأيت النبي صلى الله عليه وآله ضحك يومئذ حتى بدت نواجذه ، وقال : استقاد لها سعد ، أجاب الله دعوتك ، وسدَّ رميتك ، ورمى يومئذ مالك بن زهير الجُشَمي أخو أبي أسامة الجُشَمي المسلمين رمياً شديداً ، وكان هو وريان بن العرقة قد أسرعَا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأكثرَا فيهم القتل يستتران بالصخر ، ويرميان ،

(١) أَذْلَقُوهُمْ : أَوْجَعُوهُمْ .

فبيناهم على ذلك أبصر سعد بن أنى وقاص مالك بن زهير يرمى من وراء صخرة قد رمى ، وأطلع رأسه ، فيرميه سعد ، فأصاب التَّمَمُ عَيْنَهُ ، حتى خرج من قَفَاهُ ، فترى <sup>(١)</sup> في السماء قامة ، ثم رجع فسقط ، فقتله الله عز وجل .

قال الواقدي : ورمى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوسه يومئذ حتى صارت شَطَايَا ، فأخذها قتادة بن النعمان ، وكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وَجْنَتِهِ . قال قتادة : فحُتَّتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : يا رسول الله ، إن نَحَى امرأة شابة جميلة ، أحبها وتحبني ، وأنا أخشى أن تغدر مكان عيني ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فردّها وانصرف بها ، وعادت كما كانت ، فلم تضرب عليه ساعة من ليل ونهار ، وكان يقول بعد أن أسن : هي أقوى عيني وكانت أحسنهما .

قال الواقدي : وباشر رسول الله صلى الله عليه وآله القتال بنفسه ، فرمى بالنبل حتى ، فنيبت نباله ، وانكسرت سيّة قوسه ، وقبل ذلك انقطع وتره ، وبقيت في يده قطعة تكون شبراً في سيّة القوس ، فأخذ القوس عكاشة بن محصن يوتره له ، فقال : يا رسول الله ، لا يبلغ الوتر ، فقال مده يبلغ ، قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحق مددته حتى يبلغ ، وطويت منه ليتين أو ثلاثة على سيّة القوس ، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فما زال يرمى القوم ، وأبو طلحة أمامه يسترد مترساً عنه ، حتى نظرت إلى سيّة قوسه قد تحطّمت ، فأخذها قتادة بن النعمان .

قال الواقدي : وكان أبو طلحة يوم أُحُد قد نَشَأَ كِفَانَتَهُ <sup>(٢)</sup> بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ، وكان رامياً ، وكان صَيِّتاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لصوت أبي طلحة في الجيش خيرٌ من أربعين رجلاً » ، وكان في كِفَانَتِهِ خسون سهماً نَشَبَهَا بين يدي

(٢) نَشَأَ كِفَانَتَهُ : أخرج ما فيها .

(١) : « فترى » .



رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجعل يصيح : نفسي دون نفسك يا رسول الله ! فلم يزل يرمى بها سهماً سهماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يطلع رأسه من خلف أبي طلحة بين أذنيه ومنكبه ، ينظر إلى مواقع النبل حتى فطيت نبله ، وهو يقول : نحري دون نحرِكَ ! جعلني الله فداك ! قالوا : إنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله ، ليأخذُ العود من الأرض ، فيقول : ارمِ يا أبا طلحة ، فيرمى به سهماً جيّداً .

قال الواقدي : وكان الرُّمّة المذكورون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة : منهم سعد بن أبي وقاص ، وأبو طلحة ، وعاصم بن ثابت ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمقداد بن عمرو ، وزيد بن حارثة ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وعُتْبة بن غزوَان ، وخِرَاش ابن الصّمة ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وبشر بن البراء بن معرور ، وأبو نائلة سلّكان ابن سلامة ، وقتادة بن النعمان .

قال الواقدي : ورمى أبو رهم الغفاري بسهم فأصاب نحره ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فبصق عليه ، فبرأ ، فكان أبو رهم بعد ذلك يسمى المنحور .

\*\*\*

وروى أبو عمرو محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغوي ، غلام ثعلب ، ورواه أيضاً محمد ابن حبيب في أماليه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرّ مدحجاً عنه يوم أحد ، كثرت عليه كتابات المشركين ، وقصدته كتيبة من بني كنانة ، ثم من بني عبد مناة بن كنانة ، فيها بنو سفيان بن عوف ؛ وهم : خالد بن سفيان ، وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحراء بن سفيان ، وغراب بن سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي اكفني هذه الكتيبة ، فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارصاً ؛ وهو عليه السلام راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرّق عنه ثم تجتمع<sup>(١)</sup> عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة ، وتنام العشرة منها ، ممن لا يُعرف بأسمائهم ، فقال جبرئيل

عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا محمد ، إن هذه المواساة ، لقد عجبت  
الملائكة من مواساة هذا الفتى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما يمنعه وهو مني  
وأنا منه ! فقال جبرئيل عليه السلام : وأنا منكما . قال : وسمع ذلك اليوم صوت من  
قَبِل السماء ، لا يرى شخص الصارخ به ينادى مرارا :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فمثل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه ، فقال : هذا جبرئيل .

\*\*\*

قلت : وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدِّثين وهو من الأخبار المشهورة ، ووقفت  
عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق ، ورأيت بعضها خالياً عنه ، وسألت شيخني  
عبد الوهاب بن سكيته رحمه الله عن هذا الخبر ، فقال : خبر صحيح ، فقلت : فما بال الصحاح  
لم تشتمل عليه ؟ قال : أو كلما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح ؟ كم قد أهمل  
جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة !

قال الواقدي : وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة الخزومي يحضر<sup>(١)</sup> فرساً له أبلق ،  
يريد رسول الله صلى الله عليه وآله ، عليه لأمة كاملة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله  
متوجه إلى الشعب وهو يصيح : لا نجوتُ إن نجوت ! فيقف رسول الله صلى الله عليه  
وآله ، ويكثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق المسلمون ،  
فيقع الفرس لوجهه ، وسقط عثمان عنه ، وخرج الفرس غائراً ، فبأخذه بعض أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويمشي إليه الحارث بن الصمة ، فاضطربا ساعة بالسيفين ،  
ثم يضرب الحارث رجلاه ، وكانت درعُه مشمرة فبرك ، وذفَّ<sup>(٢)</sup> عليه ، وأخذ الحارث

(١) يحضر فرساً : يجربه ، والحضر : ضرب من السير .

(٢) ذفَّ عليه : أجهز .



يومئذ سلبه : درعاً جيداً ، ومغفراً ، وسيفاً جيداً ، ولم يسمع بأحد من المشركين سلب يومئذ غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى قتالهما ، فسأل عن الرجل ، قيل : عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، قال : الحمد لله الذي أحانه <sup>(١)</sup> وقد كانت عبد الله بن جحش أسره من قبل بطن نخلة ، حتى قدم به على رسول الله صلى الله عليه وآله فافتدى ورجع إلى قريش ، وغزا معهم أحداً ، فقتل هناك ، ويرى مصرع عثمان عبيد ابن حازم العامري أحد بني عامر بن لؤي ، فأقبل يعدو كأنه سبع ، فيضرب حارث بن الصمة ضربة على عاتقه ، فوقع الحارث جريحاً حتى احتمله أصحابه ، ويقبل أبو دجانة على عبيد بن حازم ، فتناوشا ساعة من نهار ، وكل واحد منهما يتقى بالدرقة سيف صاحبه ، ثم حمل عليه أبو دجانة فاحتضنه ، ثم جلد به الأرض ، وذبحه بالسيف كما تذبح الشاة ، ثم انصرف ، فلاحق برسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وروى أن سهيل بن حنيفة ، جعل ينضح بالنبل عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : نبلوا سهلاً <sup>(٢)</sup> فإنه سهل ، ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي الدرداء ، والناس منهزمون في كل وجه ، فقال : نعم الفارس عويمر غير أنه لم يشهد أحداً !

قال الواقدي : وروى الحارث بن عبيد الله بن كعب بن مالك ، قال : حدثني من نظر إلى أبي سبرة بن الحارث بن علقمة ، ولقي أحداً مشركين ، فاختلفا ضربات ، كل ذلك برؤغ أحدهما عن الآخر ، قال : فنظر الناس إليهما كأنهما سبعان ضاريان يقفان مرة ويقتلان أخرى ، ثم تعانقا ، فوقعا إلى الأرض جميعاً ، فمسلاه أبو سبرة فذبحه بسيفه كما تذبح الشاة ، ونهض عنه فيقبل خالد بن الوليد وهو على فرس أدهم أغر محجل بجرح قناة طويلة ، فطعن أبا سبرة من خلفه ، فنظرت إلى سنان الرمح خرج من صدره ،

(٢) نبلوا سهلاً : أي أعضوه النبل .

(١) أحانه : أهلكه .

ووقع أبو سبرة ميتاً ، وانصرف خالد بن الوليد ، يقول : أنا أبو سليمان !

قال الواقدي : وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ عن النبي صلى الله عليه وآله قتالا شديداً ، وكان طلحة يقول : لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث انهزم أصحابه ، وكثر المشركون ، فأحدقوا بالنبي صلى الله عليه وآله من كل ناحية ، فما أدرى أقوم من بين يديه أو من ورائه ؟ أم عن يمينه أم شماله ؟ فأذب بالسيف عنه هاهنا وهاهنا حتى انكشفوا ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ يقول لطلحة : « لقد أوجب » وروى : « لقد أنحب » أي قضى نذره .

قال الواقدي : وروى أن سعد بن أبي وقاص ذكر طلحة فقال : يرحمه الله ! إنه كان أعظمنا غناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد ، قيل : كيف يا أبا إسحاق ؟ قال : لزم النبي صلى الله عليه وآله وكنا نتفرق عنه ، ثم ثوب إليه ، لقد رأيتُه يدورُ حول النبي صلى الله عليه وآله يُترس بنفسه فكيف تكلمتُ بكبيرهم رسولاً

قال الواقدي : وسئل طلحة : يا أبا محمد ، ما أصاب إصبعك ؟ قال : رمى مالك بن زهير الجشمي بسهم يريدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان لا تخطيء رميته - فأتقيتُ بيدي عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصاب خنصرِي فسلَّ .

قال الواقدي وقالوا : إن طلحة قال لما رمى حساً<sup>(١)</sup> ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو قال : « بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون [ إليه ]<sup>(٢)</sup> من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي في الدنيا وهو من أهل الجنة ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ، طلحة ممن قضى نجه<sup>(٣)</sup> .

(١) حس ، بالياء على الكسر ، كلمة من يفجؤه ما يؤله ، وده قولهم : « ضرب فلاناً حساً » .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣١٨

(٣) في اللسان : « طلحة ممن قضى نجه » النعب : النفر ، كأنه ألزم نفسه أن يصدق الأعداء في الحرب فوفى به ولم يفسح ، وقيل : هو من النعب الموت ، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت .



قال الواقدي : وكان طلحة يحدث يقول : لما جال المسلمون تلك الجولة ، ثم تراجعوا أقبل رجل من بني عامر بن لؤي يدعى شيبه بن مالك بن المضرب ، يجر رحله ، وهو على فرس أغبر كميته مدججا في الحديد ، يصيح : أنا أبو ذات الودع ، دلوني على محمد ، فأضرب عرقوب فرسه فاكتسعت<sup>(١)</sup> [به]<sup>(٢)</sup> ثم أتناول رحله ، فوالله ما أخطأت به عن حدفته ، فخار كما يخور الثور فما برحت به واضعا رجلي على خده حتى أرزته شعوب<sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : وكان طلحة قد أصابته في رأسه المصلبة ضربه رجل من المشركين ، ضربتين ، ضربة وهو مقبل ، وضربة وهو معرض عنه ، وكان ترف منها الدم ، قال أبو بكر : جئت النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فقال : عليك يا ابن عمك ، فأتى طلحة بن عبيد الله ، وقد ترف الدم ، فجعلت أنضح في وجهه الماء وهو مغمشي عليه ، ثم أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقلت : خيرا ، هو أرسلني إليك ، فقال : الحمد لله ، كل مصيبة بعده جدل .

قال الواقدي : وكان ضرار بن الخطاب النهري يقول : نظرت إلى طلحة بن عبيد الله قد حلق رأسه عند المروة في مئخرة ، فنظرت إلى المصلبة في رأسه ، فكان ضرار يقول : أنا والله ضربه ، هو استقبلني فضربه ، ثم أكره عليه ، وقد أعرض ، فأضربه ضربة أخرى .

(١) كذا في اللسان ، وفي ب والواقدي : « انكسعت » ، وفي اللسان : « وفي حديث طلحة يوم أحد : « فاضربت عرقوب فرسه فاكتسعت به ، أي سقطت » .

(٢) من اللسان

(٣) في اللسان : « وفي حديث طلحة : حتى أرزته شعوب ، أي أوردته المنية فزارها . شعوب من أسماء المنية .

قال الواقدي : ولما كان يوم الجمل ، وقتل علي عليه السلام من قتل من الناس ، ودخل البصرة ، جاءه رجل من العرب ، فتكلم بين يديه ، ونال من طلحة ، فزبره علي عليه السلام ، وقال : إنك لم تشهد يوم أحد ، وعظم غناؤه عن الإسلام ، مع مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكسر الرجل وسكت ، فقال له قاتل من القوم : وما كان غناؤه و بلاؤه يرحمه الله يوم أحد ؟ فقال علي عليه السلام : نعم ، يرحمه الله ، لقد رأيته وإنه ليرتس بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن السيوف لانشأه ، والنبل من كل ناحية ؛ وما هو إلا جنة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، يقيه بنفسه ، فقال رجل : لقد كان يوماً قتل فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله فيه الجراحة ، فقال علي عليه السلام : أشهد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ليت أني غودرت مع أصحابي بنحوص<sup>(١)</sup> الجبل ، ثم قال علي عليه السلام : لقد رأيتني يومئذ وإني لأذنبهم في ناحية ، وإن أباد جانة لفي ناحية يذب طائفة منهم ؛ حتى فرج الله ذلك كله ؛ ولقد رأيتني وانفردت منهم يومئذ فرقة خشناء<sup>(٢)</sup> ، فيها عكرمة بن أبي جهل فدخلت وسطهم بالسيف ، فضربت به ، واشتملوا علي حتى أفضيت إلى آخرهم ، ثم كررت فيهم الثانية ، حتى رجعت من حيث جئت ؛ ولكن الأجل استأخر ، ويقضى الله أمرا كان مفعولا .

قال الواقدي : وحدثني جابر بن سليم عن عثمان بن صفوان ، عن نبحارة بن خزيمة ، قال : حدثني من نظر إلى الحباب بن المنذر بن الجوح ، وإنه ليحوشهم<sup>(٣)</sup> يومئذ كما تحاش الغنم ؛ ولقد اشتملوا عليه حتى قيل : قد قتل ، ثم برز والسيف في يده ، وافترقوا عنه ، وجعل يحمل على فرقة منهم ، وإنهم ليهربون منه إلى تجمع منهم ،

(١) ب : « بحصن » ، وصوابه من الواقدي ، وفيه : قال ابن أبي الزناد : نحص الجبل أسفله .

(٢) فرقة خشناء ، أي كثيرة السلاح . (٣) يحوشهم ، أي يجمعهم .



وصار الحباب إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وكان الحباب يومئذ معلماً بعصابة خضراء في مَقَرِّه .

قال الواقدي : وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر على فرس مدججاً لا يرى منه إلا عيناه ، فقال : مَنْ يبارز ؟ أنا عبد الرحمن بن عتيق ! فنهض إليه أبو بكر ، وقال : أنا أبارزه ، وجرد سيفه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : شِمَّ سيفك ، وارجع إلى مكانك ، ومتعنا بنفسك .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما وجدتُ لشماس بن عثمان شبيهاً إلا الجنة ، يعني مما يقاتل عن رسول الله يومئذ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ يميناً ولا شمالاً إلا رأى شماس بن عثمان في ذلك الوجه ، يذب بسيفه عنه ، حتى غشي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فترس<sup>(١)</sup> بنفسه دونه ، حتى قتل ، فذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما وجدتُ لشماس شبيهاً إلا الجنة » .

قال الواقدي : ولما ولي المسلمون حين عطف عليهم خالد بن الوليد من خلفهم ، كان أول مَنْ أَقْبَلَ من المسلمين بعد التولية قيس بن محرز مع طائفة من الأنصار ، وقد كانوا بلغوا بني حارثة فرجعوا سراعاً فصادفوا المشركين في كثيرتهم ، فدخلوا في حوْمِهم ، فما أفلت منهم رجل حتى قُتِلُوا كلهم ، ولقد ضاربهم قيس بن محرز ، فامتنع بسيفه حتى قتل منهم نفراً ، فما قتلوه إلا بالرماح ، نظموه ، ولقد وجد به أربع عشرة طعنة جائرة<sup>(٢)</sup> وعشر ضربات بالسيف .

قال الواقدي : وكان عباس بن عباد بن نضلة المعروف بابن قوَّقل ، وخارجة بن

(١) ترس بنفسه ، أى جعل نفسه له كائنس .

(٢) الطعنة الجائرة : التى تبلى الجوف ، وفى الواقدي : « قد جافه » .

زيد بن أبي زهير ، وأوس بن أرقم بن زيد ، وعباس رافع صوته يقول : يا معشر المسلمين ،  
الله ونبئكم ! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم ؛ وعدكم<sup>(١)</sup> النصر فما صبرتم . ثم نزع مففره  
عن رأسه ، وخلع درّعه وقال لخارجة بن زيد : هل لك في درّعي ومففرى ؟ قال خارجة :  
لا ، أنا أريد الذي تريد ، فخالطوا القوم جميعا ، وعباس يقول : ماعذرنا عند ربنا إن  
أصيب نبيّنا ومنا عين تطرف ! قال : فيقول<sup>(٢)</sup> خارجة : لا عذر لنا والله عند ربنا ولا حجة ،  
فأما عباس فقتله سفيان بن عبد شمس السلمي ، ولقد ضربه عباس ضربتين ، فجرحه  
جرحين عظيمين ، فارتث يومئذ جريحاً ، فكث جريحاً سنة ، ثم استبل . وأخذت خارجة  
ابن زيد الرماح ، فخرج بضعة عشر جرحاً ، فمرّ به صفوان بن أمية ، فعرفه فقال : هذا  
من أكابر أصحاب محمد ، وبه رمق ، فأجهز عليه . وقتل أوس بن أرقم ، وقال صفوان : من  
رأى خبيب بن يساف ؟ وهو يطلبه فلا يقدر عليه . ومثل يومئذ بخارجة ، وقال : هذا  
ممن أغرى بأبي يوم بدر - يعني أمية بن خلف - وقال : الآن شفيت نفسي حين قتلت  
الأمائل من أصحاب محمد ، قتلت ابن قوقل ، وقتلت ابن أبي زهير ، وقتلت أوس  
ابن أرقم .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : من يأخذ هذا السيف  
بحقه ؟ قالوا : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : يضرب به العدو ، فقال عمر : أنا يا رسول الله ،  
فأعرض عنه ، ثم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الشرط ، فقام الزبير ، فقال :  
أنا ، فأعرض عنه ، حتى وجد<sup>(٣)</sup> عمر والزبير في أنفسهما ، ثم عرضه الثالثة ، فقام أبو دجانة ،  
وقال : أنا يا رسول الله آخذه بحقه ، فدفعه إليه ، فصدق حين لقي به العدو ، وأعطى السيف  
حقه ، فقال أحد الرجلين - إما عمر بن الخطاب أو الزبير : والله لأجعلن هذا الرجل الذي  
أعطاه السيف ومنعني من شأني ، قال : فاتبعته ، فوالله ما رأيت أحداً قاتل أفضل من

(٣) أي غضبا .

(٢) الواقدي : « يقول » .

(١) : « فيوعدكم » .



قتاله ، لقد رأيتُه يضرب به حتى إذا كلَّ عليه وخاف ألا يُحيك <sup>(١)</sup> عمدَ به إلى الجبارة ، فشحذه ، ثم يضرب به العدو ، حتى يردّه <sup>(٢)</sup> كأنه منجل ، وكان حين إعطاء رسول الله صلى الله عليه وآله السيف مشى بين الصَّفَّين ، واختال في مشيته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين رآه يمشى تلك المشية : إن هذه لمشيّةٌ يُبغضها الله تعالى إلا في مثل هذا للوطن . قال : وكان أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يعلمون في الرُّحوف ، أحدهم أبو دُجانة ، كان يعصب رأسه بعصابة حمراء ، وكان قومه يعلمون أنه إذا اعتصبَ بها أحسن القتال ، وكان على عليه السلام يعلم بصوفةٍ بيضاء ، وكان الزبير يعلم بعصابة صفراء ، وكان حمزة يعلم بريش نعام .

قال الواقدي : وكان أبو دُجانة يحدث يقول : إني لأنظر يومئذ إلى امرأة تقذف الناس وتحوشهم حوشاً منكراً ، فرفعتُ عليها السيف ، وما أحسبها إلا رجلاً ؛ حتى علمت أنها امرأة ، وكرهت أن أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة . والمرأة عمرة بنت الحارث .

قال الواقدي : وكان كعب بن مالك يقول : أصابني الجراح يوم أحد ، فلما رأيت المشركين يمثلون بالمسلمين أشدَّ المثل وأقبحها ، قتُ فتَنَحَّيت عن القتلى ، فإني لفي موضعٍ أقبلَ خالد بن الأعلم العقيلي جامع الأُمة يحوش المسلمين ، يقول : استوسقوا <sup>(٣)</sup> كما يستوسق جُرب الغنم ، وهو مدجج في الحديد ، يصيح : يامعشر قريش ، لا تقتلوا محمداً ، أسروه أسراً حتى نعرفه ما صنع ؛ ويصمد له قُزْمان فيضربه بالسيف ضربة على عاتقه رأيت منها سحره ، ثم أخذ سيفه وانصرف ، فطلع عليه من المشركين فارس ما أرى منه إلا عينيه ، فحمل عليه قُزْمان فضربه ضربةً جزّله اثنين ، فإذا هو الوليد بن العاص بن هشام الخزومي ، ثم يقول كعب : إني لأنظر يومئذ وأقول : ما رأيتُ مثل هذا الرجل أشجع

(١) لا يحيك : لا يؤثر . (٢) ١ : « رده » . (٣) استوسقوا : اجتمعوا .



بالسيف ، ثم ختم له بما ختم له به ! فيقال له : فما ختم له به ؟ فيقول : من أهل النار ، قتل نفسه يومئذ .

قال الواقدي : وروى أبو النمر الكناني ، قال : أقبلت يوم أحد وأنا من المشركين ، وقد انكشف المسلمون ، وقد حضرت في عشرة من إخواني ، فقتل منهم أربعة ؛ وكان الريح للمسلمين أول ما التقينا ، فلقد رأيتني وانكشفنا مولين ، وأقبل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على نهب العسكر ، حتى بلغت الجلاء ، ثم كرت خيلنا ، فقلت : والله ما كرت الخيل إلا عن أمر رآته ، فكررنا على أقدامنا كأننا الخيل ، فنجد القوم قد أخذ بعضهم بعضاً ، يقاتلون على غير صفوف ، ما يدري بعضهم من يضرب ، وما للمسلمين لواء قائم ، ومع رجل من بني عبد الدار لواء المشركين ، وأنا أسمع شعار أصحاب محمد بينهم : « أمت أمت » فأقول في نفسي : ما « أمت » ؟ وإني لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أصحابه محققون به ، وإن النبل ليجر عن يمينه ويساره ، ويقع بين يديه ، ويخرج من ورائه ، ولقد رميت يومئذ بخمسين مرماً ، فأصبت منها بأسم بعض أصحابه ، ثم هداني الله إلى الإسلام .

قال الواقدي : وكان عمرو بن ثابت بن وقش شاكاً في الإسلام ، وكان قومه يكلمونه في الإسلام ، فيقول : لو أعلم ما تقولون حقاً ما تأخرت عنه ، حتى إذا كان يوم أحد بدا له الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وأخذ سيفه وأسلم ، وخرج حتى دخل في القوم ، فقاتل حتى أثبت<sup>(١)</sup> ، فوجد في القتلى جريحاً ميتاً ، فدنوا منه وهو بأخر رمق ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ قال : الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأخذت سيفي وحضرت فرزقني الله الشهادة ، ومات في أيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه لمن أهل الجنة » .

(١) أثبت ، أي جرح .



قال الواقدي : فكان أبو هريرة يقول ، والناس حوله : أخبروني برجل يدخل الجنة لم يصل لله تعالى سجدة؟ فيسكت الناس ، فيقول أبو هريرة : هو أخو بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الواقدي : وكان مخيرق اليهودي من أحبار يهود ، فقال يوم السبت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد : يامعشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي ، وأن نصره عليكم حق . فقالوا : ويحك ! اليوم يوم السبت ، فقال : لا سبت ، ثم أخذ سلاحه وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مخيرق خير يهود » .

قال الواقدي : وكان مخيرق ، قال حين خرج إلى أحد : أن أصبت فأموالي لحمد يضعها حيث أراه الله فيه ، فهي عامة صدقات النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وكان حاطب بن أمية منافقاً ، وكان ابنه يزيد بن حاطب رجل صدق شهد أحداً مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتث<sup>(١)</sup> جريحاً ، فرجع به قومه إلى منزله ، قال : يقول أبوه وهو يرى أهل الدار يكون عنده : أتم والله صنعتم هذا به ، قالوا : كيف ؟ قال : أغررتموه من نفسه حتى خرج فقتل ، ثم صرتم معه إلى شيء آخر تعدونه الجنة ، يدخل فيها حبة من حرمل ، قالوا : قاتلك الله ! قال هو ذاك ، ولم يقر بالإسلام<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وكان قزمان عسيفاً<sup>(٣)</sup> من بني ظفر ، لا يدري ممن هو ، وكان لهم محباً ،

(١) ارتث : حل من المعركة جريحاً وبه رمق .

(٢) الخبر في ابن هشام ٣ : ٣٧ عن عاصم بن عمر بن قتادة : « أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب ابن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له زيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأتى به إلى قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يا ابن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا ( أي كبر ) في الجاهلية ، فنجم يومئذ ثقاقه ، فقال : بأي شيء تبشرونه ! أبحقه من حرمل ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه !

(٣) عسيفاً ، أي أجيراً .



وكان مقلّاً ولا ولد له ولا زوجة ، وكان شجاعاً يُعرف بذلك في حروبهم التي كانت تكون بينهم ، فشهد أحداً ، وفاتل قتالا شديداً ، فقتل ستة أو سبعة ، فأصابته الجراح فقتل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن قرمان قد أصابته الجراح ، فهو شهيد ، فقال : بل من أهل النار ، فجاءوا إلى قرمان ، فقالوا : هنيئاً لك أبا الفيداق الشهادة ! فقال : بيم تبشرونني ! والله ماقاتلنا إلا على الأحساب ، قالوا : بشرناك بالجنة ، قال حبة والله من حرمل ، إنا والله ماقاتلنا على جنة ولا على نار ، إنما قاتلنا على أحابنا ، ثم أخرج سهما من كنانته ، فجعل يتوجّأ به نفسه ، فلما أبطأ عليه المشقّص ، أخذ السيف ، فاتكأ عليه ، حتى خرج من ظهره ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فقال : « هو من أهل النار » .

قال الواقدي : وكان عمرو بن الجوح رجلاً أعرج ، فلما كان يوم أحد ، وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد أمثال الأسد ، أراد قومه أن يحبسوه ، وقالوا : أنت رجل أعرج ، ولا حرج عليك ، وقد ذهب بنوك مع النبي صلى الله عليه وسلم قال : بخ ! يذهبون إلى الجنة وأجلس أنا عندكم ! فقالت هند بنت عمرو بن حزام امرأته : كأتى أنظر إليه مولياً قد أخذ درّقه ، وهو يقول : اللهم لا تردني إلى أهلي ، فخرج ولحقه بعض قومه يكلمونه في التعمود ، فأبى وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن قومي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك ، والله إني لأرجو أن أخطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال له : أما أنت فقد عذرَكَ الله ولا جهاد عليك ، فأبى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقومه وبنيه : لا عليكم أن تمنعوه ، لعل الله يرزقه الشهادة ؛ فخانوا عنه ، فقتل يومئذ شهيداً . وكان أبو طلحة يحدث ، يقول : نظرت إلى عمرو بن الجوح حين انكشف المسلمون ، ثم تابوا وهو في الرّعيّل الأول ، لكأتى أنظر إلى ضلّعه وهو يعرج في مشيته ، وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة ، ثم أنظر إلى ابنته يعدو في أثره ، حتى قُتلا جميعاً .



قال الواقدي ، وكانت عائشة خرجت في نسوة تستروح الخبر ، ولم يكن قد صُرب الحجاب يومئذٍ ، حتى كانت بمنقطع الحرّة وهي هابطة من بني حارثة إلى الوادي ، لقيت هنداً بنت عمرو بن حزام ، أخت عبد الله بن عمرو بن حزام ، تسوق بعيراً لها ، عليه زوجها عمرو بن الجوح ، وابنها خلاد بن عمرو بن الجوح ، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حزام <sup>(١)</sup> أبو جابر بن عبد الله ، فقالت لها عائشة : عندك الخبر ، فما وراءك ؟ فقالت هند : خير ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح ، وكلّ مُصيبة بعده جَلَلٌ ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ ﴾ .

— قلت : هكذا وردت الرواية ، وعندى أنها لم تقل كل ذلك ، ولعلها قالت : « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ » ، لا غير ، وإلا فكيف يواطىء كلامها آية من كلام الله تعالى أنزلت بعد الخندق والخندق بعد أحد ! هذا من البعيد جداً .

قال : فقالت لها عائشة : فمن هؤلاء ؟ قالت : أخى وابنى وزوجى قتلى ، قالت : فأين تذهبين بهم ؟ قالت : إلى المدينة أقبرهم بها « حَلْ حَلْ » تزجر بعيرها ، فبرك البعير ، فقالت عائشة : لنقل ما حمل ، قالت هند : ماذا به ، لربما حمل ما يحمله البعيران ، ولكنى أراه لغير ذلك ، فزجرته فقام ، فلما وجهت به إلى المدينة برك ، فوجهته راجعة إلى أحد ، فأسرع ، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ، فقال : إنّ الجمل للمأمور ، هل قال عمرو شيئا ؟ قالت : نعم ، إنه لما وجه إلى أحد استقبل القبلة ، ثم قال : اللَّهُمَّ لَا تُرِدَّنِي إِلَى أَهْلِي ، وارزقني الشهادة ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : فلذلك الجمل لا يمضى ، إنّ منكم يامعشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره ، منهم عمرو بن الجوح ، يا هند ، ما زالت الملائكة مظلّة على أخيك من لدن قُتِلَ إلى الساعة ، ينظرون أين يدفن ! ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرهم ، ثم قال : يا هند ، قد توافوا في الجنة

جميعا ؛ عمرو بن الجموح بعثك ، وخالد ابنك ، وعبد الله أخوك . فقالت هند : يا رسول الله ،  
فادع الله لي عسى أن يجعلني معهم !

قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله ، يقول : اصطحب ناسٌ يوم أحد الحمر ، منهم  
أبي ، فقتلوا شهداء .

قال الواقدي : وكان جابرٌ يقول : أول قتيل من المسلمين يوم أحد أبي ؛ قتله سفيان  
ابن عبد شمس أبو الأعور السلمي ، فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قبل الهزيمة .

قال الواقدي : وكان جابر يحدث ، ويقول : استشهد أبي ، وجعلت عمّي تبكي ،  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيها ! ما زالت الملائكة تظلّ عليه بأجنحتها  
حتى دُفن .

قال الواقدي : وقال عبيد الله بن عمرو بن حزام : رأيتُ في النوم قبل يوم أحد  
بأيام مبشر بن عبد المنذر ، أحد الشهداء بيدر ، يقول لي : أنت قادم علينا في أيام !  
فقلت : فأين أنت ؟ قال : في الجنة نسرّح منها حيث تشاء ، فقلت له : ألم تقتل يوم  
بدر ؟ قال : بلى ، ثم أحييت ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذه  
الشهادة يا جابر » .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : ادفنوا عبد الله بن عمرو  
ابن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد ، ويقال : إنهما وجدا وقد مُثل بهما كل مُثْلَة  
قطعت آراهما<sup>(١)</sup> عضوا عضوا ، فلا تعرف أبدانهما . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« ادفنوها في قبر واحد » ، ويقال : إنما أمر بدفنهما في قبر واحد ، لما كان بينهما من

(١) الأراب : جمع إرب ، بالكسر والكون ، وهو العضو .



الصفاء ، فقال : ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد .

وكان عبد الله بن عمرو بن حرام رجلاً أحمر أصلم ، ليس بالطويل ؛ وكان عمرو ابن الجموح طويلاً ، فمرقا ودخل السَّيل بعد عليهما ، وكان قبرهما ممّا يلي السَّيل ، فحفر عنهما ، وعليهما نمرتان وعبد الله قد أصابه جرح في وجهه ، فيده على وجهه<sup>(١)</sup> ، فأميّطت يده عن جرحه ، فثعب<sup>(٢)</sup> الدم ، فردت إلى مكانها فسكن الدم .

قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله يقول : رأيت أبي في حفرة ، وكأنه نائم ، وما تغير من حاله قليل ولا كثير ؛ ف قيل له : أفرأيت أ كفانه؟ قال : إنّما كُفّن في نَمرة<sup>(٣)</sup> خُرّبها وجهه ، وعلى رجله الحرمل فوجدنا النَمرة كما هي ، والحرمل على رجله كهيئته ، وبين ذلك وبين وقت دفنه ست وأربعون سنة ، فشاورهم جابر في أن يطيبه بمسك ، فأبى ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : لا تحدثوا فيهم شيئا .

قال : ويقال إنّ معاوية لما أراد أن يُجريَ العين التي أحدثها بالمدينة ، وهي كظامه نادى مناديه بالمدينة : من كان له قتيل بأحد فليشهد . فخرج الناس إلى قتالهم فوجدوهم رطاباً يتشوّن ، فأصابَت المسحاةُ رجلَ رجلٍ منهم ، فثعبت دما ، فقال أبو سميد الخُدري : لا ينكر بعد هذا منكر أبدا .

قال : ووُجد عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد ، ووُجد خارجة ابن زيد بن أبي زهير وسعد بن الربيع في قبر واحد ، فأما قبرُ عبد الله وعمرو فحول ، وذلك أنّ القناة كانت تمرّ على قبرهما ، وأما قبر خارجة وسعد فترك ، وذلك لأنّ مكانه كان معزّلاً ، وسوّىَ عليهما التراب ، واقدا كانوا يحفرون التراب ، فكلّما حفروا قُترة من تراب ، فاح عليهما المسك .

(٢) ثعب الدم : سال .

(١) : « جرحه » .

(٣) النَمرة : بردة من صوف .

قال : وقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر : يا جابر ، ألا أبشرك ؟ فقال : بلى ، بأبي وأمي ! قال : فإن الله أحيا أباك ، ثم كلمه كلاما ، فقال له : تمنّ على ربك ما شئت ! فقال : أتمنى أن أرجع فأقتل مع نبيك ، ثم أحيا فأقتل مع نبيك ، فقال : إني قد قضيت أنهم لا يرجعون .

قال الواقدي : وكانت نسيبة بنت كعب أمّ عمارة بن غزيرة بن عمرو قد شهدت أحداً ، وزوجها<sup>(١)</sup> غزيرة وابناها عمارة بن غزيرة وعبدالله بن زيد ، وخرجت ومعها شن<sup>(٢)</sup> لها في أول النهار تريد تسقى الجرّحى ، فقاتلت يومئذ وأبليت بلاء حسنا ، فجرحته اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف ، فكانت أمّ سعد بنت سعد بن الربيع تحدث ، فتقول : دخلت عليها ، فقالت لها : يا خالة ، حدثيني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار إلى أحد ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصحابة والدّوّلة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزّت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أبشر القتال ، وأذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ، وأرمى بالقوس ، حتى خلصت إلى الجراح ، فرأيت على عاتقها جرحاً أجوفاً له غور ، فقلت : يا أمّ عمارة ، من أصابك بهذا؟ قالت : أقبل ابن قميثة ، وقد ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيح : دلّوني على محمد ، لا نجوت إن نجا ! فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه ، فكنت فيهم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدو الله كان عليه درعان ، فقالت لها : يدك ما أصابها ؟ قالت : أصيبت يوم اليمامة ، لما جعلت الأعراب تنهزم بالناس ، نادى الأنصار : اخلصونا ، فأخلصت الأنصار ، فكنت معهم ، حتى اتهمنا إلى حديقة الموت ، فاقتلنا عليها ساعة ، حتى قُتل أبو دُجانة على باب الحديقة ؛ ودخلتها

(١) كذا في الواقدي ، وفي ب : « وتزوجها » .

(٢) الشن : القربة الخلق الصغيرة ، يكون فيها الماء أبرد من غيرها .



وأنا أريد عدو الله مُسيّمة ، فيعرض لى رجل ، فضرب يدي ، فقطعها ، فوالله ما كانت ناهية ، ولا عرجت عليها ، حتى وقفت على الخبيث مقتولاً ، وابنى عبد الله بن زيد المازنى يمسح سيفه بثيابه ، فقلت : أقتلته ؟ قال : نعم ، فسجدتُ شكراً لله عز وجل وانصرفت .

قال الواقدي : وكان ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته ، وكانت قد شهدت أحداً نسقى الماء ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : لمقام نسيبه بنت كعب اليوم خيرٌ من مقام فلان وفلان . وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال ، وإنها لحازرة ثوبها على وسطها ، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً .

\*\*\*

قلت : ليت الراوى لم يكن هذه الكناية ، وكان يذكرها باسمها حتى لا تتراعى الظنون إلى أمور مشبهة ! ومن أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتف منه شيئاً ، فما باله كتم اسم هذين الرجلين .

قال : فلما حضرت نسيبه<sup>(١)</sup> الوفاة ، كنت فيمن غشاها فعددت جراحها جرحاً جرحاً فوجدتها ثلاثة عشر ؛ وكانت تقول : إني لأنظر إلى ابن قبيصة وهو يضربها على عاتقها - وكان أعظم جراحها ، لقد داوته سنة - ثم نأى منادى النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء أحد : إلى حمراء الأسد ! فشدت عليها ثيابها ، فما استطاعت من نزف الدم ، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح ، حتى أصبحنا ، فلما رجع رسول الله من حمراء الأسد ، لم يصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازنى يسأل عنها ، فرجع إليه فأخبره بسلامتها ، فسر بذلك .

قال الواقدي : وحدثني عبد الجبار بن عمار بن غزيرة ، قال : قالت أم عمارة

(١) الواقدي : « فلما حضرتها » .

لقد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقي إلا نفرٌ ما يتمون عشرة ، وأنا وأبنائي وزوجي بين يديه تذبذباً منه ، والناس يمرُّون عنه منهزمين ، فرآني ولا تُرْسَ معي ، ورأى رجلاً مولياً معه تُرْسٌ ، فقال : يا صاحبَ التُّرس ، القِ ترسك إلى مَنْ يُقاتل . فالتقى ترسه فأخذه ، فجعلت أترس به على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ، ولو كانوا رجالاً مثلنا أصبناهم ، فيقبل رجل على فرس ، فضر بني وترست له ، فلم يصنع سيفه شيئاً ، وولّى وأضرب عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح : يا ابنُ عُمارَة ، أمك أمك ! قالت : فعاونني عليه حتى أوردته شعوب<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي : وحدثنى ابنُ أبي سَهرة ، عن عمرو بن يحيى ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زيد المازني ، قال : جرحت يومئذ جرحاً في عضدي اليسرى ، ضربني رجل كأنه الرُّقْل ولم يعرج عليّ ، ومضى عني ، وجعل الدم لا يرقأ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعصب جرحك ، فتقبل أمي إليّ ، ومعها عصائب في حقوبها قد أعدتها للجراح ، فربطت جرحي والنبي صلى الله عليه وسلم واقف ينظر ، ثم قالت : انهض يا بني ، فضارب القوم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ومن يطيق ما تطيق يا أمَّ عُمارَة ! قالت : وأقبل الرجل الذي ضربني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا ضارب ابنك ، فاعترضت أمي له ، فضربت ساقه ، فبرك ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تبسم حتى بدت نواجذهُ ، ثم قال : استقدت يا أمَّ عُمارَة . ثم أقبلنا نعلوه<sup>(٢)</sup> بالأسلح حتى أتينا على نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك ، وأراك تارك بعينك !

(١) شعوب : اسم المنيّة .

(٢) ب : « نعلوه » ، والصواب ما أثبتته من أ والواقدي .



قال : الواقديّ وروى موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب في أيام خلافته بمروط<sup>(١)</sup> كان فيها مروط واسع جيد فقال بعضهم : إن هذا المروط يشتم كذا ، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد ، وذلك حدثان<sup>(٢)</sup> ما دخلت على ابن عمر ، فقال : بل أبعث به إلى من هو أحقّ منها ، أمّ عمارة نسيبة بنت كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد يقول : ما التفت يميناً وشمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني .

قال الواقديّ : وروى مروان بن سعيد بن المعلى ، قال : قيل لأمّ عمارة : يا أمّ عمارة ، هل كنّ نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهنّ ؟ فقالت : أعوذ بالله ، لا والله ما رأيت امرأة منهنّ رمت بسهم ولا حجر ، ولكن رأيت معهنّ الدفّاف والأكبار يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر ، ومعهنّ مكاحل ومراود ، فكأما ولي رجل أو تكعكم ناولته إحداهنّ مروداً ومكحلة ، ويقلن : إنما أنت امرأة ، ولقد رأيتهنّ ولّين منهزمات مشمّرات ، ولها عنهنّ الرجال أصحاب الخيل ، ونجوا على متون خيلهم ، وجمالنّ يتبعنّ الرجال على أقدامهنّ ، فجعلن يسقطن في الطريق ، ولقد رأيت هنداً بنت عتبة ، وكانت امرأة ثقيلة ، ولها خلق ، قاعدة خاشية من الخيل ، ما بها مشى ، ومعها امرأة أخرى ، حتى كثر القوم علينا ، فأصابوا منا ما أصابوا ، فعند الله نحسب ما أصابنا يومئذ من قبل الرماة ومعصيتهم لرسول<sup>(٣)</sup> الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقديّ : وحدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله ، قال : سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم ، يقول : شهدتُ أحدًا

(١) المروط ، بالكسر : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتز به ، وربما نلقيه المرأة على رأسها

(٢) حدثان الأمر : ابتدأوه .

وتلقع به وجهه مروط .

(٣) ١ : « الرسول » .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تفرق الناس عنه ، دنوت منه ، وأمى تذب عنه ، فقال : يا ابن عمار ، قلت : نعم ، قال : ارمي فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر ، وهو على فرس ، فأصابت عين الفرس ، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة ، حتى نضدت عليه منها وقرا ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ويتبسم ، فنظر إلى جرح أمى على عاتقها ، فقال : أمتك أمتك ! اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ! لمقام أمتك خير من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيبك - يعنى زوج أمه - خير من مقام فلان ، رحمكم الله من أهل بيت ! فقالت أمى : ادع لنا الله يا رسول الله أن نرافقك في الجنة ، فقال : « اللهم اجعلهم رُفقاءى في الجنة » ؛ قالت : فما أبالي ما أصابني من الدنيا .

قال الواقدي : وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول ، فأدخلت عليه في الليلة التي في صبيحتها قتال أحد ، وكان قد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت عندها ، فأذن له ، فلما صلى الصبح غدا يريد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلزمته جميلة ، فعاد فكان معها ، فأجنب منها ، ثم أراد الخروج ، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها ، فأشهدتهم أنه قد دخل بها ، فقيل لها بعد : لم أشهدت عليه ؟ قالت : رأيت كأن السماء فرجت ، فدخل فيها ، ثم أطيقت . فقلت : هذه الشهادة ، فأشهدت عليه أنه قد دخل بي ، فعليقت منه بعبد الله بن حنظلة . ثم تزوجها ثابت بن قيس بعد ، فولدت له محمد بن ثابت بن قيس وأخذ حنظلة بن أبي عامر سلاحه ، فلاحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وهو يسوى الصفوف ، فلما انكشف المشركون ، اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب ، فضرب عرقوب فرسه ، فاكذعت الفرس ، ويقع أبو سفيان إلى الأرض ، فجعل يصيح : يا معشر قريش ، أنا أبو سفيان بن حرب ! وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فأسمع الصوت رجلا لا يلتفتون إليه من الهزيمة ، حتى عاينه الأسود بن شعوب ، فحمل على حنظلة بالرمح ،



فأنفذه ، ومشى حنظلة إليه في الرمح فضر به ثانية فقتله ، وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه ، فلاحق بيمض قرش ، فنزل عن صدر فرسه ، وردف وراءه أبا سفيان ، فذلك قول أبي سفيان يذكر صبره ووقوفه وأنه لم يفر ، وذَكَرَ محمد بن إسحاق <sup>(١)</sup> :

ولو شئتُ نَجَّيْتُ كَمِيْتُ طِمْرَةً      ولم أحل النعماء لابن شعوب <sup>(٢)</sup>  
وما زال مُهْرِي مزجر الكلب فيهم      لدن غُدْوَةً حَتَّى دنت لغروب <sup>(٣)</sup>  
أقاتلهم وأدعي يالَ غالب      وأدفعهم عني بركن صليب <sup>(٤)</sup>  
فبكي ولا ترعى مقالة عاذل      ولا نأمن من عبرة ونحيب  
أباك وإخواناً لنا قد تابَعُوا <sup>(٥)</sup>      وحق لهم من حسرة بنصيب  
وسلّي الذي قد كان في النفس إنني      قتلتُ من النجار كلَّ نجيب  
ومن هاشم قرماً كريماً ومُصعباً      وكان لدى الهيجاء غير هيب <sup>(٦)</sup>  
ولو أنني لم أشف نفسي منهم      لكانت شجافى الصدر ذات ندوب <sup>(٧)</sup>  
فأبوا وقد أودى الجلابيبُ منهم      بهم كد من واجم وكثيب <sup>(٨)</sup>  
أصابهم من لم يكن لدمائهم      كفاء ولا في سنخهم بضرب <sup>(٩)</sup>

قال الواقدي : مرّ أبو عامر الراهب على حنظلة ابنه وهو مقتول إلى جنب

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٢١ ، ٢٢

(٢) الطمرة : القرس السريعة الوثب ، وفي الأصول : « النعمان » تحريف .

(٣) ابن هشام : « منهم » ، ومزجر الكلب ، يريد أنه قريب ، والضمير في « دنت » يعود إلى الشمس .

(٤) صليب : شديد قوى . (٥) ابن هشام : « وإخواناً له » .

(٦) القرم في الأصل : الفعل الكرم من الإبل ، وعني به هاشم حزة بن عبيد المطلب . والصعب : الفعل من الإبل أيضاً .

(٧) الندوب : آثار الجروح .

(٨) الجلابيب : الجماعات . وفي ابن هشام :

« بهم خذبٌ من مُعِيطٍ وكثيب »

(٩) في ابن هشام : « ولا في حصة بضرب » .

حمزة بن عبدالمطلب ، وعبد الله بن جعش ؛ فقال : إن كنت لأحذرك هذا الرجل - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - من قبل هذا المصراع ، والله إن كنت لبراً بالوالد ، شريف الخلق فى حياتك ، وإن مماتك لمع سراة أصحابك وأشرفهم ، إن جرى الله هذا القتل - يعنى حمزة - خيراً ، أو جرى أحداً من أصحاب محمد خيراً ، فليجزك ، ثم نادى : يا معشر قريش ، حظلة لا يمثل به ، وإن كان خالفنى وخالفكم ؛ فلم يأل لنفسه فيما يرى خيراً ، فمثل بالناس وترك حظلة فلم يمثل به .

وكانت هند بنت عتبة أول من مثل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمرت النساء بالمثل ، ونجدع الأنوف والآذان ، فلم تبق امرأة إلا عليها معضدان<sup>(١)</sup> ومسكتان<sup>(٢)</sup> وخدمتان<sup>(٣)</sup> إلا حظلة لم يمثل به ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني رأيت الملائكة تغسل حظلة بن أبى عامر بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة » ؛ قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا فنظرنا إليه ، فإذا رأسه يقطر ماء ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأرسل إلى امرأته فسألها ، فأخبرته أنه خرج وهو جنب .

قال الواقدي : وأقبل وهب بن قابوس المزني ، ومعه ابن أخيه الحارث بن عتبة بن قابوس بغم لهما من جبل مزينة ، فوجد المدينة خلوأ ، فسألا : أين الناس ؟ قالوا : بأحد ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين من قريش ، فقال : لا نبتغى أثراً بعد عين ، فخرجا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم بأحد ، فيجدان القوم يقتتلون ، والدولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأغاروا مع المسلمين فى النهب ، وجاءت الخيل من ورأهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ، فاختلط الناس ، فقاتلا أشد القتال ، فانفرت فرقة من المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذه الفرقة ؟ فقال وهب بن قابوس : أنا يا رسول الله ، فقام فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ، ثم رجع فانفرت فرقة

(١) المعضد : الدمليج ، وهو حلى يلبس فى المعصم .

(٢) المسك : الأسورة من القرون والعاج . (٣) الخدمة : الخبال .



أخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لهذه الكتيبة ؟ فقال المزني : أنا يا رسول الله ، فقام فذبها بالسيف حتى ولت ، ثم رجع فطلعت كتيبة أخرى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ يقوم لهؤلاء ؟ فقال المزني : أنا يا رسول الله ، فقال : قم وأبشر بالجنة . فقام المزني مسرورا يقول : والله لا أقبل ولا أستقبل ، فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه والمسلمون ، حتى خرج من أقصى الكتيبة ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم ارحمه ، ثم يرجع فيهم ، فما زال كذلك وهم محذقون به ، حتى اشتملت عليه أسياقهم ورماحهم ، فقتلوه فوجد به يومئذ عشرون طعنة بالرماح ، كلها قد خلصت إلى مقتل ، ومثل به أقبح المثل يومئذ . ثم قام ابن أخيه ، فقاتل كنهو قتاله ، حتى قُتل ، فكان عمر بن الخطاب يقول : إن أحب ميتة أموت عليها لما مات عليها المزني .

قال الواقدي : وكان بلال بن الحارث المزني يحدث يقول : شهدنا القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، فلما فتح الله علينا ، وقسمت بيننا غنائمنا ، أسقط فتى من آل قابوس من مزينة ، فجثت سعدا حين فزع من نومه ، فقال : بلال ! قلت : بلال ، قال : مرحباً بك ، مَنْ هذا معك ؟ قلت : رجل من قومي ، قال : ما أنت يا فتى من المزني الذي قتل يوم أحد ! قال : ابن أخيه . قال سعد : مرحباً وأهلاً ، أنعم الله بك علينا ! لقد شهدت من ذلك الرجل يوم أحد مشهداً ما شهدت من أحد قط ، لقد رأيتنا وقد أهدق المشركون بنا من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ، والكتاب تطلع من كل ناحية ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي ببصره في الناس يتوسمهم ، ويقول : مَنْ لهذه الكتيبة ؟ كل ذلك يقول المزني : أنا يا رسول الله ، كل ذلك يرد الكتيبة ، فما أنسى آخر مرة قالها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم

وأبشُرُ بالجنة ، فقام وقت على أثره ، يعلم الله أني أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة ، فحَضُنَا حَوَمتَهُمْ ، حتى رجعنا فيهم الثانية ، فأصابوه رحمه الله ، ووددت والله أني كنتُ أصِبتُ يومئذ معه ، ولكن أجل <sup>(١)</sup> استأخر ، ثم دعا من ساعته بسهمه فأعطاه وفضله ، وقال : اختر في المقام عندنا أو الرجوع إلى أهلك ، فقال بلال : إنه يستحب الرجوع ، فرجع .

قال الواقدي : وقال سعد بن أبي وقاص : أشهدُ لرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على المِزَنَةِ ، وهو مقتول ، وهو يقول : رضى الله عنك ، فأبى عنك راض ؛ ثم رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله قام على قدميه ، وقد ناله عليه السلام من ألم الجراح ما ناله ، وإني لأعلم أن القيَّام يشقُّ عليه على قبره ؛ حتى وضع في لحدِّه وعليه بُرْدَةٌ ، لها أعلامٌ حُمْرٌ ، فهدَّ رسول الله صلى الله عليه وآله البردة على رأسه ، فخرَّه وأدرجه فيها طويلاً ، فبليت نصف ساقيه ، فأمرنا فجمعنا الحُرْمَل ، فجعلناه على رجله وهو في لحدِّه ، ثم انصرف فما حال أحبَّ إلىَّ من أن أموت عليها وألقى الله عليها من حال المِزَنَةِ .

قال الواقدي : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ قد خاصم إليه يتيم من الأنصار أبا لبابة بن عبد المنذر في عِدْقٍ بينهما ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي لبابة ، فجزع اليتيم على العِدْقِ ، فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العِدْقَ إلى أبي لبابة لليتيم ، فأبى أن يدفعه إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبي لبابة : ادفعه إليه ولك عِدْقٌ في الجنة ، فأبى أبو لبابة ، وقال ثابت <sup>(٢)</sup> بن أبي الدَّحْدَاحَةِ : يا رسول الله ؛ رأيتُ إن أعطيتُ اليتيمَ عِدْقَه من مالي ! قال : لك به عِدْقٌ في الجنة ، فذهب ثابت بن الدَّحْدَاحَةِ ، فاشترى من أبي لبابة ذلك العِدْقَ بحديقة نخل ، ثم رد العِدْقَ إلى الغلام ،

(١) الواقدي : « أجل استأخر » . (٢) كذا في الاستيعاب ١ : ٢٠٣ ( ١٨ - نهج ١٤ )



فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رب عذق مذلل <sup>(١)</sup> لابن الدحداحة في الجنة » ، فكانت ترجى له الشهادة بذلك القول ، فقتل يوم أحد .

قال الواقدي : ويقبل ضرار بن الخطاب فارساً يجر قناةً له طويلة ، فيطعن عمرو بن معاذ ، فأنفذه ، ويمشي عمرو إليه حتى غلب ، فوقع لوجهه ، قال : يقول ضرار : لا تعدمن رجلاً زوجك من الحور العين ، وكان يقول : زوجت يوم أحد عشرة من أصحاب محمد الحور العين .

قال الواقدي : فسألت شيوخ الحديث : هل قتل عشرة ؟ قالوا : ما بلغنا أنه قتل إلا ثلاثة ، ولقد ضرب يومئذ عمر بن الخطاب حين جال المسلمون تلك الجولة بالقناة ، وقال : يا ابن الخطاب ، إنها نعمة مشكورة ، ما كنت لأقتلك .

قال الواقدي : وكان ضرار يحدث بعد ، ويذكر وقعة أحد ، ويذكر الأنصار فيترحم عليهم ، ويذكر غنائهم في الإسلام ، وشجاعتهم وإقدامهم على الموت ، ثم يقول : لقد قتل أشرف قومي بدر ، فأقول : مَنْ قتل أبا الحكم ؟ فيقال <sup>(٢)</sup> : ابن عفرأ . من قتل أمية بن خلف ؟ فيقال : خبيب بن يساف . من قتل عتبة بن أبي معيط ؟ فيقال : عاصم بن ثابت . من قتل فلان بن فلان ؟ فيسمى لي من الأنصار ، من أسر سهيل بن عمرو ؟ فيقال : مالك بن الدخشم . فلما خرجنا إلى أحد ، وأنا أقول : إن قاموا في صياصيتهم فهي منيعة لا سبيل لنا إليهم نقيم أياماً ثم ننصرف ، وإن خرجوا إلينا من صياصيتهم أصبنا منهم ، فإن معنا عدداً أكثر من عددهم ، ونحن قوم موتورون ؟ خرجنا بالظعن يذكروننا قتلى بدر ، ومعنا كراع ولا كراع معهم ، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ، ففُضي لهم أن يخرجوا ، فالتقينا ، فوالله ما قتنا لهم حتى هزمنا وانكشفنا مولين ، فقلت

(١) العذق بالفتح : النخلة . وبالكسر : المرجون بما فيه من الشاربخ ، وقد ورد في هذا الحديث

(٢) الواقدي : « فقال » .

في اللسان « عذق » .

في نفسي : هذه أشد من وقعة بدر ، وجعلت أقول لخالد بن الوليد : كرت على القوم ، فيقول : وترى وجهنا نكرت فيه ! حتى نظرت إلى الجبل الذي كان عليه الرماة خاليا ، فقلت : يا أبا سليمان ، انظر وراءك ، فعطف عنان فرسه ، وكررنا معه ، فأنهينا إلى الجبل ، فلم نجد عليه أحداً له بال ، وجدنا نفيراً فأصبناهم ، ثم دخلنا العسكر ، والقوم غارون ينهبون عسكرنا ، فأقمنا الخيل عليهم ، فتطايروا في كل وجه ، ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا ، وجعلت أطلب الأكابر من الأوس والخزرج قتلة الأحبة ، فلا أرى أحداً ، هربوا فما كان حلب ناقة حتى تداعت الأنصار بينها ، فأقبلت فخالطونا ونحن فرسان ، فصبرنا لهم ، وصبروا لنا ، وبذلوا أنفسهم حتى عقر أفرسي ، وترجلت ، فقتلت منهم عشرة ؛ ولقيت من رجل منهم الموت الناقع ، حتى وجدت ريح الدم ، وهو معانق ما يفارقني ، حتى أخذته الرماح من كل ناحية ، فوقع ، فالحمد لله الذي أكرمهم بيدي ، ولم يهني بأيديهم .

مركز توثيق كويت

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : من له علم بذكوان ابن عبد قيس ؟ فقال علي عليه السلام : أنا رأيت يارسول الله فارساً يرغض في أثره حتى لحقه ، وهو يقول : لا نجوت إن نجوت ! فحمل عليه فرسه وذكوان راجل ، فضربه وهو يقول : خذها وأنا ابن علاج ! فقتله ، فأهويت إلى الفارس ، فضربت رجلاه بالسيف ، حتى قطعتهما من نصف الفخذ ، ثم طرحته عن فرسه فذقت عليه ، وإذا هو أبو الحكم بن أخنس بن شريق بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفي .

قال الواقدي : وقال علي عليه السلام لما كان يوم أحد وجال الناس تلك الجولة : أقبل أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وهو دارع مقنع في الحديد ما يرى منه إلا عيناه ، وهو يقول : يوم بيوم بدر ! فيعرض له رجل من المسلمين ، فقتله أمية ، قال علي عليه السلام : وأصميد له ، فأضربه بالسيف على هامته ، وعليه بيضة ، وتحت البيضة مفقر ، فنبأ سفي ،



وكنت رجلا قصيرا ، ويضر بني بسيفه ، فأتقى بالدرقة ، فلحج سيفه ، فأضر به ، وكان درعه مشمرة ، فأقطع رجله ، فوقع وجعل يعالج سيفه ، حتى خلصه من الدرقة ، وجعل يناوشني وهو بارك حتى نظرت إلى فتق تحت إبطه فاحش فيه بالسيف ، فقال فمات ، وانصرفت .

قال الواقدي : وفي يوم أخذ انتمى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : « أنا ابن المواتك » ، وقال أيضا :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال الواقدي : بينا عمر بن الخطاب يومئذ في رهط من المسلمين قعود ، مر بهم أنس بن النضر بن ضمضم عم أنس بن مالك ، فقال : ما يقعدكم ؟ قالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم قام ، فجالد بسيفه حتى قُتِل ، فقال عمر بن الخطاب : إني لأرجو أن يبعثه الله أمةً وحده يوم القيامة ، ووجد به سبعون ضربةً في وجهه ما عرف حتى عرفته أخته .

قال الواقدي : وقالوا : إن مالك بن الدخشم مرةً على خارجة بن زيد بن زهير يومئذ وهو قاعد ، وفي حُشوته <sup>(١)</sup> ثلاثة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل ، فقال له مالك : أما علمت أن محمداً قد قتل ! قال خارجة : فإن كان محمداً قد قتل ، فإن الله حي لا يُقتل ولا يموت ؟ وإن محمداً قد بلغ رسالة ربه ، فاذهب أنت فقاتل عن دينك .

قال : ومرةً مالك بن الدخشم أيضاً على سعد بن الربيع ، وبه اثنا عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل ، فقال : أعلمت أن محمداً قد قتل ! فقال سعد : أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه ، فقاتل أنت عن دينك ، فإن الله حي لا يموت .

(١) حشوة البطن : أمعاؤه .

قال محمد بن إسحاق: وحدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعَصعة المازني، أخو بني النَجَّار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ: مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، أَفَى الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحاً في القَتْلِ، وبه رَمَقٌ، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ قال: أنا في الأموات فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله مني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله خيراً عما ماجزى نبياً عن أمته وأبلغ قومك السلام عني، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا عذرَ لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف، قال: فلم أبرح عنده حتى مات، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: اللهم ارضَ عن سعد بن الربيع.

قال الواقدي: وحدثنى عبد الله بن عمار، عن الحارث بن القُضَيْل الخطمي، قال: أقبل ثابت بن الدَّحْدَاحَة يومئذ والمسلمون أوزاع، قد سقط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشرَ الأنصار، إلىّ إلىّ أنا ثابت بن الدَّحْدَاحَة! إن كان محمد قد قُتِلَ، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت! قاتلوا عن دينكم، فإنَّ الله مظهركم وناصركم؛ فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت لهم كتيبة خَشَناء<sup>(١)</sup> فيها رؤساؤهم: خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وجعلوا يناوشونهم، ثم حمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه، فأنفذه فوق مينا، وقتل مَنْ كان معه من الأنصار، فيقال: إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين في ذلك اليوم.

وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِي يذكر يوم أحد:

ألا ذرفت من مئة لثيك دُمُوعٌ      وقد بان في حبل الشَّبابِ قُطُوعٌ<sup>(٢)</sup>

(١) كتيبة خَشَناء: كثيرة السلاح.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ١٠٤ - ١٠٦، وفيه: «بالدم حبل الشباب».



وشطَّ بَيْنَ تَهْوَى الْمَزَارِ وَفَرَّقَتْ  
 وَايِسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي صَبَابَةٍ (١)  
 فَدَعَا ذَا وَلَكِنْ هَلْ أَنَّى أُمَّ مَالِكٍ  
 وَنَحْنُ جُرْدًا إِلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ  
 عَشِيَّةَ سِرْنَا مِنْ كَدَاءٍ يَقُودُهَا  
 يَشْدُ عَلَيْنَا كُلَّ زَحْفٍ كَانَهَا  
 فَلَمَّا رَأَوْنَا خَالِطَهُمْ مَهَابَةً  
 فَوَدَّوْا لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُهَا  
 وَقَدْ عَرَّيْتُ بَيْضُ كَأَنَّ وَمِيقَاتِهَا  
 بِأَيْمَانِنَا نَعْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ  
 فَغَادَرْنَا قَتْلَى الْأَوْسِ عَاصِبَةً بِهِمْ  
 وَمَرَّ بَنُو الْفَجَّارِ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ  
 وَلَوْلَا عُلُوُّ الشَّعْبِ غَادَرْنَا أَحَدًا  
 كَمَا غَادَرْتُ فِي الْكَرَّةِ حِمَّةً ثَاوِيًا  
 وَفِي صَدْرِهِ مَاضِي السَّنَانِ وَقِيعٌ (٢)

وقال ابن الزبيرى أيضا من قصيدة مشهورة ، وهى :

- (١) ابن هشام : « على ذى حرارة » .  
 (٢) جنبت الفرس ، إذا قذمتها ولم تركبها . والجرد : جمع أجرد ، وهو العتيق من الخيل . والعناجيج : الطوال الحسان ، واحدها عنجوج . وانظر ابن هشام .  
 (٣) ابن هشام : « سرنا فى هام » . (٤) القيع : الماء البارد العذب .  
 (٥) الوبيض : الضوء . والأباء : جمع أباءة ، وهى أجمة القصب .  
 (٦) الشعب : الطريق فى الجبل . والسمهرى : الرمح ، وشروع . مائل إلى الضمن .  
 (٧) شباة كل شئ : حده . ووقيم : محدد .

يا غرابَ البينِ أسمعَتْ قَقْلُ<sup>(١)</sup>      إنما تذهبُ أمراً قد فعل<sup>(٢)</sup>  
 إنَّ للخيرِ وللشرِّ مَدَى<sup>(٣)</sup>      وسواءٌ قبرٍ مَثَرٍ ومُقَل<sup>(٤)</sup>  
 كلَّ خيرٍ ونعيمٍ زائل<sup>(٥)</sup>      وبغاتُ الدهرِ يابسينَ بكلَّ  
 أبلغا حسانَ عني آية<sup>(٦)</sup>      فقرِ يضُ الشعرِ يشفي ذَا الغُللِ<sup>(٧)</sup>  
 كم ترى بالجسرِ من تُجمِعه<sup>(٨)</sup>      وأكفأ قد أترتَ ورجل<sup>(٩)</sup>  
 وسرايلَ حسانِ شُقَّتْ<sup>(١٠)</sup>      عن كُماةٍ غودِرُوا في المنزَلِ<sup>(١١)</sup>  
 كم قتلنا من كريمٍ سيد<sup>(١٢)</sup>      ماجدٍ الجدِّينَ مقدامٍ بطل<sup>(١٣)</sup>  
 صادقِ النجدةِ قرمٍ بارع<sup>(١٤)</sup>      غيرِ ملحاطٍ لدى وقعِ الأسَلِ<sup>(١٥)</sup>  
 قبل المهراسِ مَنْ ساكنه؟<sup>(١٦)</sup>      من كراديس وهامٍ كالخجل<sup>(١٧)</sup>  
 أيت أشياخي يسدرِ شهودوا<sup>(١٨)</sup>      جزعَ الخرجِ من وقعِ الأسَلِ<sup>(١٩)</sup>  
 حين حطت رقباءُ بركبنا<sup>(٢٠)</sup>      واستحرجت القتلى في عبدِ الأسَلِ<sup>(٢١)</sup>  
 ثم خفوا عندَ ذا كرمٍ رُقَصا<sup>(٢٢)</sup>      رقص الحفانِ تعذُّوا في الجبلِ<sup>(٢٣)</sup>

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩٦ - ٩٨ ، وروايته .

﴿ إنما تذهبُ شيئاً قد فعل ﴾

(٢) ابن هشام : ﴿ وكلا ذلك وجه وقيل ﴾

(٣) ابن هشام : ﴿ بالجسر ﴾ ، أي الجبل ، وأترت : قطعت .

(٤) المنزَل : موضع النزال . (٥) رواية ابن هشام :

﴿ غيرِ ملحاثٍ لدى وقعِ الأسَلِ ﴾

(٦) المهراس : ماء بجبل أحد ، والكراديس جمع كردوسة ، وهي جماعة الخيل . والخجل : طائر في حجم الحمام ، ورواية ابن هشام :

﴿ بين أقحافٍ وهامٍ كالخجل ﴾

(٧) البرك : الصدر . واستحرجت القتلى : اشتد ، وعبد الأسَل : أراد عبد الأنامل ، مخذف الهاء .

(٨) الرقص : ضرب من المشي السريع . والحفان : صفار النعام .



فَقَتَلْنَا النِّصْفَ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَأَعْتَدَلُ  
لَا أُلُومُ النَّفْسَ إِلَّا أَنَا لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمَفْتَعَلُ  
بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ تَبَرَدَ الْغَيْظَ وَيَشْفِينَا الْغُلَّ (١)

قلت : كثير من الناس يعتقدون أن هذا البيت ليزيد بن معاوية ، وهو قوله : « ليت  
أشياخي » ، وقال من أكره التصريح باسمه : هذا البيت ليزيد ، فقلت : له إنما قاله يزيد  
متمثلاً لما حمل إليه رأس الحسين عليه السلام ، وهو لابن الزبير ، فلم تسكن نفسه إلى  
ذلك ، حتى أوضحت له ، فقلت : ألا تراه يقول : « جزع الخزرج من وقع الأسل » ، والحسين  
عليه السلام لم تحارب عنه الخزرج ، وكان يليق أن يقول : « جزع بني هاشم من وقع الأسل » ؛  
فقال بعض من كان حاضراً : لعله قاله في يوم الحرة ! فقلت : المنقول أنه أنشده لما حمل إليه  
رأس الحسين عليه السلام ؛ والمنقول أنه شعر ابن الزبير ، ولا يجوز أن يترك المنقول  
إلى ما ليس بمنقول .

وعلى ذكر هذا الشعر فإني حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد في بيت عبد القادر  
ابن داود الواسطي المعروف بالحب ، خازن دار الكتب بها وعنده في البيت باتكين الرومي  
الذي ولي إربل أخيراً وعنده أيضاً جعفر بن مكّي الحاجب ، فخرى ذكر يوم أحد وشعر  
ابن الزبير هذا وغيره ، وأنّ المساهين اعتصموا بالجبل ، فأصعدوا فيه ، وإن الليل حال  
أيضاً بين المشركين وبينهم ، فأنشدا ابن مكّي بيتين لأبي تمام متمثلاً .

لَوْ لَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عَلَقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بَغِيرِ قِلَالٍ (٢)

(١) رواية ابن هشام :

\* عَدَلْنَا تَعَاوَهُمْ بَعْدَ نَهْلٍ \*

(٢) ديوانه ٣ : ١٣٩ ، من قصيدة يمدح فيها المعتصم ، وبذكر فتح الحرمية . وقلة الجبل : أعلاه ،  
وجعه قتل وقلال .

فليشكروا جُنَحَ الظَّالِمِ وَذِرْوَدًا<sup>(١)</sup> فهُمْ لَذِرْوَدَ وَالظَّالِمِ مُوَالِي<sup>(٢)</sup>  
 فقال باتكين : لاتقل هذا ؛ ولكن قل : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ  
 بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ  
 يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا  
 عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وكان باتكين مسلماً ، وكان جعفر سامحه الله  
 معصوماً عليه في دينه .

﴿ تم الجزء الرابع عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ﴾

وبلغ الجزء الخامس عشر ﴿

مركز تحقيق تكوير علوم اسلامی

(١) ذرود بكسر الواو وسكون ثانية وفتح الواو وآخره دال مهملة : اسم جبل .

(٢) سورة آل عمران ١٥٢



## فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

### بَابُ الْكُتُبِ وَالرِّسَالِ

صفحة

- ١ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة  
٦-
- أخبار علي عند مسيره إلى البصرة ورسله إلى أهل الكوفة  
٨-٢١
- فصل في نسب عائشة وأخبارها  
٢١-٢٥
- ٢ - ومن كتاب له عليه السلام بعد فتح البصرة  
٢٦
- ٣ - من كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه  
٢٧، ٢٨
- نسب شريح وذكر بعض أخباره  
٢٨، ٢٩
- ٤ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه  
٣٢
- ٥ - من كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس وهو عامل أذر بيجان  
٣٣
- ٦ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية  
٣٥-
- جرير بن عبد الله البجلي عند معاوية  
٣٨-٤٠
- ٧ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا  
٤١-٤٤
- ٨ - من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية  
٤٥-
- ٩ - ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا  
٤٧
- إجلاب قريش على بني هاشم وحصرهم في الشعب  
٥٢-٦٤

صفحة	
٦٤، ٦٥	القول في المؤمنين والكافرين من بنى هاشم
٨٤-٦٥	اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب
١٥٧-٨٤	قصة غزوة بدر
١٦٤-١٥٧	القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها المشركين
	القول فيما جرى في الغنمة والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة
١٩٩-١٦٥	
٢٠٥-١٩٩	القول في تفصيل أسماء أسارى بدر ومن أسرهم
٢٠٧-٢٠٥	القول في الطعمين في بدر من المشركين
٢٠٨، ٢٠٧	القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر
٢١٢-٢٠٨	القول فيمن قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتلهم
٢١٣، ٢١٢	القول فيمن شهد بدرا من المسلمين
٢٨١-٢١٣	قصة غزوة أحد